وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابـل

كليّة الآداب / قسم اللغة العربية

أثَرُ القَرائنِ الدَّلاليّةِ في إظْهارِ المَعْنى الجَمالي في خُطبِ شرحِ نَهجِ البلاغةِ

رسالة تقدّمتْ بها

الطالبة: دعاء موسى حسن عباس الشمري

إلى مجلس كلية الآداب/ جامعة بابل، وهي جزءٌ من متطلباتِ نيلِ شهادةِ الماجستير في اللغةِ العربيةِ وآدابها / اللغة.

بإشراف

الأستاذة الدكتورة: عدوية عبد الجبار كريم الشرع

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾

النمل / ٦٠

صدق الله العلي العظيم

إقرار المشرف ورئيس القسم

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ((أثر القرائن الدلالية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرحِ نهج البلاغة)) الّتي تقدّمت بها الطالبة ((دعاء موسى حسن)) قد جرى تحت إشرافي في قسم اللّغة العربيّة / كلّيّة الآداب / جامعة بابل ، لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة / اللغة .

التوقيع :

الاسم : أ.د. عدوية عبد الجبار كريم الشرع

(المشرف)

التاريخ :

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع

الاسم: أ.م.د حيدر غضبان محسن الجبوريّ

(رئيس قسم اللّغة العربيّة)

التاريخ :

الإهـــــــداء

إلى مَنْ قال الرسول (صل الله عليه وآلهِ وسلم) بحقهِ ((أعلم أمتي من بعدي علي)) باب مدينة علم النبي ، وحافظ عهده وخير الخلق من بعدهِ سر الله الأكبر ، واضع علم العربية ومؤسس قواعدها وحدودها أمير البلاغة والبيان سيدنا ومولانا ... إمام الثقلين أبا الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

إلى الروح التي لم تفارقني ... إلى مَنْ أفتقده منذ الصغر ... والدي رحمه الله تعالى .

إلى مَنْ قدَّمتْ سعادتي وراحتي على سعادتها والتي لولا دعاؤها لما بلغت ما أنا فيه ... أمي الفاضلة .

وإلى مَنْ وقف طوداً شامخاً لجانبي حتى أتممتُ هذا الجهدِ وهو يُؤازرني في كلِّ صغيرة وكبيرة ... زوجي الحبيب وعائلته الكريمة .

إلى مَنْ كانوا ملاذي وملجأي ... أخواتي العزيزات .

إلى بذرة الفؤاد وأمل الغد ... ولدي علي و ابنتي ميلا .

إلى مَنْ جمعني بهم عطر الصداقة ... زملائي الأعزاء .

إلى كل مَنْ يهمه أمري ويسعده نجاحي ... أهدي جهدي المتواضع .

دعاء

شكر وامتنان

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد صلى الله عليه وعلى آله الغر المحجلين وبعد:

بعد إكمال هذه الرسالة بفضل الله تعالى وعونه، أجد لزامًا ومن واجب الوفاء أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الذين أسهموا في إنجازها ، وبعد أن وفقني الله لا يسعني إلّا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أساتذتي الأجلّاء في كلية الآداب – جامعة بابل الذين لن أنسى فضلهم الكبير عليّ منذ دراستي الأولية حتى الآن ، وأخصُ، منهم عميد كلية الآداب الاستاذ الدكتور (صالح كاظم عجيل الجبوري) الأستاذ المفضال أطال الله في عمرهِ .

والشكر موصول إلى التي قد فتحت ذراعيها وبذلت الجهد الجهيد لإتمام رسالتي أستاذتي الدكتورة (عدوية عبد الجبار كريم الشرع) لإشرافها على الرسالة ولرعايتها العلمية القيمة وملاحظاتها الدقيقة التي أسهمت في إغناء الرسالة .

كذلك أتقدم بالشكر الجزيل لرئيس قسم اللغة العربية الدكتور (حيدر غضبان محسن الجبوري) الذي كان أبًا روحيًّا ، منه أستقي الهمة وأقتبسُ من فكرهِ ما ينيرُ لي الدرب فأدعو الله له بالصحة والعمر المديد ليفيد من علمهِ وخلقهِ زملائي من بعدي من الطلبة .

كما أتقدّم بالشكر الجزيل الوافر لمكتبة كلية الآداب، والعاملين فيها، ومكتبة الحرمين، وأخيرًا شكرا لكل مَنْ مد يد العون لي.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	ب – د
التمهيد: مفهوم القرينة والجمال في شرح نهج البلاغة	٢ – ١٩
الفصل الأول : أثر القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة	٢١– ٧٢
المبحث الأول : أثر القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة .	٢٥– ٦٠
المطلب الأول : الإنسان	٢٥– ٣١
المطلب الثاني :الحيوان	٣١–٤٣
المطلب الثالث : الأرض والجبال	٤٤– ٥٢
المطلب الرابع : النبات	٥٢– ٦٠
المبحث الثاني : أثر القرائن اللفظية الجمالية في الطبيعة البعيدة	٦١– ٧٢
المطلب الأوّل : السماء	٦١– ٦٥
المطلب الثاني: الكواكب والشمس والقمر	٦٥– ٦٨
المطلب الثالث : النجوم والشهب	٦٩– ٧٢
الفصل الثاني : أثر القرائن العقلية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة	٧٤– ١٠٥
المبحث الأول : أثر القرائن العقلية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة	٧٤– ٩١
المطلب الأول : الأرض والجبال والرياح	٧٩– ٨٣

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني : النبات	٨٣- ٩١
المبحث الثاني : أثر القرائن العقلية في إظهار الجمال في الطبيعة البعيدة	٩٢- ١٠٥
المطلب الأول : النجوم والسحاب	٩٢- ٩٧
المطلب الثاني : السماء والشمس والقمر	٩٧- ١٠٥
الفصل الثالث : مظاهر تجليات القرائن الدلالية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة	١٠٧- ١٤٠
المبحث الأول : التقابل الدلالي	١٠٧- ١٢٦
المبحث الثاني : الإيغال في بيان المعنى	١٢٧- ١٣٦
خاتمة الرسالة ونتائجها	١٣٨- ١٤٠
مصادر الرسالة ومراجعها	١٤٢- ١٦٩
الملخص باللغة الانكليزية	A-C

المقدّمة

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على نبيِّ الرَّحمةِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أمّا بعدُ.

فإنّ نهج البلاغة من النصوص عالية الفصاحة ، والبيان فهو كالبحر ، فيه من الكنوز ما يطمع الباحث في الغوص فيه ، واستجداء ما يحصل عليه من ثروات لغوية ؛ إذ يضم النهج تكثيفاً على مستوى الألفاظ ، ومعانيها ، ما يُعجزُ الباحثين حقًّا، لما فيه من مضامين دلالية أخضع من خلالها الإمام عليّ (عليه السَّلامُ)، فنون اللغة العربية في معانيها، وبديعها، وبيانها، ليضع لنا موئلًا لغويّا، وفكريًّا فضلًا عن علومٍ صرفةٍ لم يدركها العلماء إلّا حديثًا فالظواهر التي ذكرها الإمام عليّ (عليه السلام) ، شكلّت اكتشافات علمية كبيرة أثبتها العلماءُ فيما بعد ، ومن بين عُلُومِ اللغةِ التي كان لها مكانةٌ واضحةٌ في كلام الإمام (عليه السلام)، هي الدَّلالة ، وما تضمّ من طرق للوصول من خلالها إلى المعنى المراد ، ومن هذهِ الطرق الدلالية كانت القرائن التي أدّت دورًا مهمًا واضحًا في إظهار المعنى الجمالي ؛ إذ تعد القرائن الأداة الدلالية التي تدل على موضع الجمال في كلامهِ (عليه السلام) الذي اشتمل على وفرة منها في موضوعات مختلفة تناولها الإمام (عليه السلام) في مدونتهِ ، مما اقتضى وجود ألفاظ جمالية معبرة ، فكان هم الدراسة ، البحث في المعنى الجمالي عند الإمام (عليه السلام) ، والمواضع التي وُظِفَتْ فيها بقدرة عالية من البلاغة ، والفصاحة ، مما استدعى انتباه الباحثة إليها ، وهي كثيرة في خطبهِ (عليه السلام) على وجه الخصوص ؛ إذ لا يخفى أن الإمام كان يجهد بلاغته في بيان تجليات قدرة الله (عز وجل) في مخلوقاتهِ ، وهي واضحة ، كما في وصفهِ الحيوان ، وغيره من الأشياء التي تضمها الطبيعة الدنيوية والآخروية ؛ إذ إنّ الجمال في نهج البلاغة كان له فرادة عن الجمال عند الآخرين ، يتجاوز فيه الجنبة الذوقية الانطباعية إلى معايير علمية شكلتها المنظومة العقلية الاعجازية للإمام علي (عليه السلام) ، وهذا الأمر تطلب وجود قرائن لتدل عليه وتظهره للمتلقي ، لذا قُرّ العزمُ على اختيار موضوع ليكون بعنوان (**أَثَرُ القَرَائنِ الدَّلاليّةِ في إظْهارِ المَعْنى الجَمَاليّ في خُطبِ**

شرح نهج البلاغة) بعد أن عرضته عليّ أستاذتي الدكتورة عدوية عبد الجبار كريم الشرع الموقّرة مشكورةً .

هناك دراسات سبقتني تناولت المعنى الجمالي بالبحث والدراسة ، أذكر منها ، (الجنة في القرآن الكريم ، دراسة جمالية) ، إبتسام السيد عبد الكريم المدني (رسالة ماجستير) ، تناولت فيه الباحثة المعنى الجمالي وتجسيده في الآيات الكريمات ، (الأبعاد الأسلوبية الجمالية في حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة) ، م.د مصعب مكي زبيبة(بحث) الذي تناول فيه الباحث المعنى الجمالي في الأساليب البلاغية ، أمّا الدراسات القريبة من بحثي فأذكر منها : (التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية) ، د. حسين حامد الصالح ، (البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن للطوسي) ، إبتهال كاصد ياسر الزيدي (أطروحة دكتوراه) ، (القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني) ، أ. د.عدوية عبد الجبار كريم الشرع ، (المعجم الاقتصادي في نهج البلاغة ، دراسة وتحليل) ، د. سحر ناجي فاضل المشهدي .

وقد اتبعتُ في بحثي هذا ، المنهج الوصفيّ والمنهج التحليليّ ، بطريقة الاستقصاء الذي يتعقّب كلّ لفظٍ من الألفاظ لمعرفة القرينة ونوعها؛ لذا نختم تنظيم البحث على تمهيد، وثلاثة فصول ، تلحقه خاتمة بأهم النتائج .

أمّا التمهيد فكان بعنوان (**مفهوم القرينة والجمال في شرح نهج البلاغة**)، وفيه تناولت مفهومي "القرينة والجمال" في اللغة والاصطلاح، ونبذة مختصرة عن الجمال عند الفلاسفة اليونانيين ، والفلاسفة المسلمين).

جاء الفصل الأول بعنوان(**أثرُ القرائنِ اللّفظيّةِ في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة**)، وقد قسمته على مبحثين ، درست في المبحث الأول (أثر القرائن اللفظية الجمالية في الطبيعة القريبة)، وتضمن أربعة مطالب، ضم الأول : الإنسان، والثاني : الحيوان، و الثالث : الأرض والجبال ، وضم الرابع : النبات ، وفي المبحث الثاني درست (أثر القرائن اللفظية الجمالية في الطبيعة البعيدة) وتضمن ثلاثة مطالب، ضم الأوّل : السماء، و الثاني: الكواكب والشمس والقمر ، والمطلب الثالث : النجوم والشهب.

أمّا الفصل الثاني فقد خصّصته لـ(**أثرُ القرائنِ العقلية في إظهار المعنى الجماليّ في خُطبِ شرح نهج البلاغة**)، وقسمته على مبحثين، اختصّ الأول بـ(أثر القرائن

العقلية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة) ، وتناولت فيه مطلبين ، الأول : كان مختصًّا بالأرض والجبال والرياح ، أمّا الثاني فضم الجمال في النبات ، واختص المبحث الثاني بـ(أثر القرائن العقلية في إظهار الجمال في الطبيعة البعيدة)، وقُسّمَ على مطلبين ، ضمّ الأول : النجوم والسحاب ، والثاني : السماء والشمس والقمر.

وكان الفصل الثالث بعنوان (**مظاهر تجليّات القرائن الدلالية في إظهار المعنى الجمالي خُطبِ شرح نهج البلاغة**) وقد انتظم في مبحثين: الأول : التَّقابلُ الدَّلاليّ ، أمّا الثاني : فكان يُعنى بالإيغال في بيان المعنى . وأمّا الخاتمة فتضمنت أهمَّ ما تَوَصَّلْتُ إليه في هذه الدراسة من نتائج.

ولعلَّ من أهم الصعوبات التي واجهت طريق البحث ، هي غرابة الألفاظ واصطفاؤها التي استعملها الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) في خُطَبِهِ التي تطلبت العودة إلى المعاجم العربية ؛ لإدراك سياقات الألفاظ ومعرفة المعنى المستهدف من اللفظ ، فالخطب بشكلٍ عام جاءت تحمل معنيين ، أحدهما: ظاهر، والآخر: ما يتطلّب إعمال العقل في إدراكهِ ؛ للاستدلال على الظواهر الجمالية التي تضمّنتها تلك الخطب .

وممّا يمكن الإشارة إليه إلى أنّ الفصل الأوّل من الرسالة جاء أكبر مِن الفصلينِ الآخرينِ ؛ إذ تحكّم استقراءُ المادّة بالخطّة ، فضلًا عن أنّنا وجدنا القرائن اللفظية السياقية في نهج البلاغة أكثر من العقلية ، لذا زاد الفصل الأوّل على الفصول الأخرى ، كما أنّنا لم نجد القرائن الحالية الجمالية الكافية التي تدل على المعنى الجمالي في نهج البلاغة .

وتم اعتماد أخذ النصوص على شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

وختامًا فما زلت في طريق البحث أسعى لأتعلم، وأسير وإن كان بخطى بطيئة، فإن كان في البحث هنات أو تقصير فمن نفسي، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

التمهيـــد

مفهوم القرينة والجمال في شرح نهج البلاغة

القرينة في اللغة والاصطلاح :

القرينة في اللغة :

جاء في المعاجم اللغوية القديمة أنّ مادة (قرن) تعني بشكل عام (الرِفْقة ، أو الصُّحْبَة) ، ففي معجم العين وتهذيب اللغة ((القرين : صاحبك الذي يقارنك، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ مقترنين ﴾[1] ، أي : مُتقارنين))[2]، وقد ورد أيضًا أنّ معنى ((القَرَن: الحبل يُقرَن به وهو القِران أيضًا (....) ، والقِران :حبل يشد بهِ البعير كأنه يقوده))[3].

ويقال: إنّ الشيء بغيره، وقارن الشيء بالشيء مقارنة وقرانًا اقترن به وصاحبه[4] ، وتدلُّ القرينةُ على الرفقة إذ ، قال ابن دريد (ت٣٢١هـ) : ((فلان قرين فلان، إذا كان لا يفارقة ، والجمع قرناء))[5] .

والقرينة في اللغة على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، من الاقتران[6] ، وقال الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ) : ((فعيلة بمعنى المفاعلة، مأخوذة من المقارنة))[7] ، واقترن الرجل: امرأته ؛ لمقارنته إياها ، أي لمصاحبته إياها [8] ويقال: قرن بين الحج والعمرة قرانًا أي: جمع بينهما بنية واحدة، وتلبية واحدة، وإحرام واحد، وطواف واحد، وسعي واحد[9] .

يتضح من هذا المعنى أنّ لفظ القرينة هو اقتران اللفظ بالمعنى ، بمعنى حين يتوافق لفظ بمعناه فهو مقترن به لذا فإنّ معنى القرينة ، الجمع بين الأشياء، وتأتي

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف : ٥٣] .

(٢) العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي : ١٤٢/٥ ، وتهذيب اللغة ، الأزهري مادة (قرن) :٩ / ٨٩ .

(٣) العين (مادة قَرَنَ): ٥ /١٤١ .

(٤) ينظر : الصحاح ، الجوهري : ٦/ ٢١٨٢ ، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده :٣٦٥/٦ ، ولسان العرب، ابن منظور، مادة (قرن): ١٣/ ٣٣٦-٣٣٧ ، وتاج العروس، الزبيدي : ٥٤٢/٣٥ ، والمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية :٧٣١/٢ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر :٣ /١٨٠٥ ، مادة (قرن) .

(٥) جمهرة اللغة ، ابن دريد، مادة (قرن) : ٢/ ٤٩٧ .

(٦) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور مادة (قرن) :١٣ /٣٣٦.

(٧) التعريفات/ الجرجاني : ١٤٧.

(٨) ينظر : لسان العرب، مادة (قرن) :٣٣٩/١٣.

(٩) ينظر : المصدر نفسه ، (قرن) :١٣ /٣٣٦.

القرينة لتعطي معنى المصاحبة والملازمة، ومن خلال ذلك يمكننا أن نستنبط أنّ للقرينة معنى آخر وهو الدلالة على المصاحبة ، إذ القرين يدلُّ على قرينهِ ؛ لشدة الملاصقة بينهما، تللك الملاصقة الناشئة عن الجمع بينهما، ومصاحبة كل منهما للآخر[١] .

القرينة في الاصطلاح:

عرّف العلماء اللغويون القرائن من خلال استعمالهم لها وتردد معانيها التي تفضي إليها ، إذ عرّفها الشريف الجرجاني بأنها: ((أمر يشير إلى المطلوب))[٢] ، وقد ورد تعريفها عند بعضهم بأنّها :((ما يدلُّ على المراد))[٣] .

هذا التعريف قد منح القرينة خصوصية المعنى أي الهدف وراء الملفوظ فإذا كان ذلك الملفوظ قد وظف توظيفًا دقيقًا فإنّه قد يفيد معانياً متعددة ، مثلما نجد ذلك واضحًا في خُطَب الإمام عليّ (عليه السلام)؛ إذ جاءت في تلك الجمل الرنانة تأويلات عدّة تحمل صورتين: صورة قريبة مباشرة ، وصورة بعيدة يستهدفها المتن الخطابي فيصل إليها .

في حين نجد أن مجدي وهبة قد ذهب إلى تعريف قريب من التعريف الأول، بقوله : إنّ القرينة، هي : ((ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي في الجملة))[٤] ، إذ إنّها لا تدل على المعنى اللغوي الأصلي ، بل تدل على معنى آخر له خصوصيته ، يتعلق بأمر من الأمور[٥]، ويتبيّن من خلال تعريف مجدي وهبة أنّ تشابها كبيرًا بين التعريف الأول والتعريف الثاني مفاده أن اللفظ بمعناه القريب يفهم للوهلة الأولى بقصد معين ، أمّا إذا انتظم هذا اللفظ من خلال جملة فإنّه يستهدف معنى أبعد من المعنى المباشر للجملة وهذا ما يحيلنا الى إشكالية (اللفظ الظاهر، واللفظ المضمر)، والتعريف في أعلاه يحمل بين طياته بُعدين من المعنى، هما : المعنى الحرفي للفظة

(١) ينظر : تعريف القرائن وحكمها ، د. ماهر أحمد راتب السوسي :١ (بحث) .

(٢) التعريفات : ١٧٤.

(٣) معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي :٣٦٢ ، والتعريفات الفقهية ، محمد عميم البركتي :١٧٣ .

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس : ٢٨٨ .

(٥) ينظر : القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني ، د. عدوية عبد الجبار كريم الشرع (أطروحة) :٨.

العربية، والمعنى السّياقيّ الذي قد يُؤوّل الى أكثر من تأويل ، إذ يصيب المعاني البعيدة وكما نرى في هذه الحالة فإنّ الأمر يعتمد اعتمادّا كليًّا على بلاغة بناء الألفاظ وبيانها وهذا ما وجدناه في خطب الإمام (عليه السلام)، التي بلغت أهدافها السياقية بأجمل ما يكون من المعاني المباشرة القريبة، والمعاني البعيدة، تجسيدًا للقرينة وتعريفها .

فيما عرّف دريد عبد الجليل القرينة بشكل عام بأنّها ((ظاهرة لفظية ، أو معنوية ، أو حالية ، يتوصل من خلالها إلى أمن اللبس الناشئ من تركيب المفردات، بعضها مع بعض في سياقات متقاربة لفظًا، أو معنى ، ثم يتم ترجيح حكم على آخر بوساطتها))[١] ، ويبدو من هذا التعريف أن دريد عبد الجليل قد ابتعد بعض الشيء عن إصابة المعنى وهدف القرينة وغاياتها ، ذلك أن القرينة هي فن استعمال فنون اللغة العربية لبلوغ المعنى الذي يريد منشئ النص الوصول إليه ، وهو ليس بالأمر اليسير، بل يتطلّب الإحاطة التامة باللغة العربية وفنونها ، كما أنّ القرينة ليست لفظية أو معنوية أو حالية فقط، وإنما هي عقلية أيضًا ، وبهذا تكون القرينة، هي : ((الدليل الذي يصاحب النص فيكشف معناه ، سواء كان لغويًا أو حاليًا أو عقليًّا))[٢].

(١) القرائن النحوية للمعنى ، دريد عبد الجليل ،(رسالة ماجستير) : ٤ .

(٢) القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني :٩ .

مفهوم الجمال

الجمال لغةً : الجميل هو الحسن ، قال ابن فارس : ((جمل ، الجيم والميم واللام أصلان أحدهما تَجَمّع وعظم الخلق ، والآخر حُسْنٌ، (...) ، والأصل الآخَرُ الجَمالُ وهَو ضد القبح)) [١] ، و((الجمال مصدر الجميل ، والفِعْل جَمُلَ ، وقوله عزّ وجل : ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** ﴾ [النحل: ٦] ، أي بهاءٌ وحُسن ، والجمال الحُسْنُ يكون في الفعل والخَلق وَقَدْ جَمُل الرجُل ، بالضم جمالًا ، فهو جميل))[٢].

وقال الزَّبيديّ : ((الجَمَالُ :الحُسْنُ الكثير ، وذلك ضربان : أحدهما : جمال يختص الانسان به في نفسهِ أو بَدَنِهِ أو فِعله ، والثاني : ما يصل منهُ إلى غيره وعلى هذا الوجه ما روي : إن الله جميل يحب الجمال تنبيهاً أن منه تفيضُ الخيراتُ الكثيرةُ فيُحِبُّ مَنْ يختصُّ بذلك)) [٣]، و ذكر الشريفُ الجرجانيُّ أن : ((الجمال من الصفات ، ما يتعلق بالرضا واللطف)) [٤].

والجمال عند الفلاسفة ((صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورًا ورضا))[٥].

ويُعدّ علمُ الجمال أحد أبواب الفلسفة الذي يبحث في قيمة الجمال ومقاييسه، ونظرياته [٦].

والاستطيقا : علم يبحث في معنى الجمال من حيث مفهومه، وماهيته، ومقاييسه، ومقاصده ، والاستطيقا في الشيء تعني أنّ الجمال فيه حقيقة جوهرية وغاية قصدية ، فما وجد إلّا ليكون جميلًا [٧].

---

(١) مقايس اللغة : ٤٨١/١، مادة (جَمَلَ) باب الجيم والميم وما يثلثهما.

(٢) لسان العرب : ١٢٦/١١ ، فصل الجيم .

(٣) تاج العروس : ٢٣٦/٢٨ ، مادة (جَمل).

(٤) التعريفات ٧٨.

(٥) المعجم الوسيط :١٣٦/١ ، باب الجيم ، مادة (جمل) .

(٦) ينظر : المصدر نفسه :١ /١٣٦ ، باب الجيم ، مادة (جمل) .

(٧) ينظر :علم الجمال (الاستطيقا)) دنيس هوسيمان ، ترجمة أميرة حلمي مطر :٧ ، وينظر: المدخل الى علم الجمال فكرة الجمال هيغل ، ترجمة جورج طرابيشي : ٢١.

أمّا من حيث مفهومها فـ (الاستطيقا) مفهوم قديم قدم الإنسان نفسه ، إذ صاحبت الحضارات البشرية كلها من دون استثناء ، واتخذت لها طابعًا خاصًا مع كل حضارة ، كما كانت لها تجليات خاصة ومتميزة مع كل تجربة إنسانية مختلفة [١].

أمّا علم الجمال، فهو: ((علم يدرس القوانين العامة لتطور علاقات الإنسان الجمالية بالواقع وخاصّة الفن كشكل متميز من أشكال الوعي الجمالي ، ويمكن القول بكلمات أخرى : إنّ علم الجمال يدرس علاقات الإنسان الجمالية بالواقع عمومًا ويدرس أعلى أشكال هذه العلاقات ألا وهو الفن على وجه التخصص))[٢].

ويدخل علم الجمال ضمن العلوم الاجتماعية ، ويبتعد عن العلوم الطبيعية ؛ لأنّ النشاط الجمالي والعلاقات الجمالية في الواقع أمران يخصّان الإنسانية وحدها وقد تنشأ نتيجة للتطور الاجتماعي والتاريخي ، ((وتُعنى فلسفة الجمال بنظريات الفلاسفة وآرائهم في إحساس الإنسان بالجمال وحكمه به وإبداعه في الفنون الجميلة كما تعنى بتفسير القيم الجمالية))[٣].

فلسفة الجمال عند اليونانيين

يُعدُّ الاهتمامُ بالجمال قديمًا قدم الإنسانية ، ويظهر ذلك جليًّا في اهتمامه بما يحيط به من مظاهر الطبيعة ، وفيما تسجله آثارهم منذ العصر الحجري القديم إلى عصور الحضارات القديمة المعروفة في بابل، ومصر، والهند، والصين ، إلّا أنّ التطوّرات الجمالية بدأت بدرجة كبيرة في اليونان القديمة أي الحضارة اليونانية [٤].

وما يلحظ على الحضارة اليونانية شدة اهتمامها بالجمال، من ذلك حرصهم على تمجيد ربات الفنون وعبادتها وتقديم القرابين إليها ورعايتها إيمانًا منهم بتقديس مظاهر الجمال الخالدة في الفن والطبيعة ، وهي بالحقيقة مظاهر لا تقتصر على اليونانيين فقط، بل تكاد تكون محط اهتمام أكثر الشعوب[٥] .

---

(١) ينظر : علم الجمال (الاستطيقا) :٨ .

(٢) علم الجمال وتطوره التاريخي (علم الجمال الماركسي اللينيني) ترجمة فؤاد مرعي :١ / ٦ .

(٣) مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن ، أميرة حلمي مطر : ١٢.

(٤) ينظر: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ،د. محمد علي أبو ريان :٧ ، وينظر علم الجمال الاستطيقا :١١

(٥) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة : ٧-٨.

يمكن القول – مما تقدم – إنّ الجمال لم يقتصر، أو بالأصح لم يبتدئ عند الفلاسفة اليونانيين وغيرهم وإنما هو بالحقيقة موجود ومتجذر لدى المجتمع اليوناني ، وكان للفلاسفة الفضل في تسجيلها وعرضها من خلال آرائهم الثقافية ؛ إذ عالجوها معالجة منهجية قائمة على أُسس علمية .

فالجمال، هو: ما يبعث في النفس الرضا، من دون تصوّر ، أي ما يحدث في النفس عاطفة خاصة تسمى بعاطفة الجمال، وهو عندهم ((علم الأحكام التقويمية التي تميز بين الجميل والقبيح))[١] ، إذ هو: ((عالم تنحصر مهمته في فهم الظاهرة الجمالية والعمل على توضيحها في أذهاننا))[٢]. وقد بنى سقراط[٣] نظريته الجمالية على أساس الأخلاق والفضيلة والمعرفة ((فهو يحاول أن يضع أساسًا قويًّا لنظريته الجمالية ، فيؤكد على العلاقة المتينة بين ما هو أخلاقي وما هو جميل ...، وجعل الفضيلة معيارًا يقيس به أفعال الناس ويميّز خيرها من شرّها وهذا الإدراك العقلي للفضيلة ليس غاية في ذاتهِ ، وإنّما وسيلة يتمكن بها الإنسان من أن يسلك في هذه الحياة سلوكًا فاضلًا تنطبق عليهِ أوصاف الفضيلة حسبما أدركها العقل))[٤].

ويرى العالم سقراط ((أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعمل إلّا إذا عرف ما هو الخير أي إذا عرف الإدراك العقلي للخير ، فالعمل الأخلاقي أساسه المعرفة ويجب أن يصدر عنها ؛ ولذلك يكفي أن يعلم الإنسان ماهي الفضيلة حتى يبعد عن الرذيلة فلا يسعه إذا عرف الخير أن يفعل شرًّا والناس تنشد الفضيلة ولو اختلفوا في معناها، لذلك يرى أنّ الإنسان لا يمكن أن يتعمّد الوقوع في الشر ، وإذا ارتكبه؛ فلأنّهُ لا

---

(١) فلسفة الجمال والفن عند هيجل، عبد الرحمن بدوي : ٥ .

(٢) علم الجمال ، د. محمد عزيز نظمي :٤ .

(٣) سقراط (٤٧٠ ق.م) : هو أحد أهم فلاسفة اليونان ورائدها ولد بأثينا ، وكانت أمه تعمل قابلة وأبوه نحّاتًا ،ويروى أنهُ كان من المتفائلين في حياتهم إذ كان يقول إنهُ رجل سعيد لأنهُ حضي بثلاث ميزات أولها لأنه ولد انساناً وليس حيواناً ،وثانيهما لآنه ولد رجل وليس أمراة ، وثالثهما أنه ولد يونانياً وليس بربرياً ، وتوفي على أثر جرعة من السم دُست إليه ؛ لمعارضته اليونانيين لعبادتهم للأوثان في ذلك الوقت ، ينظر ،الاعلام من الفلاسفة (سقراط) ، د. فارق عبدالمعطي: ١٠-١٥ .

(٤) فلسفة النظريات الجمالية ، د.غادة المقدم عدرة : ٤٧.

يعرف الإدراك العقلي للخير ، ولمّا كان يجهل حقيقة الخير نراه يفعل الشر وهو يظن أنّهُ العمل الصحيح))[١] .

يتبيّن مما سبق أنّ سقراط يرى الجمال في ما كان يهدف إلى الخير الموجود في النفس الإنسانية وهو أساس الفضيلة ، فقد ربط الخير بالجميل في قوله : ((إنّ المفيد والمؤثر لغرض الخير يكون جميلًا)) [٢]، إذ جعل الجمال المعيار للحكم على قيم الخير والعدالة ومدى عمق فعالية تلك القيم ، و إنّ أروع طريقة للتعبير عن الجمال هو الانتقال من الإيماءات المحسوسة للجمال إلى النفس ، فالجميل عنده هو ما يحقق الخير النافع ، والجمال له غاية هادفة ، فجعل الفن على الأساس العقلي لا على الأحاسيس وإثارة الانفعالات[٣] ، فيتحسس الجمال في الأشياء ، إذا كانت قد صُنعت بشكل جيد لتؤدّي الفائدة المتوخّاة [٤].

ويعد أفلاطون أوّل فيلسوف يوناني تناول نظرية الجمال بالشكل الصحيح [٥]، إذ بدأ أولًا باكتشاف سمات الجمال في الموجودات الحسية ، وفي الأفراد ، ثم أخذ يصعد تدريجيًا في هذا الجمال الفردي المحسوس، ليكتشف علّته في الأفراد جميعًا ، وهكذا إلى أن توصّل إلى اكتشاف مصدر الجمال المحسوس ((في العالم المعقول ذلك الذي يشارك فيه الجمال المحسوس ، ثم ربط بعد هذا بين الحق والخير والجمال))[٦] ، إذ جعله أحد القيم العليا ، وهي ((الحق والخير والجمال)) [٧] .

تُعد فلسفة الجمال((أحد فروع الفلسفة الذي يبحث علاقة الإنسان الجمالية بالعالم وكافة جوانب استيعاب الإنسان للعالم وفقًا لقوانين الجمال))[٨] .

---

(١) فلسفة النظريات الجمالية : ٤٨ .

(٢) أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة ، د. عبدالكريم هلال خالد :١٤ .

(٣) ينظر علم الجمال (الاستطيقا) : ١٢.

(٤) ينظر : موجز تاريخ النظريات الجمالية ، نيكون أوفيا ، ترجمة : باسل السقا :١٧ .

(٥) ينظر الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة عزالدين اسماعيل :٣١ .

(٦) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة : ٨ .

(٧) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية :٦٢ .

(٨) ينظر :المعجم الفلسفي المختصر ، ترجمة توفيق سلوم : ٢٩ ، نقلا عن: فلسفة الجمال في القرآن الكريم "دراسة عقدية فلسفية"، آمال أحمد عوض، (رسالة ماجستير) : ١٨ .

إن آراء أفلاطون في الجمال كان لها الدور الكبير بشكل مباشر، وغير مباشر على معظم المدارس والفنانين ؛ لأنه أطلق ((فكرة الجمال الخالد والمطلق ، وكان يرى أنّ الأشياء أو الكائنات جميلة ؛ لأنّ فيها انعكاسًا للصورة العليا ، للمُثل العليا، للجمال المثالي ، فالفن في نظر أفلاطون هدف هو إعادة خلق الجمال الأسمى الذي نلمحه لمحًا ، والإبداع داخل نطاق هذا الجمال))[١].

بنى أفلاطون فلسفته الجمالية على أساس أنطولوجي، مستمدًا فلسفته من النظرية الجمالية الفيثاغورتية ، التي ترى أنّ المعيار الجمالي رياضي هندسي يقوم على الاعتدال والائتلاف ، وهدف العمل الفني التعبير عن الحقيقة بصدق – والنظرة السقراطية التي تجعل الفن غاية لذاتهِ وتقيمهُ على المعيار الحسي ، ويرى أنّ الجميل هو ما يحقق الخير النافع ، وأنّ الجمال له غاية هادفة ، فأقام الفن على أساس النظر العقلي لا على إثارة الانفعال ، فصاغ أفلاطون أكثر النظريات الجمالية تماسكًا في المرحلة الإغريقية، وكان أوّل فيلسوف يهتمُّ بتسجيل موقف معين من ظاهرة الجمال فأقام للجمال مثالًا، هو ((الجمال بالذات بالحب الإلهي والخير والجمال الإلهي ، وهو المثل الأعلى الذي تشارك به جزيئات العالم المحسوس))[٢]. وتُعد الفلسفة الأفلاطونية أصلًا لجذور كلّ علم الجمال[٣] .

أمّا أرسطو، فقد عرّف الجمال بأنه ((تناسق التكوين لعالم يتبدى في أجلى مظاهره ، فهو لا يعني برؤية الناس كما هم في الواقع بل كما يجب أن يكونوا عليه)) [٤].

ويرى أرسطو أنّ الجمال ((نموذج باطني في العقل البشري ، ليس له موضوع للبحث عنه خارج النفس ، فليس هنالك مثال يتجاوز حدود الإنسان أو العالم فكل شيء موجود فينا نحن ، والمثال موجود في الإنسان، إذ يقول: إننا لا ننشد النافع والضروري إلّا من أجل الجمال))[٥].

---

(١) في علم الجمال ، هنري لوفافر :١٢ .

(٢) ينظر :علم الجمال الاستطيقا ، دنيس هوسيمان: ١٢.

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١١ .

(٤) علم الجمال (الاستطيقا): ٢٤.

(٥) المصدر نفسه : ٢٥ .

لم تكن لأرسطو ((نظرية في الجمال تحدّد معنى أو مفهوم الشيء الجميل ، بل قدّم شرحًا فقط لعملية الحكم الجمالي من دون تعريفه وبيان خصائصه ووجوده بوصفه ظاهرة جمالية ، ونقض آراء أستاذه أفلاطون فأشاد بمفهوم المحاكاة وقصره على الفنون نافيًا شمولها كل أنواع الإبداع ، ولاسيما النظر الفلسفي ، وأكد أنّ الفن ليس محاكاة الجميل في ذاتهِ ، وإنما هو محاكاة للطبيعة كما تتجلّى وتظهر، لكن وفقًا لمعيار عقلّي كلّيّ ، فالفن مكمل للطبيعة ، والجميل ليس مفارقًا وإنّما هو موضوعي كامن في الواقع، وقد فَصَل أرسطو موضوع القيمة الجمالية عن القيمة الأخلاقية))[١].

ويرى أرسطو أنّ الكائن الحيَّ العاقلَ الذي يضيف شيئًا إلى الطبيعة، أو يحاكي مثالًا موجودًا يرقى إلى الجمال، وعبّر عن ذلك في قوله ((كلُّ شيء في الوجود هو محاكاة لمثال لا تقع عليه العين ، وكل عمل فني هو محاكاة لعمل جميل موجود، أو متصور تقع عليه العين، أو يجلوه له الفكر، أو يصوره له خياله، وليس جمال الحياة قائمًا على جمال الموضوع فالجميل والقبيح من مظاهر الطبيعة والحياة يمكن أن تمدا أهل الفن بموضوعاتهم حتى يكون هنالك جمال الجمال، أو جمال القبح فيغدوا الجميل أجمل مما هو والقبيح أشد إثارة واشمئزاز)) [٢].

يلحظ أنّ موقف أرسطو يتجه إلى الواقع وإلى تقليد هذا الواقع ، ولكن التقليد، أو المحاكاة لا تعصف تماماً بالصور الواقعية ، بل هي نماذج واقعية يحاكيها الفنان من دون أن يدخل على طبيعتها الحسية الواقعية تعديلاً جوهرياً يخرج بها عن طبيعتها الحسية ويلحقها بأصلها المثالي ، كما هو الحال عند أفلاطون ، بل هو تعديل تظهر فيه أثر الصنعة الفنية والتكامل والخلق الفني في نطاق الواقع[٣].

من ذلك يمكن أن نطلق على موقف أرسطو ((بالموقف الموضوعي الواقعي؛ لأنّ الفنان حسب قول أرسطو يستمدُّ عناصر فنه من الواقع ولكنّهُ يحدّدها ويعدّلها لكي تسمو عن الواقع ، ولكن في نطاق الواقع أيضًا ، فلا ترقى إلّا مصدر مثالي

(١) علم الجمال (الاستطيقا): ١٣.
(٢) الوعي الجمالي في الخطاب الفلسفي (هيجل نموذجاً)، ركماوي عبدالله ، (رسالة ماجستير) : ١٥.
(٣) ينظر : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة :١٥ .

متعال ، ولهذا فإننا نحس بأنه يمكن أن تكون للفنان فاعليته في مثل هذا الموقف بحيث تتأثر الموضوعية بتدخل الفنان وأثره الشخصي إذ هو الذي يتسامى بالصور الواقعية عن طريق خلقه الفني))[١] .

فأرسطو هنا يوضح أن الابداع ينشأ من الفنان نفسهُ حين يعطى الفرصة لذلك بخلاف ما قاله أفلاطون، ومما يجدر بالإشارة إليه أن أرسطو لم ((يضع نظرية في الجمال وإنما اقتصر فقط على إعطاء فكرة عن الفن، وفرقّ بين فكرة الجمال وفكرة الفن)) [٢].

فلسفة الجمال عند المسلمين:

إذا انتقلنا إلى فلسفة الجمال عند المسلمين نجد لفلاسفة المسلمين أثرًا للجمال في مؤلفاتهم الفكرية ومباحثهم الفلسفية ؛ إذ تميزت فلسفتهم للجمال ببعدين مثّل البعد الأول منها واقعهم التاريخي وأساليب الحياة الاجتماعية والثقافية التي كانوا يمارسونها ، إذ اتخذوا من الفن منطلقًا للتعبير عن الجمال بوصفه إبداعًا إنسانيًّا لأشياء جميلة ((ولاسيّما في عصر الازدهار الحضاريّ حيث أقبلوا على الفنون وشغفوا بها وقدروها ، وكتب السير والأدب والتاريخ مليئة بعديد من المواقف التي تنم عن استحسان أو تقدير للأعمال الفنية ، وأن نظرة المسلمين إلى تذوّق الجمال لم تكن تستند إلى الإدراك الحسي فحسب بل كانت ترتبط اللذة بما هو جميل، بإدراك ذهني يكشف عن جمال المضمون ومدى عذريته وأصالة تركيبه)) [٣].

إذ نجد الفارابي (ت:٣٣٩هـ) في كتابه رسالة التنبيه على سبيل السعادة الجمال عنده مرتبط بالسعادة، أو يرى أنّ الأفعال الجميلة موجودة في الإنسان وباستطاعتهِ تطويعها وباختياره، وبالأفعال الجميلة تنال السعادة [٤]، ونيل السعادة يتحقّق بجودة التمييز عند الإنسان، والتي تختلف من إنسان الى آخر[٥] .

---

(١) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة :١٩.

(٢) الأسس الجمالية في النقد العربي :١٣.

(٣) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة : ٢٠-٢١ .

(٤) ينظر : رسالة التنبيه على سبيل السعادة :١٨٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٤ .

ويرى ابن سينا (ت:٤٢٨هـ) أنّ الرغبة في خوض الجمال أمر فطري داخل جميع الكائنات الذكية وأن الجمال مصدره جمال الخالق المطلق ، إذ يملك كلٌّ خلق من خلقهِ درجة جمالية تختلف عن الآخر[١] ، إذ يقول : ((لا يمكن أن يكون جمال، أو بهاء فوق أن تكون الماهية عقلية محضة ، خيرية محضة ، بريئة عن كلِّ واحد من أنحاء النقص واحدة من كل جهة ، والواجب الوجود له الجمال والبهاء المحض (...) ، وجمال كل شيء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له (...) ، وكل جمال ملائم ، وخير مدرك فهو محبوب ومعشوق (...)، وكلمّا كان الإدراك أشد اكتناهًا وتحقيقًا، والمدرك أجمل وأشرف ذاتًا ؛ فالتذاذ القوة المدركة إياه يكون أكبر))[٢].

وتتضح نظرة ابن سينا الجمالية كذلك ((في حديثهِ عن الجمال الإلهي أكثر من حديثه عن الجمال الموضوعي ، ...، فهو يتحدث عن جمال الله وجمال المعقولات وهو الجمال الحقيقي لا النسبي)) [٣].

وكان التوحيدي[٤] (ت: ٤١٤هـ) ممّن تحدّث عن الجمال ووضع له أسسًا دينية قائمة على دعوة الإنسان إلى التسامي لمعرفة الخالق مُوجد الموجودات[٥]، فيرى أنّ ((الموجودات كلها تستمد جمالها من كونها قبل أن تكون بالفعل موجودة بالقوة في العلم الإلهي، فهي تستمد جمالها من جمال مصدرها الذي كانت عليه قبل أن تكون))[٦].

---

(١) علم الجمال والخط الاسلامي ، بحث مقدم على هامش معرض الحروف الخالدة ، متحف الشارقة للحضارة الاسلامية ، الشارقة ٢٠٠٩ ، www.alkhaleej.ae .

(٢) ينظر : النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية الإلهية : ٢٤٥.

(٣) القيم الجمالية لدى بعض مفكري الاسلام ، ابو حيان التوحيدي وابن الدباغ نموذجاً، د ايمان عبد المؤمن محمد سعدالدين ، استاذ العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الاسلامية ، الاسكندرية ، جامعة الأزهر : ٩٦٩.

(٤) التوحيدي :علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي اديبا نحويا لغويا ، فيلسوف متصوف، مسلم ، من أعلام القرن الرابع الهجري ، ينظر : تاريخ بغداد وذيوله ،للخطيب البغدادي :٢١ / ١٤٨ .

(٥) ينظر فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي د. حسين الصديق ، دار القلم العربي ، سوريا ، حلب ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٣هـ ، ص٩٣.

(٦) المصدر نفسه : ٩٤.

فبسبب بيئة التوحيدي التي عاشها ، وتأثّر الدين بالجدل الكلامي، جعلت التوحيدي يقرر بأنّ ((صفات الله وأفعاله هي من الحسن في غايتهِ لا يجوز أن يكون فيها وفي درجتها شيء من المستحسنات ؛ لأنّها هي سبب حُسْنِ كلّ حَسَن، وهي التي تفيض الحسن على غيرها ، إذ كانت معدنه ومبدأه ، وإنّما خالت الأشياء كلها الحسن والجمال والبهاء منها وبها فمصدر الجمال الأرضي هو الله مثال الجمال، وخالق الوجود ، ومثال الجمال لا ينشأ ولا ينعدم فهو خارج الزمان والمكان والحركة ...، وهو يفيض بالحسن على الأشياء كلها ؛ لأنها من معدنه ، وصدرت عنه وإنما استمدت الأشياء جمالها منهُ))[١].

ثم بيّن التوحيدي أنّ القيمة العليا للجمال تكمن حين ترتبط بالعقل ؛ لأنّ ((جمالية الأشياء مستمدّة من الجمال الإلهي فإنّ الوصول إلى هذا الجمال لا يكون عن طريق الحواس وإنما عن طريق العقل وحده ، فالحواس مهالك مضلة والعقول مما لك مدلة))[٢].

ويشير أيضًا إلى نوع آخر من الجمال ، وهو ((الجمال المادي الذي يدركه الإنسان عن طريق الحواس ، وبشكل نسبي خاضع للتطور الاجتماعي[٣])).

فضلًا عن ذلك فإننا نرى التوحيدي يربط الجمال بالمنفعة فيرى أنّ الشيء ((الذي يؤديه غاية خيرة تفيد الإنسان في علاقاتهِ مع الواقع ...، فهو جميل))[٤] ، إذًا فالجمال من وجهة نظر التوحيدي هو جمال مطلق يحكمه العقل، وهو أسمى أنواع الجمال .

إنّ الجمال عند المسلمين ارتبط بالجمال الإلهي ((فميّز الغزالي(ت:٥٠٥هـ) بين طائفتين من الظواهر الجمالية ، طائفة تدرك بالحواس ، وطائفة ثانية هي ظواهر

(١) فلسفة الجمال ومسائل الفن : ٩٤-٩٥ .
(٢) فلسفة الجمال ومسائل الفن: ٩٥.
(٣) المصدر نفسه: ٩٦.
(٤) المصدر نفسه : ٩٩.

الجمال المعنوي التي تتصل بالصفات الباطنية وأداة إدراكها القلب ، فالقلب أو الوجدان هو قوة إدراك الجمال المعنوي))[١].

والمتتبع لفلسفة الجمال عند الغزالي يلحظ أنّه أشار إلى ثلاث ظواهر جمالية حسية ، ووجدانية ، وعقلية ، وكما يرى أنّ تطبيق مبدأ الحلال والحرام لا يتعلّق بظاهرة الجمال نفسها وما يصاحبها من لذة وسرور بقدر ما يعود إلى كنه الجمال ومدى ارتباطه بالحلال والحرام في نظر الشرع [٢].

أمّا فلسفة الجمال لدى الفخر الرازي [٣] (ت:٦٠٦هـ) فنجدها في حديثهِ حين فرّق بين اللذة العقلية، واللذة الحسية فرأى أنّ اللذة العقلية تمثل الجمال الخلقي والمعرفي ، أي جمال العلم والفضيلة[٤] ، إذ أن ((الخلق ملكة نفسية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة))[٥]

فكانت فلسفته تؤكد على التفسير بالعقل، وأصول الأخلاق، فيرى أنّه ((لا قيام للفلسفة الخلقية إلّا على العقل وحده ما دام العقل هو مصدر الإلزام الخلقي))[٦] .

---

(١) علم الجمال (الاستطيقا) دنيس هوسيمان: ١٤.

(٢) ينظر: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة :٢٤.

(٣) الفخر الرازي (٥٤٤– ٦٠٦هـ) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري ، أبو عبدالله ، فخرالدين الرازي ، الامام المفسر ، ولد في الري واليها نسب ، ثم رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ، وتوفي في هراة ، الف الكثير من التصانيف منها مفتاح الغيب ، ومعالم أصول الدين ، ولوامع البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات ، وغيرها ، ينظر : الاعلام : ٣١٣/٦

(٤) تفسير الرازي ، لفخر الدين الرازي :٤٦/٢٥ ، وينظر: فلسفة الجمال في القرآن : ٢٨.

(٥)تفسير الرازي :٣٠ / ٦٠١ .

(٦) الآراء الفلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي دراسة تحليلية نقدية ، أ.م .د . عبدالله محمد كريم ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد :١٤، العدد:٢، سنة ٢٠١٩م ،(بحث) : ٣٩٥.

فلسفة الجمال عند الإمام علي (عليه السلام) :

لا شك أنّ الجمال من ألمع صفات الإنسان التي أشاد بها القرآن الكريم للدلالة على قدرة العلي العظيم وإبداعه في خلقه ، ولكن للجمال فرعين أساسينِ وكلاهما مهم جدًا في حدّ ذاته، وهما: (جمال ظاهر وجمال باطن)، فجمال الظاهر، هو (حسن لصورة) أي أن نهتم بمظهرنا وأن يكون مريحًا ولائقًا ومحببًا لنا ولأحبتنا ولكلّ من يرانا، وأمّا جمال الباطن وهو(حسن العقل)، فحسن العقل هو الذي يقودك الى (حسن الصورة)، فإذا كان عقلك جميلا وتفكيرك جميلا سيتبدل الى كلمات جميلة، وتصرفات جميلة، وعادات جميلة، وبذلك إلى(شخصية جميلة)، ومن ثم إلى (مظهر جميل)، لكن هناك ثُلّة لا يهتمّون بالمظهر ويحسبونه أمرًا دنيويًّا، فيزهدون عن هذه الأمر المهم، جاهلين أو متجاهلين... ولو أنّهم أدركوا أهمية ذلك ومدى تأثيره الخارق في نفوس أحبائهم ومن حولهم لما زهدوا فيه، فعن الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (الريح الطيّبة تشدّ القلب).

من هنا فإنّ الإمامَ عليّ (عليه السلام) نظر الى الجمال كونه وَحْدة كلّيّة لا تتجزأ في الطبيعة، وتتبع من الإنسان ذاته وجاءت فلسفة الإمام علي للجمال من أنّ:

١- الجمال في الطبيعة هو تسخير الله سبحانه وتعالى لكل أسباب تكامل الحياة، وما على الأرض، وما في السماء قد سخره الله لخدمة الإنسان، وراحته الدنيوية ولا بأس من تحقيق الجمال النفعي كما هو الحال في الاستفادة من الظواهر الطبيعية التي تساق بأمر الله كالمطر والرياح، وما تنبت الأرض، وما زين الله به الكون من معالم وأجرام فجعلها خاضعة لإرادة مسخرة لنفع الإنسان في الدنيا.

٢- جاء الفارق بين نظرة الفلاسفة القدماء وبين نظرة الإمام علي (عليه السلام)، للجمال أنّه نظر (عليه السلام) من زاوية دينية روحية مسؤولة ترتبط بالخالق سبحانه وتعالى بينما نظر بعض من فلاسفة الغرب الى ماديّة الجمال ، وهذا يعني أنّ فلسفة الإمام (عليه السلام) هي فلسفة دينية ملؤها الإيمان بالله وإحالة كل نوع من أنواع الجمال له ، فلا طبيعة تخلق ذاتها بذاتها، وتلك نظرة بعض الفلاسفة أصحاب النظرية المادية .

٣- إنَّ فلسفة الجمال في الحياة، هو جمال زائل بزوالها بينما في الحياة الأخرى جمال دائم سرمدي لما بعد الحياة وهذه النظرة ركز عليها الإمام علي (عليه السلام)، من خلال خطبه بأنّ ما نراه من جماليات في الحياة الدنيا، هو مثال يسير عن جمال الأخرة ودليل ذلك مبدأ الزهد الذي سار عليه الإمام علي (عليه السلام)، وهو تطبيق حياتي قائم على أساس مراعاة الحدود.

٤- الانتفاع بالجمال عند الإمام علي (عليه السلام) من خلال ضوابط معينة تأخذ بلطف النظر كسب رضا الله بمعنى الانتفاع محدد وفقًا لمحددات وضعها الله سبحانه وتعالى بينما نجد أن بعض الفلاسفة يؤمنون بمطلق الجمال من حيث لا حدود للانتفاع به .

وعلى أية حال فإنّ فلسفة الجمال عند الإمام علي (عليه السلام)، مختلفة في بعض جوانبها ومتفقة في جوانب أخرى ، والاختلاف يكمن في مصادر الجمال فعند الإمام علي (عليه السلام) الجمال نفح إلهي أمد الله به الكون؛ لإسعاد الإنسان شريطة الالتزام بضوابط وحدود وضعها الله.

والتوافق بين الفلاسفة جميعًا وبين الإمام علي (عليه السلام) هو أنّ رؤيتهم للجمال من خلال النظريات الفلسفية، هو بذات المعنى ، ظاهري وباطن وأنّ فلاسفة الغرب اهتموا بالجمال الظاهر بينما دعا الإسلام وعلى منهج الإمام علي (عليه السلام) إلى توافق الجمال الظاهري والباطني بمعنى جمال المظهر والمضمون ، وهذا نجده في رؤية وفلسفة الإمام علي (عليه السلام) وفلسفته للجمال، إذًا رؤيته للجمال كلها نفعية نابعة من كونه مسؤولًا عن الأمة؛ لأنّه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين.

نهج البلاغة :

اسم وضعه الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) على الكتاب الذي جمع فيه المختار من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه ، وجعله يدور على ثلاثة أقطاب : الخطب والمواعظ ، والعهود والرسائل ، والحكم والآداب ، وفيها تصوير لحياة الإمام (ع) سواء قبل الخلافة أم بعدها [١] .

وفي وصف هذا الاسم عنوانًا للكتاب، يقول الشيخ محمد عبده : ((لا أعلم اسمًا أليق بالدلالة على معناه منه ، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب ، بأزيد مما دلّ عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار))[٢].

يعدُّ نهج البلاغة من الآثار المهمة، أو النادرة فإذا ما نظرت إليه من ناحية الشكل ، أو ناحية المضمون ، وجدته من الآثار التي تقل نظائرها في التراث الإنساني على ضخامة هذا التراث فضلًا عن كونه سراجًا في وسط السماء المظلمة[٣]. وهذا ليس غريبًا إذا ما عرفنا أنه كلام لشخصية فريدة في التاريخ الإنسانيّ على مختلف المستويات كتب فيها العلماء والمفكرون والأدباء عنها الكثير، وفي جميع مجالات العطاء الإنسانيّ وفضلًا عن فصاحته وبلاغته فقد كان (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيّد البلغاء بعد رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ وصف كلامه الفصحاء والبلغاء بأنّه ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة))[٤].

بلاغة الإمام عليّ (عليه السلام) في نهجه لا تقتصر على النصوص الواسعة؛ وإنما تدخل حتى في السطر الواحد ، ففي قوله (عليه السلام) ((**قِيْمة كُلّ أمرئ ما يحسنه**))[٥] يقول الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) ((لو لم نقف من هذا الكتاب إلا على

(١) ينظر : مصادر نهج البلاغة وأسانيده : عبد الزهراء الحسيني :١/ ١٠٥.

(٢) نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده :١/ ٤ .

(٣) ينظر : دراسات في نهج البلاغة :السيد محمد مهدي شمس الدين:١٠ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد :١ /٤٨.

(٥)المصدر نفسه : ١٨ /٢٣٠ .

هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ، ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، وغير مقصرة عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان عزّ وجل قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله))[١].

فضلًا عن ذلك فإنّ أسلوب الإمام (عليه السلام) يتجلّى لك بالثروة من الألفاظ العربية في مفردها ومذكرها ومؤنثها ، وحقيقتها ومجازها ، والمجازات والكنايات في معرض أنيق وقالب بديع ، والإيجاز الدقيق مع الإطناب في مقامه ، ويظهر ذلك في فقراته ، وسجعاته الفريدة ، التي يجمل بكل أديب أن يحفظ الكثير منها ليكون بيانه التكوين العربي السليم، والمحسنات البديعية في نمط ممتاز من جناس إلى طباق وترصيع والى قلب وعكس ، والجرس والموسيقى وجمال الإيقاع مما يدركه أهل الذوق الفني[٢] . وقد وقع بعض الباحثين في التشكيك في صحة نسبة النهج إلى الإمام (عليه السلام)، أو كونه مِنْ وضع جامعه، الرضي، وغيرها من التشكيكات[٣]، وقد وقف العلماء عند هذه التشكيكات و الشبهات الدائرة حول صحة نسبة النهج إلى الإمام علي (عليه السلام) ورد بعضهم هذه التشكيكات ، فضلًا عن أنّ بعضهم حاول أن يؤكد دفاعه عن صحّة نسبة النهج من خلال عرض المصادر التي ذكرت كلام الإمام علي (عليه لسلام) ساعة إلقائه، وقبل جمع النهج، وفي عصر جمعه وما بعده [٤] ، ولكنّ النصوص المختارة هي كلها من كلام الإمام علي (عليه السلام) ويتوافر على ذلك الكثير من الأدلة التاريخية والنصية والعقلية التي أسهب في إيرادها الباحثون[٥] ، وعمل الشريف الرضي فيه مثل العمل الذي يقوم به صناع الدواوين

---

(١) البيان والتبين : الجاحظ :٨٧/١ .

(٢) ينظر : مصادر نهج البلاغة وأسانيده :١١٣/١ .

(٣) ينظر : فضائل الإمام علي ، محمد جواد مغنية :٣٠٢ ، و رسائل ومقالات ،الشيخ السبحاني :٥ /٧٩٥ .

(٤) ينظر : موسوعة الإمام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ : محمد الريشهري :١٠/ ٢٧٩ وما بعدها .

(٥) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٦/١ ، ٩ وموسوعة الإمام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ : :١٠/ ٢٧٩ وما بعدها .

والمجاميع الشعرية الذين جمعوا شعر الشعراء الكبار في دواوين حفظتها وصارت تتداول على مر التاريخ .

وقُسِّم نهج البلاغة على ثلاثة أقسام : الأول الخطب والأوامر ، والثاني الكتب والرسائل ، والثالث الحكم والمواعظ ، وقد سمّاه (نهج البلاغة) لتقريب طلاب العلم إليه؛ ولأنه يفتح للناظر أبوابًا فضلًا عن ما فيه من حاجة للعلم والمتعلم[١].

تضمّن كتاب نهج البلاغة من ((عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية ما لا يوجد مجتمعًا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان (عليه السلام) مشروع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها))[٢].

توالت الشروح على (نهج البلاغة) ، التي تجاوزت (الخمس وعشرين) شرحًا؛ لأهميتهِ وأهمية صاحبه التي رأى أصحابها فيها نقطة ضوء للقارئ ؛ ليفهم من خلالها كلام الإمام علي(عليه السلام) العالي في بلاغته ومن أبرز هذه الشروح :

١- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزليّ (ت: ٦٥٦ هـ) .

٢- شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ) .

٣- شرح نهج البلاغة للسيد عباس علي الموسوي .

وعليه نجد أنّ بلاغة وبيان نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)، يبقى محط أنظار الباحثين على مرّ العصور وهو أثمن مادة لغوية بعد القرآن الكريم لما فيه من دُرَر في كلّ مجالات اللغة العربية (صوتها، وصرفها، ونحوها، ودلالاتها) هذه المجالات الأربعة سجّلت أعجوبة لغوية في مجالات بلاغية لم يصلها البلغاء العرب وهذا ما يجعل من نهج البلاغة مدرسة لغوية قائمة بنفسها.

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد :١/ ٧ .

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الهاشمي الخوئي : ١/ ٣ .

الفصل الأول

أثر القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة

المبحث الأول : أثر القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة

المبحث الثاني: أثر القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة البعيدة

rawpixel

عُرّفت القرينة في لغة العرب بأنّها ذلك الإلهام اللغوي الذي يتحرّى الكشف عن اللفظ من خلال بعديهِ الظاهر والمضمر، وإن إيجاد معادل بين القرينة اللفظية، والقرينة السياقية يمثل إشكالية لدى الباحثين الساعين إلى تقصّي الألفاظ مبناها ومعناها وقد وجد معظم الباحثين أنّ القرينة، هي تلك المسافة بين دلالة اللفظة الظاهرة، ودلالة اللفظة المضمرة التي يحاول المتكلّم إيصال المعنى للمتلقّي بأسلوب تأثيري يحرّك فيه الرغبة في الكشف والاستطلاع(١) .

إنّ السياق التركيبيّ اللفظيّ يختار من معاني الكلمات التي يتألف منها معنىً واحدًا ينسجم معه؛ لأنّ الكلمة لا تحمل كيانًا مستقلًا منفصلًا عن السياق تمامًا (٢)، فاللفظة ((في كلّ مرّة نستعمل فيها جوًا يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوّعة التي في وسعها أن تدل عليها))(٣)، وعليه فإنّ السياق اللفظي اللغوي يتكوّن من ((ضم الكلمات بعضها إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى، وهي مجتمعة في النص))(٤) .

بهذا المعنى فإنّ المقصد المراد إيصاله من المتكلّم إلى المتلقّي، هو بالتأكيد لن يصل إلّا من خلال السياق التركيبي الذي ترد فيه اللفظة داخل تشكيل مقصود، فيه من الأدلة، أو القرائن التي تشير إلى المعنى؛ لتدل عليه ، والقرائن أبقى وأوضح، ومن هذه القرائن وأهمها القرائن اللفظية، لذا تُعدُّ القرينة اللفظية مرتكزًا أساسيًّا من مرتكزات الدلالة، من هنا لابد أن نستعرض أولا : القرينة وتقسيماتها، ونتحدّث عنها؛ لأنّها نالت اهتمامًا كبيرًا عند العلماء، منهم الدكتور تمام حسان من المحدثين الذي قسمها بحسب تأثيرها ودورها في التركيب، والدور الذي تؤدّيه في إظهار المعنى التركيبي بعد تضافرها، فكان منها قرائن لفظية صوتية، مثل، قرينة النبر وقرينة التنغيم، وقرائن صرفية متمثلة بقرينة الصيغة، وقرينة المطابقة، وقرائن نحوية وهي

(١) ينظر : دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان :٦٣-٦٥ .

(٢) ينظر اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز : ٨٣ .

(٣) اللغة ، فندريس : ٢٣١ .

(٤) الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش :٥٢.

قرينة الإعراب، وقرينة الرتبة، وقرينة التضام، وقرينة الربط، وقرينة الأداة، أمّا القرائن المعنوية، فتمثلت بقرينة الإسناد، وقرينة التبعية، وقرينة التخصيص، وقرينة الشبه[١].

ووفقًا لما ذهب إليه د. حسان فإن القرينة تتنوّع وفقًا لما يناسب سياق اللفظ ودلالته فمثلًا القرينة اللغوية، قُسِّمت على قسمين : (لفظية ومعنوية)؛ لإنّ ((القرائن اللغوية بنوعيها، اللفظية والمعنوية، تتضافر بعضها مع بعض في تبيان المعنى الصحيح، فلا خير من الاستغناء عن واحدة منها، وإقامة إحداها مقامها))[٢]، إذاً فإنّ القرينتين اللفظية والمعنوية مرتبطتان مع بعضيهما، إحداهما تكمّل الأخرى ولا انفصال لهما، ومن ثَمَّ يأتي بعد ذلك شأن التحكم في الأساليب اللغوية التي تحقق مقاصد المتكلم[٣] إلّا أنّ بعض الانفعالات والتعبير عنها، فإنّ سياقاتها تحتاج إلى قرائن لتدل عليها، قرائن دلالية تؤكد المعنى العام وتشير بطرفٍ خفيٍّ إلى المعنى الخاص العميق والمقصود، وهو ما يوضّحه السياق؛ لذا نحتاج إلى قرائن دلالية في هذه المواضع لإظهار المعنى العميق، وهذه القرائن، هي القرائن اللفظية، والقرائن الحالية، والقرائن السياقية .

إنّ موضوع بحثنا هو أثر المعنى الجمالي في كلام الإمام علي (عليه السلام) يحتاج إلى إعمال فكر وجمع أدلة وقرائن للوصول إلى الدلالات المقصودة من كلامه (عليه السلام) في إظهار الجمال، وهو الرجل الذي ينطق بقصد ويتكلم بحكمة وبأسلوب بياني فصيح عالٍ جدًا، فهو يختلف عن غيره في تذوّق الأمور الجميلة، وتحسس الجمال فيها لدرجة الحاجة في بعض المواضع إلى إعمال فكر، وجمع قرائن وأدلة، وأول هذهِ القرائن وأفضلها، هي القرائن اللفظية التي تهتّم بالأدلة اللفظية والعلاقات السياقية التي قبلها، وما بعدها من ألفاظ[٤] .

إنّ القرائن بشكل عام والقرينة اللفظية بشكل خاص تتضافر مع اللفظ الذي يتضمن المعنى الظاهر، أما لإظهار ما خفي من دلالة باطنة، غير واضحة، أو

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان : ١٩٠ – وما بعدها .

(٢) القرينة في اللغة العربية، كوليزار كاكل عزيز : ١٤١.

(٣) ينظر : النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، هناء محمود : ١٧٠ .

(٤) ينظر : مناهج البحث في اللغة، تمام حسان : ٢٣٣.

لتقوية المعنى اللفظي في إظهار المعنى الآخر، وهو ما نستخلصه من أقوال الإمام علي (عليه السلام) من تقوية للمعنى الجمالي في كلامه، أو اظهاره .

تحمل اللفظة المفردة وهي أصغر وحدة لغوية في التراكيب معنى معجميًا عامّا، ولا يمكن إيضاح دلالتها إلاّ من خلال تسييقها ؛ أي وضعها في سياقات مختلفة، وهو ما ذهب إليه العالم الإنكليزي (فيرث، Firth) من خلال(نظرية السياق)[١]؛ لأنّ اللفظة لا دلالة لها إلا في داخل السياق[٢]، الأمر الذي جعل بعض المحدثين يشبه السياق، وتشابك وارتباط الألفاظ داخله، بنسيج (العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة)[٣].

ولا شك فإنّ السياقات وتشابكها وارتباط الملفوظ مع ملفوظ آخر، هو من يفضي إلى القرينة بوصفها دلالة من الدلالات التي سعى خلفها عدد كبير من الباحثين لفرز كل قرينة مستقلّة، ثم مزج هذه القرائن بأواصر وعلاقات متشابكة جعلت من عملية الكشف عن القرينة من الأمور التي تتطلب جهدًا كبيرًا وتمحيصًا دقيقًا .

إنّ الوحدات المعجمية في أيسر مفاهيمها، هي دلالة على معنى اللفظة، ويمكن الحصول عليها من المعاجم اللغوية، التي تتناول بيان معانيها، وهي خارج التركيب[٤] . بمعنى أنّ الألفاظ ومعانيها هو شأن معجمي شغل أهل المعاجم حتى استنفذوا من خلال معاجمهم معاني اللفظ .[٥]

نلحظ من ذلك أنّ تحديد المعنى الدقيق داخل السياق، هو من شأن الدلالة فالسياق يأخذ من اللفظة معنىً واحدًا؛ لأنّ ((كلَّ كلمة نواة صلبة من المعنى – ثابتة – ويمكن تكييفها بالنص ضمن حدود معينة))[٦]، إلا أنّ بعض السياقات،

(١) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر : ٦٨ .

(٢) ينظر : دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان : ٥٧ .

(٣) اللغة والمعنى والسياق : ٨٣ .

(٤) ينظر : علم اللغة، عبد الواحد وافي :٤٧، وعلم الدلالة ، احمد مختار عمر :٣٦-٣٧ .

(٥) ينظر : منهج البحث اللغوي، علي زوين : ١٨٥ .

(٦) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين : ٩٤-٩٥.

يكون المعنى فيها ضبابيًا وغير واضح لأسباب متعددة، فيحتاج إلى قرائن من داخل السياق (لفظية) لإيضاحه، والوصول للمقصد.

إنّ السياق تركيب يضمُّ ((الكلمات بعضها إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى، وهي مجتمعة في النص))[١].

نفهم من ذلك أنّ الدلالات اللفظية والمعنوية تتضافر مع بعضها لتحقق لنا القرينة التي تقودنا إلى السياقات الدقيقة من وراء اللفظ .

إنّ ترتيب القرائن السياقية في السياق قد تأتي متقدمة[٢]، أو متأخرة[٣]، أو مكتنفة[٤]، أي تأتي من الجهتين[٥] ، ((وأصل الكلمة بدوره ليس قائمًا بذاته))[٦]؛ إذ إذ هي في كل مرة تستعمل جوًّا يحدّد معناها بشكل مؤقت، فالسياق هو الذي يفرض المعنى المناسب للكلمة داخل السياق[٧] .

فضلًا عن أنّ الصور الجمالية يمكن تلمسها عند رجل يتسم كلامه أنّه فوق كلام البشر ودون كلام الخالق؛ إذ المعايير الجمالية عنده مكثفة وفي بعضها مختلفة؛ لأنّه يرى ويتذوق ما لا نراه أو نتذوقه من جمال ، لذا فإنّ القرائن اللفظية هي الطريق في بعضها للوصول إلى المعنى المراد من كلام الإمام علي (عليه السلام)، وبعضها الآخر لتقوية الدلالة الجمالية في كلامه، وهو موضوع بحثنا الذي نتناول فيه – بإذن الله (تعالى)– تحديد القرائن ومجاورتها لبعضها ودلالاتها من خلال إظهار المعنيين الظاهر، والمضمر .

---

(١)الدلالة السياقية عند اللغويين :٥٢.

(٢)القرينة المتقدمة :هي قرينة لفظية سابقة لما يُفسر ، دالة عليه

(٣)القرينة المتأخرة : قرينة تفسر المبهم وتحدد معناه في سياق الألفاظ

(٤)المكتنفة : هي القرينة التي تحيط بالنص توضيحا وتفسيرا مع التأكيد على معناه .

(٥) ينظر : دور الكلمة في اللغة : ٥٧، والتأويل اللغوي في القرآن الكريم: ١٠٣.

(٦) دروس في الألسنية العامة ، فرديناد دي سوسير :١٩٣ .

(٧) ينظر : اللغة، فندريس :٢٣١ .

المبحث الأول

أثر القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة

أدّت القرائنُ اللفظية أثرًا واضحًا في إظهار المعنى الجمالي في كلام الإمام علي (عليه السلام) ، إذ تقسم القرائن اللفظية بدورها على قسمين؛ سياقية، وغير سياقية، فأمّا السياقية فيقصد بها مجرى الكلام ونسقه، وهو أن يكشف اللفظ المفرد، أو المركب عن معنى لفظ مفرد، أو مركب قريب منه غير ناءٍ عنه نأيًا يخرجه عرفًا وواقعًا عن أن يكون (سياقاً) ، والقرائن فيه قد تكون متقدمة، أو متأخرة [١]، أو مكتنفة تتضافر لإظهار المعنى الجمالي.

أما القرينة اللفظية غير السياقية، فتكون في غير مجرى الكلام، وهذا النوع من القرائن يحتاج إلى إعمال جهد ومتابعة الكلام لإظهار المعنى الجمالي.

إنّ الكلام الذي يحمل دلالتين، في النص تستخرج الدلالة الأولى فيه من اللفظ فتكون دلالة واضحة ظاهرة، والدلالة الثانية، هي العميقة التي نصل إليها عن طريق الأساليب التي يوظّفها المتكلّم في تجسيد المعنى الباطن وتتعلّق قوة الدلالة بنوع الأسلوب البلاغي وطريقة التوظيف، (فيشبّه، ويكنّي، ويستعير)، كما هو الأمر في فنون البلاغة العربية .

المطلب الاول : الإنسان:-

إن للقرائن اللفظية أثرًا كبيرًا في إظهار المعنى الجمالي في نهج البلاغة وهذا ما نلحظه في النصوص الخاصة بالطبيعة القريبة، وجميعها سياقية داخل النص[٢] .

وأول معنى جمالي قريب في نهج البلاغة، هو ما ذكره الإمام علي (عليه السلام) في وصف الإنسان وخلقه، إذ وردت ألفاظ دالة عليه في خطبة (عليه السلام)؛ يتحدث فيها عن خلق الإنسان، و شكله، وملبوسه، وأخلاقه، وحسن تقويمه، وصفاته، وغير ذلك من الأمور التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على الإنسان وجمّله بها؛ لتميزه عن غيره من المخلوقات، فكان له الكثير من الصفات والسمات المعبرة عن إبداع الخالق (عزّ وجلّ)، فما ورد من أمثلة عن القرينة السياقية في كلام الإمام علي

(١) ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين، أ.د. عواطف كنوش :٥٢ .

(٢) ينظر : القرينة في اللغة العربية، كَوليزار كاكل عزيز (أطروحة) :٥٥ .

(عليه السلام)، لإظهار المعنى الجمالي من خلال وصفه للإنسان المؤمن، كما في قوله(عليه السلام): **(ألا وإن اللّسانَ الصَّالحَ يجعله الله تعالى لَلمرْء في الناس، خَيْرُ له من المَالِ يُوْرِثُه مَنْ لا يَحْمَدُهُ)**[١].

جسّد الإمام علي (عليه السلام) جمال أخلاق المؤمن من خلال وصف لسانه بالصالح، وهو كناية عن الخُلُق الطيب بمقابلة مع صورة أخرى، توازيها منزلة في الدنيا وهي المال، إذ فاضل بين صفة معنوية (اللسان الصَّالح وهي صفة مشبهة)، وبين صفة مادية، وهي (المال)، فوصف اللسان بالصَّالح، والمقصود هو الكلام الذي يخرج منه، والذي يكون طيّبًا؛ لأنّ اللسان يخرج منه الكلام الطيب، وغير الطيب، لذا حددت قرينة التضام المتمثلة بالوصف [٢] نوع اللسان ولولا هذه القرينة؛ لأصبح الكلام عامًّا وغير دقيق؛ فأسهمت هذه المفاضلة بشكل واضح في إظهار المعنى الجمالي بشكل أكبر للأخلاق، وأسهمت قرينة التضام في تكثيف المعنى الجمالي ، وهي إحدى القرائن اللفظية الفعّالة في تحديد المعنى وإيضاحه؛ إذ إنّ طبيعة الكلمة في السياق عادةً تتطلّب وجود كلمة أخرى تتضافر معها، لاكتمال المعنى[٣] .

ومن خطبة له (عليه السلام) في خلق الإنسان: **(أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ شُغُفِ الْأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقًا[٤] وَ عَلَقَةً مِحَاقًا[٥]، وَ جَنِينًا وَ رَاضِعًا وَ وَلِيدًا وَ يَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَ لِسَانًا لَافِظًا وَ بَصَرًا لَاحِظًا لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً)** [٦].

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٧ /٢٨٨ .

(٢) ينظر :اللغة العربية معناها ومبناها :٢٢٣ .

(٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢١٦، الخلاصة النحوية، د. تمام حسان :٨٠.

(٤) دهاقا : من مادة (دهق) بمعنى ملىء، ومنه دهقتُ الكأس اي ملأتُها، ودهق الماء بمعنى افرغهُ ومنه ايضا نطفةً دهاقا اي نطفة قد افرغت افراغا شديدا . ينظر :الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :٤/ ١٤٧٨، تاج العروس : ٢٥ / ٣١٤ .

(٥) محاقا : من مادة (محق)، والمحق بمعنى النقصان وذهاب البركة، والمُحَاقُ والمِحاقُ: آخر الشَّهْر إذا امَّحق الْهلَال فَلم ير، المحكم والمحيط الأعظم :٣ /٢٧، وينظر : لسان العرب :١٠ / ٣٣٩ .

(٦) شرح نهج البلاغة :٦/ ٢٦٩.

تضمّن هذا النص أطوارًا متتابعة لخلق الإنسان بدءًا من الحاضنة التي حرص الإمام (عليه السلام)، على اقتباسها من التعبير القرآنيّ، وهي (الأرحام) فَطَور النطفة، ثم العلقة، ثم تكوين الجنين، وكلّها من دقائق المعاني القرآنية التي تأثّر بها الإمام (عليه السلام)، التي تعدُّ قرينةً غير سياقية في إظهار جمالية خلق الله (عزّ وجلّ) وعظمته، كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ﴾ [الحج :٥].

جسّد الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص أطوار خلق الإنسان بصورة غاية في الدقة والنظام والجمال نابعة من عقل مفكر، ومبدع يرى ما لا يستطيع إدراكه العقل البشري من جزئيات الأشياء، وصغائرها، فالعين (لاحظة) هي من اللحظ، واللحاظ: مؤخر العين عند الصدع[١]، ومنه قولنا: لحَظه بالعين: أي راقبه وظلَّ يلحظه بعينيه حتَّى بعُد واختفى[٢] ، وقد خصّها الإمام علي (عليه السلام) من دون غيرها من أنواع الرؤيا؛ لأنّ الملاحظة تعني مراقبة الشيء وتسجيل ما يبدو لغرض علمي، أو عملي كمراقبة نمو النباتات، أو حالة مَرَضية أو علاجية ... [٣]، أي مراقبة الشيء بدقة متناهية وبكل جزيئاته الصغيرة قبل الكبيرة . أما القلب الحافظ فيعني التحفظ والاحتراس بالكلام[٤]؛ لأنّ القلب مستودع الأسرار والمشاعر وكل ما يعتري الإنسان من أحاسيس، واللسان اللافظ يعني ما يلفظ بهِ من الكلمات[٥]، إذ هي ممّا أنعم الله بها على الإنسان ليميّزه عمن سواه من المخلوقات، وهي صفة مستمرة وثابته، فهذهِ الصفات الثلاث تُكمّل الصورة الجمالية للإنسان عند الإمام (عليه السلام)، فوصفها بألفاظ أضافت إلى السياق معنًى وتناغمًا لا يمكن

(١) ينظر : جمهرة اللغة :٥٥٣/١ مادة (لحظ)، ومجمل اللغة لأبن فارس :٨٠٤ مادة (لحظ) .

(٢) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة :٣ / ١٩٩٧ مادة(لحظ) .

(٣) ينظر :المعجم الوسيط ٢ / ٨١٨، ومعجم اللغة العربية المعاصرة :٣ /١٩٩٨، مادة (لحظ).

(٤) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة :١ / ٥٢٣ مادة(حفظ) .

(٥) المصدر نفسه :٣ / ٢٠٢٢ مادة (لفظ).

لغيره أن يحلَّ محلَّها، واستعمل الإمام (عليه السلام) لوصف هذه الأجزاء، صيغة (اسم الفاعل) وهي إحدى القرائن اللفظية[١]، التي تدل على الاستمرار والتجدّد[٢]، فمنح الصورة الجمالية الديمومة والاستمرارية، ووصف (عليه السلام) أجزاء الإنسان بوصف دقيق وعجيب مستعينًا بقرينتي التضام والأداة[٣] ؛ إذ وصف(القلب بالحافظ، واللسان باللافظ، والبصر باللاحظ) هذه الأجزاء من خلق الإنسان التي ذكرها الإمام (عليه السلام)، وهي :(القلب، اللسان، البصر)، هي أوعية تحمل صفات القبح كما تحمل صفات الجمال؛ إلّا أنّ الإمام مال إلى ذكر صفات التضام (الوصفية) (الحافظ، واللافظ، واللاحظ) لتكون قرائن سياقية متصلة متأخرة لوصف جمال خلق الإنسان، وهي من صفات القلب الجميلة، واللافظ من صفات اللسان وفائدته وشرط وجوده واللاحظ، هي من صفات البصر الذكية والجميلة، وهذه الصفات توصل إلى جمالية كمال خلق الإنسان ، فجاءت المركبات الوصفية متلاحقة ؛ من أجل تصوير التناسق العجيب للخلق الإنسانيّ .

إنّ تكثيف وصف الإمام علي(عليه السلام) لهذه الصفات الجمالية الثلاث فقط ليثبت أنّها مما ميّز ربّ العالمين في خلق الإنسان في أكمل وأجمل صورة، وتفرّده عمّن سواه من المخلوقات، وهي الصفات الثلاث السابقة، وهو وصف بديع مسجوع، غاية في الدقة والتصوير؛ إذ يتجسد الإبداع في خلق الله (جلّ وعلا) للإنسان، فهو سيّد المخلوقات جميعًا منحه الله تعالى العقل والحكمة وخصّه بحسن وجمال المظهر، إذ قال (عز وجل): ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين:٤] ، وهي في الوقت ذاته وظيفة جمالية نفعية[٤] مستمرة ومتجددة .

ومن كل ما تقدّم نستنتج أنّ لغة الخطبة من حيث اللفظ جاءت منسجمة مع شرف المعنى وحكمة الخلق، وما نسج من صورة بديعية تضمنت القرائن التي ربطت

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٥؛ أثر القرائن اللفظية في تحديد المعنى، سلمة موجاري (رسالة ماجستير) : ٤٣ .

(٢) ينظر : اوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، ابن هشام :٣ /١٨١، وأثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط ، أحمد خضير عباس علي (اطروحة دكتوراه) : ٧٧.

(٣) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٥، وأثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط :١٥.

(٤) ينظر : في النقد الجمال الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، أحمد محمود خليل :٢٩٨ و٣٠٦ .

الواقع بالمتخيل من الخلق وحسن المؤدّى وهذا ما شكّل العمق الجمالي للمعنيين الظاهر، والمضمر .

ومنها أيضًا قول الإمام علي (عليه السلام) في وصف الرسول، وأهل بيته (صلى الله عليهم جميعًا) : ((**شجرتُه خيرُ الشَّجرِ، أغصَانُها معتدِلةٌ، وثمارُها مهتدلةٌ**))[١]. وهنا استعار (عليه السلام) لفظة الشجر لأصل الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) وبأفضل الشجر، واختار الشجر من دون غيره من النبات؛ لأنّه يتميّز بالعطاء النفعي الدائم، سواء أثمر أم لم يثمر فهذهِ الاستعارة [٢] لم تكن اعتباطًا، أو سهوًا وإنما جيء بها لتدل بكل ما تحملُهُ من معاني الجمال والبهجة والبهاء، فرؤية اخضرار الشجر بطبيعة الحال يسرُّ النظر، ويبهج القلب، ويأسر الروح، ثم خصّها بعد ذلك بصفتين مهمتين تميزها أكثر لتبين سبب اختياره لها، وهما أولا : أنها صاحبة أغصان معتدلة وهي كناية عن استقامتهم[٣]، فهم يسيرون على نهج واحد ومبدأ واحد، وينهلون من عين واحدة. وثانيا: أنها ذات ثمار مهتدلة وهي كناية عن عطائهم الوفير والدائم[٤]، فهم باب مدينة علم الرسول، وعلمهم شامل لجميع العلوم[٥]، وهو وصفٌ غاية في الروعة والجمال والدقة في اختيار المفردات وتصويرها لما أراد التعبير عنه، مما أدى إلى إخراج لوحة فنية متكاملة الجمال جانس فيها بين صورتين، ليقربها إلى إفهامهم ويخرجها بصورتها النهائية.

نرصد مما تقدّم أنّ الإمام علي (عليه السلام)، ضمّن قرينة التضام، (الصفة والموصوف)[٦] التي جعلت لوحته التشبيهية تنبض بالحياة إذ وظَّفَ الجمال المادي (الشجر المثمر المستقيم)، ليصف به جمالًا معنويًا بالقرينة اللفظية، وهي أخلاق رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته، وهو جمالٌ ذو معيار وظيفي نفعي؛

(١) شرح نهج البلاغة ٩ / ٢٣٧.
(٢) ينظر : اسرار البلاغة في علم البيان، للجرجاني :٣١.
(٣) ينظر :المثل السائر في ادب الكاتب، ابن الاثير:٣ / ٥٨ .
(٤) ينظر :علم البيان،عبد العزيز عتيق :٢٠٣ .
(٥) ينظر : بحار الانوار، للعلامة المجلسي :١٨ /٢٢٤ – ٢٢٥ .
(٦) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :٢٢٣ .

إذ ((كل ما يؤدّي وظيفته جيدًا يبدو جميلًا))[١] ، ونلحظ من ذلك أنّ قرينة التضام[٢] في انسجام المفردة السياقية المتأخرة المتصلة (المعتدلة) (المبتدأ والخبر)، قد أظهرت المعنى الجمالي أكثر لأغصان الشجرة، وهو المطلوب بشكل دقيق، وأيضًا القرينة اللفظية الثانية السياقية المتصلة المتأخرة (مهتدلة)، التي مثلت نوع الثمار، وهو أجود الثمار؛ لأنّه في أوج نضارته، بعد افتقار معانيه وألفاظه في قرينة التضام بيّن الصفة والموصوف، فكان الإمام (عليه السلام) دقيقًا في وصفه، واختياره للألفاظ؛ ليضع أمام المتلقي صورة جمالية متكاملة معبرة ليس فيها نقصٌ، أو عيب وتنبض بالحياة .

ولمتتبع النصّ الخطابيّ في أعلاه يرصد بلا شكّ الجمالية في ذوبان المفردات مع بعضها من حيث استعمال الأساليب الفنية الإبداعية في اللغة، منها الكنايات التي، حققت أغراضها في التأثير والإيحاء، والسرّ في ذلك أنّ الإمام كان دقيقًا في اختيار الفاظه وعباراته، إذ توخّى منها ما يرى فيه قوة ووضوحًا وجمالًا، ليحمّله المعاني والأفكار التي يريد نقلها إلى المجتمع، فخرجت ألفاظه وعباراته غاية في الرصانة والسبك والوضوح، تحمل في طياتها أفكارًا سامية، تحقق التأثير في المتلقين، إذ إنّ غاية ما يسعى الإمام إلى تحقيقه، هو التأثير والإقناع لصدق إحساسه، وعباراته والإحاطة بدقائق الأمور في الوصف، الأمر الذي ينتج عنه قوة التأثير في قلوب المتلقين .

وممّا يزيد الصورة جمالًا وتعبيرًا جمال الصورة الكنائيّة في نقل المعنى الذهني إلى هيأة، أو حركة تجسّمها الحالة النفسية الشعورية في لوحةٍ أو مشهد[٣]، لذا نجد في خطاب نهج البلاغة أنّ للكناية مكانةً مهمةً لما له من أثرٍ في تصوير المعنى فهو شكل يعبرُ عن الخلق الفني المنبثق من رؤية المبدع وإحساسه، وجاء الإمام علي (عليه السلام) معبرًا في هذا السياق عن مواقفه من ذلك ما ورد في القرينة السياقية اللفظية المتأخرة في قولهِ (عليه السلام) : **(أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّد) صلى الله**

(١) في النقد الجمالي : ٢٩٨.

(٢)ينظر :القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق سورة الأنعام أنموذجا، سليمان بوراس (رسالة ماجستير) :٣٤.

(٣) ينظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)،د. محمد احمد قاسم، و د. محيي الدين ديب :٢٤١ .

عليه وآله وسلم)، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَتَاكُم مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ)[1].

المطلب الثاني : الحيوان

نال الحيوان الاهتمام الكبير من لدن الإمام علي (عليه السلام) ، فأطنب فيه وفي ذكر أدق تفاصيله؛ ليصل بذلك إلى توحيد الخالق وعظمته واعجازه في خَلْقِهِ ، فذكر الطاووس ، والخفاش ، والنملة ، والجراد ، والحمام ، وغيرها من الحيوانات التي تحتاج إلى وقفة وتأمل ، فمنها مَن ذكرها بشكل موجز ، ومنها مَن ذكرها بشكل مفصل ، ومن الحيوانات التي ذُكرت بشكل مفصل ، الطاووس ، والخفاش ، والجراد، وأن السبب بهذا التفصيل ، هو ما يحمل من معلومات لا يعرفها العربي في وقته ، إذ هي دعوة للتأمل ولتقوية إيمانه ، وهي تدل أيضاً على العلم الغزير الذي يحمله الإمام (عليه السلام) ، بقرينة قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): **((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا))**[2]،التي تظهر معرفته بالحيوان من خلال وصفه الدقيق للعديد من الحيوانات وبيان صفاتها وخصائصها؛ ثم جاء من بعده مّمن تنبه لوصف الحيوان وألّف فيه كتبًا مفردة مستقلة، مثل كتاب (الحيوان) للجاحظ وكتاب (حياة الحيوان) للدميري [3] .

أمّا العلم الحديث، فقد درس الحيوان دراسة دقيقة بأجهزة عالية الدقة وبعد إخضاع الحيوانات للتشريح ولاختبارات وتجارب عديدة، وإذا ما تمت مقارنة وصف الإمام علي (عليه السلام) لهذه الحيوانات مع ما توصل إليه العلم الحديث لا نجد اختلافًا أبدًا، بل بالعكس نجد أن معلومات الإمام علي (عليه السلام) أكثر دقّة على الرغم من أن مجتمعه لا يضم هذه الحيوانات ، وهذا يثبت أنه رجل كونيّ عالم

(١) شرح نهج البلاغة :٧ /٨٤.

(٢) ينظر : تهذيب الآثار مسند علي، محمد بن جرير الآملي :٣ /١٠٥، ومستعذب الأخبار بأطيب الأخبار، أبو مدين الفارسي :٣٢٤، منتهى السؤول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عبد الله بن سعيد الحضرمي :٣ /٣٤٦ .

(٣) ينظر: الإعجاز العلمي عند الإمام علي، لبيب بيضون :٧٥ .

بكل شيء [١].

لذا نجد بعض الصور المجسّدة في وصف هذه الحيوانات التي وردت في نهج البلاغة وكأنّه يعلم معاشها، وطبيعتها، فجاءت الخطبة مليئة بالقرائن التي تحتاج للمزيد من التركيز، والتمحيص، والتدقيق، لإدراك المعاني الجمالية الناجمة عن القرائن اللفظية، والسياقية، والقرب، والبعد من الهدف المراد بلوغه من الخطبة .

نقتطف من ذلك بعضًا منها، وهي ما يصف فيها الطاووس وعجيب خلقه، فيقول: **(تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِىَ مِنْ فِضَّة، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ، وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ. فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأرض قُلْتَ: جَنِىٌّ جُنِىَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيع، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْملابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِىِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الَيمَنِ، وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوص ذَاتِ أَلْوَان، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ. يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَهُ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ ؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْت يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِانَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاَسِيَّةِ. وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنُبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كالأبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةِ مُلْبَسَةِ مِرْآةً ذَاتَ صِقَال، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرِ أَسْحَمَ؛ إِلاَّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأقْحُوَانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ. وَقَلَّ صِبْغٌ إِلاَّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْط، وَعَلاَهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالأزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيع، وَلاَ شُمُوسُ قَيْظ. وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عسْجَدِيَّةً. فَكَيْفَ تَصِلُ إِلى صِفَةِ**

(١) ينظر: بول س.أجوتر ودينيس إن.ويتلي (٢٠٠٨). والتفكير في الحياة: تاريخ وفلسفة علم الأحياء والعلوم الأخرى . سبرينغر: ٤٣، نقلاً عن علم الحيوان https:::stringfixer.com:ar:Zoology (بحث).

هذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ؟! وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْوَهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ! فَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالأَفْيِلَةِ! وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلاَّ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلاَّ وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ) [1].

إذا أمعنا النظر في هذا الوصف الجميل، نلحظ أمورًا عدّة، منها جمال اللفظ، وحسن التعبير الذي درج عليه الإمام (عليه السلام) وامتاز به، والتصوير البلاغي بأساليب عالية الدقة لتقريب الدلالة المقصودة، وهو أمر ملحوظ في غالبية النتاج المأثور عنه، وخاصة في خطبه؛ حتى أنّ بعض النصوص تتحول إلى غابة كثيفة من الصور الجمالية الخلّابة المتتابعة الأفكار، والمعاني بشكل لافت للنظر.

إنّ وقوفنا عند وصف الإمام (عليه السلام) للطاووس، يكشف عن مدى العناية بهذا العنصر الجمالي في النصوص الأدبية، وهو توظيف الصورة؛ للتعمّق في الحقائق بتصوير فني يقرب الفكرة عند المتلقّي، كما أنه (عليه السلام)، حرص على أداء اللغة بصورة فنية رفيعة مليئة بالتشبيهات والاستعارات الجميلة .

إنّ توظيف الإمام (عليه السلام) لمظاهر الطبيعة وموجوداتها في نتاجه، يأخذ مستويات مختلفة راعى فيها عقلية السامع، أو المتلقي، من حيث تركيباتها، وأشكالها، وسياقاتها التي ترد فيها، فالسياق، هو ((الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة، أو هو الأسلوب الذي ترد فيه اللفظة فتكتسب توجّهًا دلاليًا من ذلك الأسلوب، وقد ترد فيه سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى))[2]، فبالغ في الوصف ودقق فيه، وقرّبه بصورة، أو شكل معهود عند السامع ليقرّبه إلى الذهن، ومن هذه الصور الوصفية التقريبية وصفه (عليه السلام) لرأس الطاووس وألوانه بدقة متناهية، وتقريب

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد : ٩ /٢٧١ و٢٧٣ – ٢٧٥، ذكرت الخطبة كاملة على طولها؛ لتظهر الأساليب المراد تحليلها بنّية بوضوح، وتجنب ذهاب فضل أساليبها البلاغية بالتجزئة .

(٢) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية، د. احمد نصيف الجنابي : ١٦٢، نقلا عن التأويل اللغوي في القران الكريم دراسة دلالية، د.حسين حامد الصالح: ٤٨ .

واقعي، بديع بصور استعاريّة زاهية الألوان تحفل بها الطبيعة، فكان الإمام (عليه السلام) خبيرًا ضليعًا في مزج الألوان وتمثيلها بأشكال وأساليب مختلفة، من مثل اللون الأخضر والأصفر والأحمر والأبيض والأسود وغيرها، بسياق لغوي ترتبط فيه الكلمة بعلاقات قويّة بما قبلها وما بعدها من كلمات تعدُّ قرائنًا، وهو يشمل كل ما يصاحب اللفظ من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء كانت هذه الألفاظ متقدمة أم متأخرة، أم مكتنفة من الجانبين.

إنّ الإمام (عليه السلام) ذكر اللون الأخضر مرّات عدّة في وصف جمال الطاووس، في قوله: "**لَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ**[1] **خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ** [2]، (...) ، **يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ**"، ومنه قوله (عليه السلام) في الخطبة ذاتها (**وإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ...**) [3]، فوصف (عليه السلام)، جمال شكل وألوان رأس الطاووس بوصف تقريبي للأذهان دقيق، مستعينًا بقرينة التضام[4] الوصفية، إذ استعار لفظة القنزعة لتمثيل رأس الطاووس، ليقرّب الصورة إلى ذهن المتلقّي ، وقد لوّنها بلون الخضرة الذي ينبض بالحياة والجمال، بالقرينة اللفظية السياقية المتأخرة المتصلة في قوله (الناضرة)، أي المفعمة بالحيوية، ممتزجة ومخلوطة به، بصيغة اسم الفاعل التي تدل على الدوام والتجدد[5]، إذ القرينة اللفظية السياقية المتأخرة (الناضرة)، كان لها دور في تقوية المعنى الجمالي الحسّي لشكل رأس الطاووس.

ويستمر وصف الإمام علي (عليه السلام) لألوان ريش الطاووس بشكل تفصيلي، وتحديدي للألوان بصورة أدق، في قوله : ((**ذاتها وإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ**

(١) القُنزُعَة هي الخَصْلة من الشعر تُتْرَك على رأس الصبي: العين: ٢ / ٢٩٢، باب الرباعي من العين (قنزع).

(٢) موشاة : وشى الثوب : زخرفه، حشّنه بالألوان ونمنمه ونقشه .. وشّى القماش: اضفى الوانا مختلفة على خيوطه . وملابس موشاة : مزينة مزخرفة . ينظر : مختار الصحاح :٣٣٩مادة (وشي) ، وتاج العروس :٤٠ / ٢٠١– ٢٠٢مادة (وشي).

(٣) شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٧٣.

(٤) ينظر : اللغة معناها ومبناها :٢٠٥؛ القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق سورة الأنعام أنموذجا:٣٤ .

(٥) ينظر: أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، أحمد خضير عباس علي(أطروحة دكتوراه):١٥.

شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ...))، إذ بيّن أنّ ريشة الطاووس الواحدة تتضمن ألوانًا تمتزج فيما بينها بتموج جميل لتنتج لونًا آخر، غير المتعارف عليه، فالأحمر بتموجه مع بقية الألوان يكون مشوبًا وغير خالص، فيصبح ورديا، والأخضر يمتزج مع غيره من الألوان ويتموج فيصبح زبرجديًّا .

إنّ الإمام (عليه السلام) هنا وصف اللونين (الأحمر والأخضر) في ريشة الطاووس بشكل دقيق، ليظهره بصورة أكثر جمالية، مستعينًا بقرينة التضام الوصفي، ليصف بها (الحمرة) بـ(الوردية)، و(الخضرة) بـ(الزبرجدية)، وهي صفات مشبّهة تدلُّ على ثبوت و دوام صفة، اللون فيه[١].

تبيّن مما تقدّم أنّ للسياق أثرًا كبيرًا في الكشف عن الدلالة الجمالية في الألفاظ والتراكيب، وهي في نصها، أي صورتها التركيبية، لا في صورتها المعجمية (وهي الدلالة الأساسية) ؛ لأنّ للألفاظ دلالتين :

الأولى : الدلالة المعجمية، وهي المعنى المفرد[٢]،وتشمل هذه الدلالة أيضًا الاشتقاقات الصرفية، وأبنيتها[٣] .

الثانية : الدلالة السياقية، أي معناها داخل السياق[٤]، و(التركيب) . يتضح من ذلك أن للسياق أثراً في فهم الألفاظ بدلالتها التي يقصدها المرسل إذ لا يمكن فهم كلمة من النص فهماً حقيقياً تاماً إلاّ مع الكلمات الأخرى ذات الصلة التي تُحدد معناها .

وممّا ورد في وصف الطاووس تشبيهه بالأزهار، كما ورد في قوله: **(فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأرض قُلْتَ جَنًى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ .... فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَيَنْبُتُ تِبَاعاً فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ)**[٥] .

ورد في هذه الخطبة وصف دقيق للطاووس بصورة تشبيهية جميلة، بيّن شكله، وشكل الأرض في حال اخضرارها وظهور الأزاهير على سطحها، أي إنّ (نبت

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :٩٩ .

(٢)ينظر :علم الدلالة : ٣٦-٣٧.

(٣) ينظر : علم الدلالة العربي، .فايز الداية: ٢٠-٢١ .

(٤) المصدر نفسه :٢٠ ، ٢٢.

(٥) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٢٧١ و٢٧٤ .

الأرض شبه به شكل الطاووس الخارجي)، وإذا كان الحديث عن ريش الطاووس فإنّ قرينته على الأرض تلك الواحات الغناء بالأزاهير على اختلاف ألوانها، فما وهب الله سبحانه وتعالى للطاووس من شكل يجعل الذهنية الإنسانية تتحرك لإجراء مقاربة بين بديع خلق الله في الطاووس وبديعه في خلق النبات والأزهار.

وقد ابتدأها (عليه السلام) بجناس بديع، تمثل بلفظتي (جَنَى وجُنِى) فجاءت الألفاظ وفقا لما نطق العرب للفظين معا فمرة جاءت جنى اسمًا ومرة جاءت فعلًا، وهو يدل على انسيابية اللفظ وسلاسته وعذوبته(١) .

إنّ المركب الوصفيّ (الأزاهير المبثوثة)، يحمل دلالة جمالية واضحة على ما تتزين به الأرض في موسم الربيع وهطول المطر، الأمر الذي يحيلها إلى صورة جذابة ليصف بها شكل الطاووس؛ لكن من دون مطر ربيع ولا شمس صيف فشبه ألوان ريش الطاووس بالأزهار المأخوذة من كل ربيع من دون مطر، ومن دون شمس صيف؛ إذ استعمل التضاد في تشبيهه؛ لتقريب الصورة أكثر(٢) ، بالقرينة اللفظية التي يتأرجح التشبيه فيها في التضام المتلازم بين المضاف والمضاف إليه (٣)، وهي قرائن لفظية سياقية متأخّرة وصفت الطاووس في قولهِ (أمطار ربيع) التي تعدُ قرينة جمالية لفظية مستقلة؛ إذ جمع (عليه السلام) المطر بجماله وعطائه مع أجمل الفصول وأروعها ألا وهو الربيع الذي تزدهر فيه النباتات وتخضرُّ الأشجار لتكون واحة خضراء جميلة وملونة بأزهارها وثمارها بمختلف الألوان والاشكال .

ورود ذكر الأزاهير، والأغصان، والشجر الخاصة بالنبات، تشبيهات جمالية تعود في وصف الإمام (عليه السلام) للطاووس، فهي عبّرت عن موطن الجمال فيه، فكانت الألفاظ السابقة (الأزاهير المبثوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شموس قيظ)، هي قرائن لفظية سياقية جمالية وصف فيها الإمام (عليه السلام) جمال ألوان ريش الطاووس بمنتهى الدّقة .

(١) ينظر : مناهج البحث في اللغة :٢٣١.

(٢) ينظر: الربط في اللفظ والمعنى، محمود عكاشة : ٣٥٧.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :١٣٥، والقرائن العلائقية وأثرها في الاتساق سورة الأنعام أنموذجا :٣٥.

كما أنّه (عليه السلام) وصف الطاووس بنبات الأقحوان؛ ليذكر عجيب وعظمة خلقه مع التمعّن في صفاته ولونه، فكان ذلك من إبداع الخالق (عزّ وجلّ).

لقد تعامل الإمام علي (عليه السلام) مع الجرس اللفظي للمفردة حتى جاءت متناغمة وذات صدى جميل في الأذن ، والجرس اللفظي، هو ذلك الصوت المفضي إلى التناغم والانسجام بين الوحدات اللفظية (الفونيم)، أصغر وحدة صوتية في اللفظ [١] كما في النص السابق[٢]، وليس من اليسر على أي مبدع أن يأتي بأسلوب التنغيم الجرسي للفظ إلا إذا كان متمكّنًا من كل فنون اللغة، وهذا ما اتسم به كلام الإمام(عليه السلام) في كل نهج البلاغة .

ولم تقتصر تشبيهات الإمام علي (عليه السلام) للطاووس على الطبيعة الخلابة، بل شملت أيضًا ألفاظ الطبيعة الصناعية في وصف الطاووس؛ لأنّها تدلّ على الرفاهية، وذلك عند ذكره للإبريق والمرآة وغيرها من التشبيهات التي وصف بها الطاووس وألوانه الزاهية، فيقول في ذلك: **(وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالأَبْرِيقِ، وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ[٣] أَسْحَمَ[٤]؛ إِلاَّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأَقْحُوَانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ)**[٥] .

إنّ الطبيعة بمفهومها العام تقسم على قسمين، هما، أولها : الطبيعة التي نشأت بأمر الله سبحانه من دون تدخل الإنسان، والأخرى : الطبيعة التي تدخّل الإنسان في صناعتها وأبدع فيها، منها تشبيه عنق الطاووس بالإبريق، فجاء الوصف دقيقًا ومعبِّرًا ومنسجمًا؛ إذ إنّ عنق الطاووس يشبه الإبريق، وإذا كان عنق الطاووس من خلق الله تعالى فقرينته ما خلق الإنسان بيده وهو الإبريق، وما بين العنق الذي خلقه الله طبيعيًّا وبين الإبريق الذي خلقه الإنسان صناعيًّا ورد مكمّل الجمال في إجراء

(١) ينظر :علم الاصوات، كمال بشر :٤٩٦ .

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن ابي حديد :٩ /٢٧١ .

(٣) معجر : من مادة (عجر)، وهو الثوب الذي تتزين به المرأة، ينظر :كتاب العين :١:٢٢٢ .

(٤) أسحم : من مادة (سحم) بمعى الأسود، ينظر :جمهرة اللغة :١ /٥٣٥ ، ومعجم مقاييس اللغة :٣ / ١٤١ .

(٥) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٩ / ٢٧٣.

مقاربة جمالية بين الصورتين؛ لتقريب الصورة للسامع الذي لم يرَ طاووسًا أبدًا في حياته، لذا كان وصف الإمام (عليه السلام) قد خلطه بأشياء موجودة وقريبة من المتلقي ليجذبه إلى صورة تمثيلية حيّة تنبض بالحياة في وصف جميل، لتشكّل معه شكل الطاووس .

وإذا كانت الصورة التي وردت في خطبة الإمام علي (عليه السلام) تقريبية تشبيهية، فالقصد منها تحريك ذهنية المتلقي بين الوصفين المختلفين، وإيجاد العلاقة القائمة بين الطبيعي والمصنوع، هو ذات العلاقة القائمة بين قرينتي الصورة الملموسة والصورة المتخيّلة، لأن الأشياء في معظمها يفهمها الإنسان من خلال البصر؛ إلّا أنّها قد تفهم من باب آخر، وهو باب التخيّل، والدلالة التي تفضي إليها الصورة هي أحداث تنشيط لذهنية المتلقّي لإجراء مقاربة بين الصورة والمتخيّل.

وتفضي هذه الخطبة إلى جملة من الحقائق في مقدمتها دقة وبلاغة الوصف فليس الغرض منه وصف الطاووس كطير بوصفه طيرًا، بل تجسيد عظمة الله سبحانه في خلقه .

نلحظ في وصف الإمام علي (عليه السلام) لشكل الطاووس وألوانِهِ مزاوجة في تشبيهاته بين الطبيعي والمصنوع، فمن المصنوع ما شبه به عنق الطاووس بالإبريق، والمرآة، والثوب الملفح، وبين ما هو طبيعي غير مصنوع .

إنّ القرائن اللفظية السياقية الجمالية المتأخرة في جمالية هذه الخطبة تركّزت في جمل بعينها، وهي جمل غاية في الدقة والوصف، بتركيبات (كمصبغ الوسمة اليمانية)، و (كحريرة سوداء ملبسة مرآة ذات صقال)...؛ لأنّ دلالتها لا يمكن تحديدها ما لم تنظم في سياق ... فهذه الألفاظ وغيرها لا يمكن معرفة أيٍّ من معانيها، هو المراد على وجه التحديد إلّا بالقرينة[1]، فوردت الصورة الجمالية منسجمةً مع فهم الإنسان مع تقريب الشيء الموصوف للذهن من خلال ما هو مألوف عند المتلقي؛ لتيسير الفهم بما يعزز الجانب الدلالي لعموم الخطبة .

وممّا يمكن رصده في قول الإمام إشارة إلى إبداع الإنسان في عناصر الطبيعة الصناعية، فقد شبه عنق الطاووس بالإبريق، كما شبه تلك الهيأة بالمعجر أي الثوب

(١) ينظر : التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية : ١٢٤.

الذي ترتديه المرأة [١]، فكانت هيئة هذا الطير وكأنه مغطّى بالثوب، فظهرت ألفاظ الطبيعة الصناعية في هذه التشبيهات التي أراد بها الإمام (عليه السلام) أن يُقرّب نصه الخطابي، ويجمله للسامع، وَشبّه المخلوق بعظمة خلق الخالق، وهو (الطاووس)، بالمصنوع بيد المخلوق (الإبريق، والثياب، والمرآة)، وهذا الأمر يدل على دلالتين، الأولى : تقريب الصورة التشبيهية للمتلقّي بأشياء يعرفها ليتخيّل ويتعرّف على الموصوف[٢]؛ لأنّ العربي دائما يميل إلى تجسيد الأشياء ليفهمها.

الثانية: أنّ المصنوع قد يصل لدرجة الكمال في الجمال والإبداع في الصنع .

فكانت هذه الخطبة الشّريفة ((على غاية بلاغتها وبديع أسلوبها وعجيب نظمها؛ مسوقة لشرح أوصاف الطّير لا سيّما الطّاووس، والغرض منه التّنبيه على عظيم قدرته سبحانه و لطيف صنعته والإشارة إلى عجائب ما أبدعه سبحانه في الملك والملكوت، لتتنبّه من رقدة الغفلة، و يتحصّل لك كمال المعرفة))[٣].

ثم يمعن الإمام علي (عليه السلام) في وصف جمالية مغرس هذه الرقبة بدقة المتذوّق والراصد لأدق الأمور فيذكر أنّ مغرزها أي مثبت عنقه؛ (كصبغ الوسمة اليمانيّة) في الخضرة الشديدة الضاربة إلى السواد (أو كحريرة سوداء ملبسة مرآةً ذات صقال) في لونها المخصوص ومخالفة المرآة لها (وكأنه متلفّع)، أي مكتسٍ[٤] (بِمِعْجَر أسحم) أي بثوب كالعصابة فوق الرأس ذي سحم وسواد[٥]، (إلّا أنّه يخيّل لكثرة مائه و شدّة بريقه أنّ الخضرة النّاضرة ممتزجة به) [٦].

نلحظ ممّا سبق أنّ الإمام (عليه السلام) قد وظّف التقابل [٧] في وصف الطاووس، ممّا قوّى المعنى الجمالي، وذلك عندما وصف اللون الذي يصاحب فتحة سمعه، الذي على الرغم من مساحته الصغيرة إلّا أنّه بَانَ بوضوح جميل بسبب عدم

---

(١) ينظر : العين :٢٢٢/١، مادة (عجر).

(٢) ينظر: البلاغة العربية،عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني :٢ /١٩٥ .

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي :١٠ /٤٨ .

(٤)ينظر : العين :١٤٦/٢،مادة (لفع).

(٥)ينظر : المصدر نفسه :٢٢٢/١،مادة (عجر) .

(٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة :١٠ / ٥٧.

(٧) ينظر سر الفصاحة ، عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي : ٢٣٨-٢٣٩.

امتزاجه وبسبب وجود اللون الأبيض مع اللون الأسود الذي اتسعت مساحته فشمل جميع الرأس تقريبا، إذ بقي ناصعًا بارزًا زاد من جماليته كأنّما زرع مع الأسود بتناسق جميل، وهو دليل اعتناء الخالق (عزّ وجلّ) في اختيار وامتزاج الألوان المصاحبة مع اللون الأسود، فضلًا عن أنّ وجود اللون الأبيض الذي ذكره الإمام كان ذا وضوح أكثر من اللون الأسود؛ إذ إنّ الأشياء المتضادة تبرز وتجمل أكثر(١).

فمن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ ألفاظ الطبيعة الصناعية (كالإبريق والمرآة والثوب الملفح وغيرها) قد أضفت على النص الخطابي جمالًا معبّرًا بوصفها قرائن لفظية سياقية متّصلة متأخرة تبيّن جمالية وإبداع صنع هذا الكائن بامتزاج الألوان وتناسقها فيه، ولها وظيفة مهمة، وهي تقريب المعنى الى ذهن المتلقي.

ومن ألفاظ جمال الطبيعة الخاصة بالإنسان تلك الألفاظ التي ذكر فيها اللباس عند وصفه (عليه السلام) لهيئة للطاووس العامة، قائلًا: ((**إِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ**))(٢).

نلحظ هنا أن القرينة اللفظية المتمثلة ب (موشي الحلل) ، و(مونق عصب اليمن) شكلت معنى جمالياً واضحاً ؛ لإظهار جمال شكل وزخرفة ريش الطاووس الذي شبهه ب(موشي الحلل) و (عصب اليمن) فجعلها مثلاً يضرب لجمالهِ ، وتناسق ألوانه

وبذلك فإن الطاووس يعد من عجائب خلق الله من خلال الجمال المتجسّد في شكل الطاووس وما دام الإنسان يتفكر في هذا الخلق العجيب، فهو على صلة بالله وثقةٍ من دقّة خلقه، وإعجاز العقل الإنساني وبين المتخيّل من شكل الطاووس والمحسوس على وجه الأرض تحصل المقاربة الدلالية بين ما هو واقع من عجب وتبختر ملوك الأرض كما عجب وتبختر الطاووس، فكل النعم على الأرض تسلب بالوقت الذي يشاء الله وهذا الدرس البليغ الذي جعل من الطاووس موضوعًا في الخطبة .

(١)ينظر : سر الفصاحة :٢٣٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة :٩ /٢٧١ .

ومن المعاني الجمالية التي وردت في الخطبة أيضًا الخاصة بالطاووس، هي وصفه بالحلية التي تمثّلت، بقوله (عليه السلام) : ((**وَإِنْ شَاكَلْتَهُ**[1] **بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ**))[2].

شبّه الإمام علي (عليه السلام) ريش الطاووس بما تلبسه المرأة فتتزيّن به لتظهر بأجمل صورة، إذ شبهها بالحلي، وهو الأحجار الكريمة (الفصوص) الملوّنة المطعّمة بالذهب، أو الفضة، أو الجواهر[3]، فكان وصفه غاية في الدقّة والروعة، لذا كانت لفظة (الحلي) المتقدمة، قرينة لفظية سياقية متقدّمة متصلة زادت من جمالية وصف الطاووس، إذ الفصوص الملوّنة وتطعيمها بالفضة ليس بالضرورة أن يكون جميلًا إلّا إذا كان حلية، فتكون معيارًا للجمال .

وظّف الإمام عليّ (عليه السلام) هنا أسلوبيّ التشبيه، والاستعارة في إظهار المعنى الجمالي، وذلك بتشبيه ألوان ريش الطاووس (المشبه) بالفصوص ذات ألوان (المشبه به)، ثم بعد ذلك استعار – داخل التشبيه – استعارة مكنية لهذه الفصوص الملوّنة، وهو تشبيهها بالكائن الحي الصامت نطقته الفضة البيضاء الجميلة، فحذف الكائن الحي وأبقى لازمة من لوازمه، وهي النطق، متعاضدة مع قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية (اللجينِ المكللِ)، الأمر الذي نتج عن تضافر هذه القرائن في السياق إظهار المعنى الجمالي في النص[4] .

نلحظ أنّ وصف الإمام علي (عليه السلام) للطاووس كان مثالًا رائعًا، ليصف فيه روعة الخلق وإبداع وتصوير الخالق (عزّ وجلّ)، فكانت هذه الخطبة مليئة بألفاظ الجمال، إذ وصف لنا الإمام (عليه السلام) كل ما يتعلّق بالطاووس من جمال ذاكرًا كل الألفاظ والمفردات المعبرة .

---

(١) شاكلته بمعنى طريقته ووجهته، ينظر : جمهرة اللغة: ٢/ ٨٧٧، مادة (شكل)، اللجين هي الفضة، ينظر : تهذيب اللغة، الهروي ٥٦/١١ (أبواب الجيم واللام)، والمكلل بمعنى المحفوف بالحلي، ينظر :تهذيب اللغة :٩ / ٣٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة :٩ /٢٧١ .

(٣) ينظر : جمهرة اللغة :٥٧٢/١، مادة (ح ل ي) .

(٤) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٤ .

الحمام من الحيوانات التي وصفها الإمام علي (عليه السلام)، وهو يحيلنا إلى صور الجمال ما تجسد في هديل الحمام، إذ يقول : ((**فَو اللّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجالِ وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمامِ وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ**[1] **مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ وَخَرَجْتُمْ إلى اللّهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ الْتِماسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْها كُتُبُهُ وَحَفِظَتْها رُسُلُهُ لَكانَ قَلِيلاً فِيما أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوابِهِ وَأَخافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقابِهِ**)) [2].

عقد الإمام علي – عليه السلام – في قوله مقارنة وموازنة بين عمل العباد، خيره أُو شره، وما يقابله من أجر، أو جزاء، في جملة ومستقلة من ناحية شكل الجملة العربية (الاسمية والفعلية)، وهي جملة الشرط، التي تتكون من (فعل الشرط وأداة الشرط وجواب الشرط) [3] والأداة التي استعملها الإمام علي (عليه السلام)، هي حرف الشرط غير الجازم (لو)، وهو حرف امتناع لامتناع، ويدخل غالبا على الفعل الماضي[4] . والإمام (عليه السلام)، ذكر أنّنا لو تقرّبنا إلى الله (عزّ وجلّ)، بكلّ الطرق التي تستجلب عطفه، لكانت قليلة أمام ثواب الله (عز وجل) أو جزائه وعقابه موظّفًا حرف العطف (الواو) في تسلسلها بكونها أداة ربط إذ هي ((قرينة سياقية نحوية ربطت أجزاء الجملة بعضها ببعض))[5] .

ومن طرق استجلاب عطف الله (عزّ وجلّ) ورضاه، هي الدعاء بصوت جميل هادئ، ورخيم فيه من الأسى والأنين ما يثير عطف السامع، وأنسب صوت يمثله، هو (هديل الحمام)، بقرينة سياقية لفظية متّصلة متقدّمة، هي (دعوتم)، ودعاء الإنسان لنفسه عادة يكون بالخير، ويوظّف له كل ما يحسن من كلام فصيح وبصوت جميل يستدر به الداعي العطف من الله (عزّ وجلّ)، والقرينة اللفظية

---

(1) جأر يجأرُ إذا رفع صوته مع تضرّعٍ واستغاثة ، المحكم والمحيط الأعظم :٤٣٨/٧ مادة (ج أ ر) .

(٢) شرح نهج البلاغة :٣ /٣٣٢ .

(٣) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس: ٣٣٧–٣٣٨، و إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه ،د. زهير غازي زاهد :٤٩/١.

(٤) ينظر: الحدود في علم النحو، شهاب الدين الأندلسي :٤٤٦، و جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني :٣ /٢٥٧.

(٥) الدلالة السياقية عند اللغويين :٦٥ .

السياقية الأخرى، هي قوله (عليه السلام)، (أرجو لكم من ثوابه) وهي قرينة منفصلة متأخرة .

وهذا ما أشار اليه (دي سوسير) من أنّ ((السياق ... يتركب دائما من وحدتين متتاليتين فأكثر ... والكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها الّا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو كليهما معًا))[١] .

فكان الدعاء النقي والتوجّه إلى الله (عز وجل)، قرينة على إبداع خلق الله وتصويره لتلك الأصوات الرخيمة التي تستدعي التفكّر العقلي، والكشف عن ماهية كل صوت منها وما تعنيه في الإطار العام .

وقد كان لقرينة التضام في المركب الإضافي (المضاف و المضاف إليه)[٢] أثرٌ رئيسٌ في إظهار الجانب الجمالي لهديل الحمام، وذلك بإضافة (هديل) وهو مصدر على وزن (فعيل) وهو مضاف نكرة إلى (الحمام) المضاف إليه المعرفة، لغرض دلالي، وهو ليس نسبته إلى الحمام فقط؛ لأنّ الهديل، صوت معروف للحمام، بل جاءت أيضًا لإضفاء دلالة الرقّة والجمال للمضاف، وهو ما ذهب إليه فيرث زعيم المدرسة السياقية الذي ذكر أنّ الدلالة لا تكون واضحة إلا من خلال ((تنسيق الوحدة اللغوية))[٣]، أي وضع المفردات في سياقات مختلفة لتحديد معناها حسب السياق الذي ترد فيه .

(١) دروس في الألسنة العامة :١٨٦، وينظر : التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية :١٠٣ .
(٢) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :١٠٢.
(٣) علم الدلالة :٦٨ .

المطلب الثالث : الأرض والجبال

أولاً : الأرض

استمد الإمام علي (عليه السلام) من القرآن الكريم معاني خلق الكون فتكلم بإفاضة عن خلق الأرض وكيسها على الماء، في قوله (عليه السلام) : (**كَبَسَ**[١] **الأرض عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَ لُجَجٍ**[٢] **بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ**[٣] **أَمْوَاجِهَا،...، وَ سَكَنَتِ الأرض مَدْحُوَّةً**[٤] **فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ**)[٥] .

ورد في خطبة الإمام علي(عليه السلام) وصف طريقة خلق الأرض، فذكر أنّ الله (عزّ وجلّ)، أولًا طمّها بالتراب (كبسها) فوق الماء، ثُمّ بسطها لتستقر وتثبت لدحوها وتسخيرها لخدمة الإنسان؛ إذ إنّ طريقة خلق الأرض بهذهِ الصورة، هي قدرة إعجازية ما كانت لتحصل لولا أنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل الماء في جوفها وعلى سطحها، وهو أمر من أمور الإعجاز في الخلق، والصورة الكنائية تتلخّص في أنّ ما تحت اليابسة تلك الأمواج التي تمور كما جاء في الخطبة، والأمواج التي تتدافع مع بعضها صورة إعجازية لكيفية استقرار الأرض على الماء، وهذا ما عناه الإمام علي (عليه السلام) بانّ الأرض كبسها على أمواج مستفحلة .

وبشكل عام فإنّ الأمواج سواء كانت ظاهرة على سطح الأرض، أو كانت في جوف الأرض، فهي ضرب من ضروب الإعجاز الدال على قدرة كبيرة في كيفية تشكيل الأرض في أي صورة شاء الله أن يشكلها، وحين نسمعُ لفظ (كبس الأرض على الأمواج) فإنّ ذلك يشعرنا بأنّ الإعجاز يكمن في كيفية تشكيل الأرض على المياه .

---

(١) كبس : طم الشيء بتراب أو غيره، ينظر : كتاب العين : ٥ / ٣١٥، مادة (كبس)، وينظر : جمهرة اللغة : ١ /٣٣٩، مادة(كبس) .

(٢) لجج : لج يلج لجاجًا إذا محك فِي الأمر، جمهرة اللغة :١ / ٩١، مادة (لجج)، باب (ج م م) .

(٣) أواذي : الموج الشديد، لسان العرب : ١٤ / ٢٨، مادة (آذيُّ)، فصل الألف .

(٤) مدحوه : مبسوطة، ومَدْحى النعامةِ: موضع بيضها. وأُدْحِيُّها: موضعها الذي تفرّخ فيه، ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٦ /٢٣٣٤ – ٢٣٣٥،مادة (دحا) ، مختار الصحاح :١٠٢، مادة (دحا) .

(٥) شرح نهج البلاغة :٦/ ٤٣٧ .

إنّ تراص الماء بهذه الطريقة، هو ما جاء في معنى هذه الخطبة، بقوله على مور أمواج مستفحلة أي أنّ الأمواج تتدافع فيما بينها لتشكيل تلك البحار التي نراها.

والذي يمكن ملاحظته من هذه الخطبة الأسلوب الفني فيها وهي تعج بالاستعارات والتشبيهات، إذ إنّ (كبس الأرض) هو تشبيه لدحوها وتراصها وصلادتها، والتشبيه يكمن في الأمواج إذ شبهها بأنّها مستفحلة، ولا يصدر الاستفحال من الماء بل هو تعبير وتشبيه لقوتها وارتطامها مع بعضها، وكأنّ دحو الأرض واستقرارها في لفظِ مدحوّة يساوي استقرار وثبات الأرض، وشبّه قوّة التيار الناجم عن ارتطام الأمواج باللُجة، واللُجة تعني الحركة المتسارعة للماء في تحولاته من حالة إلى أخرى[1] ، وهذا الوصف لا يمكن نسبته إلّا لشخصية كونية عالمة بحيثيات وغيبيات الأمور، وهذا الأمر ينطبق على كلامه في نهج البلاغة جميعه، وقد تنبّه ابن أبي الحديد على السّمة الأسلوبيّة، فقال: ((تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدًا، ونفسًا واحدًا، وأسلوبًا واحدًا، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الألفاظ في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كوسطه، وأوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور))[2] .

وبذلك نلحظ أنّ المعنى الجمالي للأرض، في قول الإمام (عليه السلام) (كبس الأرض)، هو جمال نفعي الغرض منه استقرار وراحة المخلوقات بقرينة لفظية سياقية متصلة متأخرة (سكنت الأرض مدحوة في لجة تياره)، والتي أسهمت في إظهار المعنى الجمالي الحسي النفعي للأرض، وقد لعب التقابل المتمثل بـ (ثورة الموج وسكون الأرض) دورًا مهمًا في تبيانِ هذا المعنى الجمالي بصورته الدقيقة التي توضّح قدرة الله سبحانه على كل شيء في الأرض، وفي السماء .

(١) ينظر : تهذيب اللغة :٤٩٤/١، مادة (لجج)، ولسان العرب : ٣٥٤/٢، مادة (لجج).
(٢) شرح نهج البلاغة : ١/٩.

وإذا تعقّبنا هذه الخطبة في موضع آخر، لوجدنا أنّ الإمام (عليه السلام)، يواصل قوله في سياق لفظي متصل متأخر، فيقول :((**ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأرض**[١]، **الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا**)) [٢] .

أشار مضمون الخطبة إلى مسألة غاية في الدقة، وهي لا تحصل إلّا تعبيرًا عن قدرة الله سبحانه وتعالى فيما يخص المياه فوصول المياه إلى قمم الجبال واخضرارها لا يمكن أنّ يعقل إلّا أنّ الله قد سخر طريقة أخرى لري تلك المناطق الجبلية التي يعجز الماء عن الوصول إليها، فقمم الجبال والروابي لا تروى سيحًا مطلقًا مالم يُسخّر الله سبحانه وتعالى أن يهطل عليها المطر من السحاب، فالمطر الهاطل لا يسقي قمم الجبال وحدها، بل يسري على الجبل والبسيطة، ويحقق منفعة للناس لو تركت لهم ما تحققت، وهذه اشارةٌ إلى أن الله قد قدّر كُل شيءٍ تقديرًا .

ويبدو من خلال الخطبة أنّ الطريقة السجعية التي وردت فيها قد حققت جماليةً من خلال تكرار حرف (الهاء)، وهو لازمة جاءت في الخطبة بعدّ حرف الهاء من الاصوات الحلقية الرخوة المهموسة ويكون لسان المزمار عند النطق به منبسطًا[٣] وهو أيضًا من الحروف ((التي يسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها))[٤]، ورغم ورود هذا الحرف إلّا إنّ الألفاظ الثلاثة مختلفة من حيث المعنى، فمرة دلت على الجغرافية (مكانها)، ومرة دلت على الوسيلة وهي بلوغها، ومرة دلت على بعث الحياة في هذهِ الأماكن الميتة وهو (مواتها)، وفي المرة الأخرى جاءت وصفية لتشير إلى النبات المتمخض عن عملية المطر.

إنّ المعنى الجمالي للنص، هو قوله المركب الاضافيّ (جرز الأرض)، وهو جمال نفعي حسي الغرض منه راحة واستقرار المخلوقات على الأرض، بدليل القرينة اللفظية (تحيي مواتها، وتستخرج نباتها)، المتعاضدة مع القرينة المعنوية، وهي

(١) جرز الأرض : الأرض القاحلة التي لا نبات عليها، ينظر : العين :٦/ ٦٤ مادة (جرز)، و جمهرة اللغة :٤٥٥/١ مادة (جرز) ، والصحاح:٨٦٦/٣ مادة (جرز) .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٤٣٨ .

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس :٧٤ –٧٦ .

(٤) المصدر نفسه :٧٥ .

الإعجاز في إحياء الأرض؛ إذ سخّر الله الماء ليكون منتشرًا في الأرض بمختلف أشكال وجوده بأن يتخذ هذه السمة على وجه الأرض، بوصفها سببًا من أسباب الحياة والخطبة استدلت، بقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء :٣٠] ، فهنا تعدُّ مسألة الخلق منتظمة دقيقة وفق تراتبية انطلقت من أمر الله سبحانه وتعالى؛ ليصبح الماء سببًا في انتشار الجمال والحياة على الأرض، وعليه فإنّ هذه الخطبة من الخطب التي اتسمت بالجمال النفعي الحسي، والتسلسل الحدثي الذي أعطاها زخمًا جماليًّا من خلال التفسير الموضوعي لحدث الخطبة .

ثانياً :الجبال

حين خلق الله سبحانه الأرض، خلق فيها الجبال وهي من المخلوقات العظيمة التي وردت في القرآن أكثر من أربعين موضعًا[١] ، فجعلها اوتادًا تمتد في عمق الأرض لتثبيتها، فما يظهر منها على سطح الأرض، هو ثلث حجمها، وتحت الأرض الثلثان، الأمر الذي جعلها أحد أدلة إعجاز ربِّ العالمين يوم القيامة، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة :٥] .

وبسبب هذه الصفات التي تتسم بها الجبال؛ جعلها الإمام علي (عليه السلام) أحد مواضع جمال الطبيعة غير المتحركة القريبة من الإنسان، فوظف لفظ الجبال ؛ ليّبين الاعجاز في النصّ الخطابيّ، فقال في خطبة له يشير فيها إلى سكون الأرض والسيطرة على حركتها بالجبال (في صفة الأرض ودحوها على الماء): ((**وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا**[٢]**، وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ**[٣] **الشُّمِّ**[٤] **مِنْ صَيَاخِيدِهَا**[٥]**، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ**

(١) نفحات القرآن :٢ /١٧٧-١٨٨.

(٢) جلاميدها : جمع (جلمود) وتعني الصخر الثقيل، ينظر : الصحاح مادة (جلمد): ٢/ ٤٥٩، ولسان العرب :١٢٩/٣.

(٣) الشناخيب :جمع (شنخوب) وتعني أعلى الجبل، ينظر :كتاب العين:٣٢٦/٤، و القاموس المحيط :١٠٠/١.

(٤) الشم :جمع (أشم) ونعني العالي أو المرتفع، ينظر :كتاب العين :٢٢٤/٦.

(٥) صياخيدها : جمع صيخود، وتعني الصخور الشديدة، ينظر : لسان العرب :٢٤٥/٣ فصل الصاد المهملة، وتاج العروس مادة (صخد) :٨ /٢٦٥.

أَدِيمِهَا)[١].

يذكر الإمام علي (عليه السلام) أنّ سبب سكون واستقرار الأرض، هو وجود الجبال فيها، فالراسيات من جلاميدها، وهي الجبال التي تتصف بالجلاميد، وهي الصخر الثقيل، والشناخيب، وهي أعلى الجبل، أو قمته، والصياخيد، صفة ثالثة لها، وهي الصخور التي لا تعمل المعاول عليها لصلابتها وشدتها، بهذه الصفات التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) وصف الجبال وصفًا دقيقًا بيّن فيها الإعجاز الالهي في خلقها، من ناحيتين، الأولى شكلية، أمّا الثانية فهي وظيفية، إذ إنّ لهذه الجبال فائدة ووظيفة عظيمة، وهي تثبيت الأرض واستقرارها .

إذ اكتشف علماء الجيولوجيا حديثًا في نظرية تسمى (نظرية mingler) أنّ الجبال لها امتدادات ضخمة تحت سطح الأرض، وهي أكبر من الجزء البارز على الأرض، إذ يعد دراسة ميدانية عميقة لجميع جبال القارات فوجدوا أنّ التربة والمعادن التي يتألّف منها الجبل تختلف كليًّا عن التربة المحيطة به، وأنّ تربة الجبل أصلد وأقوى، وفيها من المعادن الكثير وخصوصًا الحديد حتى لونها يختلف عن التربة المحيطة به، وهذا يعني أن لها استقلاليتها، أي أنها ليست جزءًا من الأرض التي عليها[٢]، وهو بذلك يؤكد (عليه السلام) من خلال معرفته وعلمه الغزير لهذه الحقيقة العلمية الجغرافية معصوميته وكونيته، ويثبت مسألتين إحداهما علمية والثانية جمالية، أمّا العلمية فهي ما بيناه سابقًا، وأما الجمالية، فهي الشكل الظاهر لجمال تلك الجبال وهي شامخة، فشبهها بالسفن الراسية والثابتة في الماء، وهي حقيقة اليابسة أنّها ثابتة قائمة على الماء، والرواسي جمع راسية من رسا إذا ثبت وقر؛ لأنّ الأرض ترسو بها[٣]، والراسي الداخل في جوف الأرض[٤] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٤٣٧/٦.

(٢)ينظر : لولا الجبال لمالت الأرض وانقلبت وانعدمت الحياة على سطحها ، ترجمة وإعداد . أحمد سلطان (مقال) ، مجلة البيان ، ١٩اكتوبر ٢٠٠٦ https://www.albayan.ae/sports/2006-10-19-1.955044

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة مادة (رسى): ٢ / ٣٩٤.

(٤) ينظر : التفسير الكبير، الرازي ١٣٩/٢٢ .

والتعبير القرآني ما فتئ يسمي الجبال رواسي صفة لموصوف محذوف (مفعول به) ؛ أي جبالاً رواسي ، في دلالة واضحة على وظيفتها في مسك الأرض وخلق توازن يتيح الاستقرار فيها ((ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل، إلّا أنّه أمسكها بالرواسي؛ لأنّ ذلك أقرب إلى أفهام الناس وأدعى إلى الاستدلال والنظر))[١]؛ لأنّ الأرض ((ثباتها بسبب ثقلها وإلّا كانت تزول عن موضعها بسبب المياه والرياح)) [٢].

وفي كل ذلك ((دلالة على أنّ للجبال ارتباطًا خاصًّا بالزلازل ولولاها لاضطربت الأرض بقشرتها)) [٣]، ويؤكد العلم الحديث ذلك، فالجبال الرواسي وضعت ((لتحفظ التوازن اللازم للكرة الأرضية التي تتكون من منخفضات عميقة في البحار والمحيطات ومرتفعات شامخة من الجبال والهضاب، وأنّه لابد في هذه الحالة من استقرار الأرض واتزانها لإنتظام حركتها مع ثباتها وقد أثبتت الأبحاث العلمية نظرية التوازن في الكرة الأرضية بالبراهين الدامغة))[٤] .

وبسبب تلك الصفات والأمور التي تتصف بها الجبال، فإنّ الأرض تحتاج لسكونها، واستقرارها .

نلحظ من خلال القرائن اللفظية السياقية المتصلة المتقدمة، التي ذكرها الإمام، وهي (الراسيات، جلاميدها)، و(ذوات الشناخيب الشم من صياخيدها) أنّها قرائن جمالية نفعية بيّنت فائدة الجبال وأثرها على الأرض؛ لأنّها بسبب هذه الجبال (سكنت)، و(رسيت) في (قطع أديمها)، والذي قوّى المعنى الجمالي، استعمال الإمام (عليه السلام)، في وصف الجبال بصيغة منتهى جموع التكسير (جلاميدها، صياخيد) التي تتميز بالغرابة، واستعمالها يشد ((أزر بلاغة هذه النصوص ولو اختار ما هو شائع لما بلغت هذه النصوص مبلغها من وقعها في النفوس، فكانت تقع في مجال النظم موقع الواسطة من العقد ... وأنّ هذه التغريبات كانت نمطًا من

(١) مجمع البيان، الطبرسي: ٦ /٨ .

(٢) التفسير الكبير: ١١٧/٢٥.

(٣) الميزان، الطباطبائي : ٢٨١/١٤ .

(٤) القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم: ١٤٦.

أنماط الانزياح الجمالي الذي جاء بوصفه حاجة اقتضتها الضرورة البنائية للنص ليظهر بصورة متكاملة لغة ووقعًا وبلاغة ومعنى)) [١].

وفي موضع آخر يؤكّد المعنى نفسه، في قوله (عليه السلام): **(وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً وَ أَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا)**[٢] ، والعماد هو العمود، والأوتاد أخذه من قوله تعالى في قرينة غير سياقية :﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ : ٧] .

إنّ الإمام علي (عليه السلام)، في كل المواضع التي ذكر فيها الجبال، بيّن أنّ الله (عزّ وجلّ) وضعها لتثبيت الأرض من أن تتحرك وتميد بأهلها أي تضطرب وتتحرك يسارًا ويمينًا، أو أن تسيخ، أي تغوص، وتهوي للثقل الذي عليها؛ لذلك قال (بحملها) كما تسيخ قوائم الفرس في الأرض[٣]، أو أن تزول عن مواضعها أي تتحرك عن مركزها [٤] وهي الحالات التي ذكرها الإمام (عليه السلام)، التي ممكن حدوثها لولا الجبال، وهي شأن إلهي وحكمة من لدنه سبحانه إذا ما علمنا أنّ الوتد، هو ما غرس لتثبيت شيء ما على سطح يصح غرس الوتد فيه والأرض التي شاء الله أن يجعلها ميدانا لخلقه [٥].

ويفسّر ابن أبي الحديد هذه الحالات، بقوله : ((فإن قلت ما الفرق بين الثلاثة: تميد بأهلها، أو تسيخ بحملها، أو تزول عن مواضعها ؟ قلت : لأنّها لو تحركت لكانت إمّا أن تتحرّك على مركزها أو لا على مركزها، والأول هو المراد بقوله : تميد بأهلها، والثاني تنقسم إلى أن تنزل إلى تحت أو لا تنزل إلى تحت، فالنزول إلى

(١) دلالات جموع التكسير في نهج البلاغة – الاول، (بحث) أ.م.د. فيصل مفتن اللامي، والمدرس المساعد عباس اسماعيل سيلان، جامعة ميسان – كلية التربية الاساسية، (ذكره صاحب كتاب غريب لنهج البلاغة : ١١٥، لكني لم أجد هذا النص) .

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥١/١١ .

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (سوخ) :٢٧/٣، و تاج العروس مادة (سوخ) :٢٧٥/٧.

(٤) ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد :١١ / ٥٧ – ٥٨ .

(٥) ينظر : لسان العرب مادة (وتد) :٤٤٤/٣.

تحت هو المراد بقوله : أو تسيخ بحملها، والقسم الثاني، هو المراد، بقوله : أو تزول عن مواضعها))[١] .

وقد واصل الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة وصف الجبال بالرواسي، كما في قوله : ((**وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَ اعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ**)) [٢] .

نلحظ هنا أنّ الإمام علي (عليه السلام) قد دعا الله (تعالى)، في حرب (صفين) عند لقاء القوم، أن يخلصه وقومه من ظلم الأعداء، أو أن يرزقهم الشهادة ويبعدهم عن الفتنة [٣].

فذكر (عليه السلام) لفظة الجبال، لما لها من أهمية بالغة في تثبيت الأرض وهو معنى مناسب لدعائه في هذا الموقف، معركة صفين، التي افتتن فيها الناس ولم تكن أرضهم صلبة فيثبتوا على موقفهم بل صاروا يموجون موجا مع الفتن، مثل الأرض التي احتاجت لما يثبتها، فجعل الله (عزّ وجلّ) الجبال رواسي واوتادًا لها، أيضًا هؤلاء الناس يحتاجون لمن يثبتهم ويكون لهم وتدًا، وإلّا ارزقنا الشهادة لنبتعد عنهم[٤] ، وبذلك أضفى الإمام (عليه السلام) جمالًا معنوًّيا آخر للجبال فضلًا عن جمالها النفعي .

إنّ لفظة الجبال الرواسي وهو يتبادر إلى الذهن يشير إلى ما يرسي الأرض ويثبتها وهو جزء من الإعجاز الالهيّ الذي ورد في كتاب الله، إذ يوضح لنا أسباب خلق هذه الجبال ونتائجها وواجباتها على الأرض وما تقدمه للإنسان من منافع، ثم ركزت هذه الخطبة على أمور علمية صرفة وهي ما تحققه الجبال من توازن للأرض وحركة سير الرياح، كل تلك النعم، هي تعبير عن قدرة الخالق(عز وعلا)، والوقوف على بديع خلقه[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١١/٥٨-٥٩.

(٢) المصدر نفسه : ٩ / ٣٠١ .

(٣) ينظر : تاريخ الطبري، للطبري :٥/١٦ .

(٤) ينظر : تاريخ الطبري : ١/ ٥١-٥٣ .

(٥) ينظر : نفحات الولاية :٦/٣٣١-٣٣٢ .

إنَّ وصف الجبال في خطبة الإمام علي (عليه السلام)، إنّما حمل بعدين، أحدهما: ظاهر يتلخص بمهمة خلق الجبال وغورها في باطن الأرض، وكونها مصدّات للرياح فهي الفاعل الحقيقي في توازن الأرض، أمّا الأمر الآخر فهو أمر يتعلّق بالطبيعة وجمالها وتسخير ما عليها لخدمة الإنسان وراحته من خلال الواجبات الأخرى التي يمكن رصدها للجبال شكلًا ومضمونًا فضلًا عن الجمال النفعي لها، بقرينة قوله (عليه السلام) (للخلق اعتماداً)[١]، وهذا ما يعزز من الفكرتين (العلمية والجمالية) لوجود الجبال واجبها تثبيت الأرض واضفاء الجمالية على الطبيعة، فضلًا عن إعجاز خلق الله (عزّ وجلّ) .

المطلب الرابع : النبات

لفظ النبات مأخوذ من جذر الفعل ((نبت : النبتُ والنبات، النبت كل ما أنبت الله في الأرض فهو نبات، والنبات فعله يجري مجرى اسمه، يُقال : أنبت الله النبات إنباتًا)) [٢]، والنبت هي النبات، أمّا النبتة، وهي الحالة التي ينبت عليها النبات[٣]، وقد ورودت هذه اللفظة في خطبة له (عليه السلام)، يدل فيها على قدرة الخالق في الكون والتدبر في هذا الخلق العجيب، فيقول: ((**فانظرْ إلى الشَّمسِ والقمرِ والنباتِ والشَّجرِ والماءِ والحَجَرِ، وَاخْتِلاَفِ هذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ**))[٤] .

يدعو الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة إلى التفكر في قدرة الله (سبحانه وتعالى) وعظمته في خلقه، من خلال ما أبدع في خلق الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، بمقابلة خلق كل شيء : تواترت بألفاظ على حرف واحد، وهو (الراء)، وهو سجع بديع، يوحي بأنّ التقابل بين كل لفظين لا يتم إلّا من خلال الحرف الأخير (الراء)، ولما يتمتع به هذا الصوت من تكرار[٥]، يوحي باستمرارية الحدث، ناغم المعنى المراد في هذا الموضع؛ إذ إنّ ((الدلالة هي دراسة المعنى وما

(١) اعتمادا : سنداً ، ينظر : جمهرة اللغة مادة(عمد) : ٢/ ٦٦٧، و الصحاح مادة(عمد):٢/٥١١.

(٢) لسان العرب :٢ /٩٥ مادة (نبت).

(٣) ينظر : المعجم الوسيط :٢ / ٨٩٦، مادة (نبت) .

(٤) شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٥٦ .

(٥) ينظر : الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور :٤٥٨؛ وعلم الأصوات، كمال بشر :٣٤٥-٣٤٦.

تدل عليه اللفظة، أو التركيب))[١]، بتوظيف الأسماء من دون الأفعال والحروف والأرض والماء والنبات والحجر، فربط كل شيء برباط السببية في هذا الكون وعلى وفق نظام عجيب مبهر يشير ويوحي من خلاله إلى قدرته وتصرفه المحكم، فضلًا عن وحدانيته ووجوده الثابت الذي لا ينكره عقل سليم[٢].

إنّ أمر أمير المؤمنين للناس بالتدبّر في هذه المخلوقات، هو بحد ذاته قرينة على إبداع خلقها وجمالها، وعادة التأمل والإبداع في الخلق يكون في الشيء الجميل بإعجازه وانفراده كالشمس والقمر والنبات والشجر وغيره، ولم يحدّد الإمام (عليه السلام)، هنا نوع النبات، أو الشجر؛ لأنّ منهما ما يكون ضارًّا وليس مفيدًا فقط؛ ولانّ السياق هنا لا يعنى بهذا الأمر بقدر اهتمامه وتركيزه على إعجاز الخلق والتكوين.

كما أن توظيف الأسماء من دون الأفعال، والحروف؛ لأنّ الاسم غير مقترن بزمن محدّد [٣]، يكون أعم، وأشمل، وأثبت في الدلالة، فالزمن لم يُقيده مثل الفعل، ومن ثم يكون أقوى في الدلالة، لثبوت الصفة في صاحبها[٤]، الأمر الذي يجعل جمال هذه النعم ثابته ومستمرة ودائمة وهذا دليل على قدرة الخالق (عزّ وجلّ)، غير المحدودة .

كما أن ما ورد في هذه الخطبة من تقديم، أو تأخير، فهو لغرض نفعي وظيفي، إذ قدّم (عليه السلام) الشمس على القمر والنبات على الشجر[٥] وذلك فيه فوائد جمة للإنسان والحيوان والنبات فضلا عما فيه من الفائدة في شروق الشمس مثلا وغروبها الأمر الذي ينتج عنه قيام الليل و النهار، أمّا تقديمه (عليه السلام) للنبات على الشجر، فهو كذلك لغرض نفعي وظيفي يخدم الكائنات الحية، فلفظ

---

(١) السياق القرآني والدلالة المعجمية، د. ماجدة صلاح حسن، بحث في المجلة الجامعة ٤/٩/ ٢٠٠٧ : ١.

(٤) ينظر: ألفاظ النبات في نهج البلاغة دراسة في المعجم والدلالة، كريمة نوماس محمد المدني، كلية التربية، جامعة كربلاء (بحث) : ٣.

(٣) ينظر : المفصل في صنعة الأعراب، الزمخشري : ٢٣، وشرح المفصل، ابن يعيش :١ /٨١ .

(٤) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة : ٦٤ – ٦٥ .

(٥) الزرع : ما ينبت على غير ساق، والشجر ما له ساق وأغصان، يبقى صيفًا وشتاءً، والنبات يعم الجميع، لأنه ما ينبت من الأرض أي يخرج منها، ينظر : معجم الفروق اللغوية، لابي هلال العسكري :٢٦٦ .

النبات أعم وأشمل من الاشجار مما يوحي إلى أن فائدة النبات مقارنة بالشجر أكبر وأعظم، كما أنّ لفظ الشجر مأخوذٌ من شَجَر وهو جمع شجرة وتجمع أيضًا على أشجار وشجرات، والشجر من النبات ما قام على ساق[١]، وتعد لفظة (الشجر) من الأسماء الأكثر ورودًا واستعمالًا في نهج البلاغة إذ وردت هذه اللفظة ست عشرة مرّة[٢]، والفارق بين النبات والشجر هو أنّ النبات كل ما تنبته الأرض[٣] وهو أقصر عمرًا من الشجر .

والذي جعل المعنى متماسكًا وقويًّا وجود (حرف العطف) الذي حفظ رتبة ودور كل موقع في النص، والواو هي إحدى القرائن اللفظية[٤]، التي كان لها الدور الرئيس في إظهار المعنى الجمالي من خلال الاستمرار في وصف الصورة الجمالية النفعية .

ونلحظ ممّا سبق أنّ كل صيغة استعملت في مكانها المناسب وأنّ الإمام علي (عليه السلام)، وظّف الصوت والصيغة والتركيب؛ لبيان عظمة خلق الله (عزّ وجلّ) وشد انتباه المتلقّي لها؛ إذ أنّ علم الدلالة، هو ((غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية وقمتها) [٥]. فعلم الدلالة معنيٌ بكل ما من نشأته توصيل المعنى من أصغر وحدة صوتية (الفونيم) مرورا بالوحدة الصرفية (المورفيم) ، حتى الوصول الى أكبر وحدة في الدرس اللغوي التي هي الجملة .. فهو يشمل دراسة النص المتكون من مجموعة من الجمل بوصفه نصا دلاليا أو وحدة دلالية لا تتجزأ[٦] .

---

(١) ينظر : مجمل اللغة، ابن فارس :١ / ٥٢١، باب الشين والجيم وما يثلثهما، ولسان العرب :٣٩٤/٤، فصل الشين المعجمة، مادة (شجر) .

(٢)نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده : ١١٦/١، ١٨٠، ١٨٥(ثلاث مرات)، ١٩٠، ٢٠٦؛ ٢/ ١٦، ٦١ (مرتان)، ٧٦، ١٤٧، ١٥٩،١٩٠،٢٠٦؛ ٣/ ٧٢، و ينظر :الفاظ النبات في نهج البلاغة دراسة في المعجم والدلالة :٢ .

(٣) ينظر : العين :٨ /١٣٠، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :٢٦٨/١ مادة (نبت) .

(٤) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :١٢٧، والقرائن اللفظية واسم الاشارة في نهج البلاغة، الباحث محمد مناضل عباس، العدد : ١٩ مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية : جامعة بابل، شباط ٢٠١٥م : ١٣٤ .

(٥) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران : ٢٦١.

(٦) ينظر: البحث الدلالي عند السيد محمد صادق الصدر ، رحيم كريم علي (اطروحة دكتوراه) :٣٦-٣٧ .

ومن الصور الجميلة التي حفلت بها النباتات، ما ورد في سياق الدعاء من خطبة الاستسقاء للإمام علي (عليه السلام) عندما قال: ((**وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ**[١]، **وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ**[٢]، **وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ**[٣]، **سَحّاً وَإِبِلاً تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ**))[٤] .

وردت خطبة الاستسقاء، إذ ابتهل (عليه السلام) إلى الله تعالى بالدعاء بعبارات رصينة عميقة المعنى سائلًا الحقَّ (تبارك وتعالى) التلطّف بنزول الغيث حتى إنّ عباراته لتخترق شغاف القلب وتملأه بالمعنويات والشد لله سبحانه[٥]، فكان الأمل بالله بالله في القحط والجفاف، إذ تضّمن دعاؤه مجازاة عقلية سببية، المقصود فيها إنزال الغيث من السماء ببلاغة عالية الفصاحة جسّم فيها الربيع بالمعطاء الذي يغدق باستعارة مكنية، إذ شبّهه بالإنسان الكريم فحذفه وأبقى لازمة من لوازمه، وهي (المغدق) . ليكون ربيعًا مباركًا بالنباتات الطرية الجميلة؛ لتتّجه صوب نتيجة نهائية، هي الأمطار التي تحيي الأرض وتستعيد كل ما فقد، إذ لا تكون تلك السنة سنة عامرة بالبركة فحسب، بل سنة تتلافى سنوات الجفاف السابقة [٦] .

نلحظ في محاكاة الإمام (عليه السلام) لجمال الطبيعة بعد نزول المطر في فصل الربيع المغدق أنّ النبات مونق، وهي قرينة التضام اللفظية[٧] الواضحة التي تمثلت بوصف (الربيع بالمغدق والنبات بالمونق) ، وهما اسما فاعل دّلا على الحدوث والاستمرار[٨]، إذ وصف النبات بأنّه زاهي يسر الناظر إليه، وأيضًا حدّد جمال الربيع الربيع في وصفه معطاءً وافرًا.

---

(١) المنبعق :المطر الشديد، ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٤ /١٤٥٠، مادة (بعق)، معجم مقاييس اللغة :١ /٢٦٣، مادة (بعق) .

(٢) المغدق :كثير الماء، ينظر : جمهرة اللغة :٢ : ٦٧٠، مادة (دغق)، ومجمل اللغة :٦٩٢، مادة (غدق).

(٣) المونق : لها معانٍ عدّة منها الأنق الفرح والسرور، وقد أنق، بالكسر، يأنق أنقا، والأنق النبات الحسن المعجب، ينظر : العين:٥ / ٢٢١ باب القاف والنون ، لسان العرب، ابن منظور١٠ / ١٠ ، مادة (أنق) .

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد :٢٦٢/٧.

(٥) ينظر: نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي : ٧٩/٥.

(٦)ينظر: نفحات الولاية : ٨٤/٥.

(٧) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٢٣ .

(٨) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان الشافعي :٢ /٣٦٠ .

إنّ هذه الصفات الجمالية وردت قرائن لفظية سياقية متأخرة لتؤدّي دورها في تقوية المعنى الجمالي النفعي في نص الإمام (عليه السلام)، إذ وصف النبات هنا بالمونق، وحدّده، بجميل المظهر الحسن المعجب، الذي يبعث الفرح والسرور لناظره فكانت القرينة الجمالية، لفظية سياقية متصلة متأخرة.

وورد أيضًا في خطبة الاستسقاء، قوله (عليه السلام) :(**اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ**)[1] .

واصّل الإمام (عليه السلام)، دعاءه للاستسقاء، بتضرعه إلى الله (سبحانه وتعالى)، إذ عدّ الغيث مجلبًا، للخير، والنماء، والبركة، متمثّلًا بالماء المروي للزرع لدرجة الأعشاب واخضرار الأرض وإحياء ما فات من النبات، وظهور الأوراق للأشجار والثمار الكثيرة النافعة .

إنّ الجانب الجمالي هنا يمكن رصده في وصف الإمام علي (عليه السلام) لهذه السقيا، بصورة تنبض بالحياة والجمال؛ لأنّ الاستسقاء إذا زاد عن الحد الذي تطلبه الأرض، أو النبات؛ لأجل الري، فإنّه يضرّها، لذا كان وصف الإمام، وصفًا دقيقًا، ليثبت أنّ السقيا التي يطلبها هي لتبعث الحياة والبهجة للأرض لا العكس، فكان دعاؤه أن يسقيهم سقيًا نافعة؛ لأنّ هناك سقيًا نافعة وهو ما تعنيه كلمة غيث، إذ هي مبعث الخير يقابلها سقيًا ضارة، فاستعمل الإمام (عليه السلام) لفظة الغيث لما توحيه ((من دلالة عن المساعدة والعزة والنصرة، من قولنا : استغثت، أي: طلبت المساعدة فأغاثني ... من الإغاثة في موضع الرحمة))[2].

أمّا كلمة مطر، فالمقصود منها السقي غير النافع، وقد جاء المطر وهو يعني الماء النازل من السماء إلى الأرض للشر ويعود بالضرر على العباد عقابا كماء الفيضانات ويأتي في غير وقته، كقوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ

(١) شرح نهج البلاغة :٩ /٧٧.

(٢) السياق القرآني والدلالة المعجمية، د. ماجدة صلاح حسن، المجلة الجامعة العدد التاسع، ٢٠٠٧ / ١١ .

ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٣]، أمّا الغيث، فهو النازل من السحاب أيضًا ويكون غزيرًا ويأتي بالخير دائما ويطلق على الغيث السحاب والكلأ مجازًا [١]، مروية : من الماء[٢] معشبة : جائية بالعشب، أي: الكلأ الرطب في أول الربيع [٣] تنبت بها ما قد فات وتحيى بها ما قد مات .

وهنا يتجلّى جمال اللفظ، بقوله (تنبت)، إذ الإنبات بعد السقي، يكون مرويًّا طريًّا ذا منظر جميل بلونه الزاهي الجذاب، ويصبح الخير وافرًا وهذا دليل على قدرة الله –عزّ وجلّ– في جعل الأرض مغطّاة بالنبات والزهور، التي تجعل منها واحة خلّابة بألوانها، وسحرها، وخيراتها .

إنَّ الألفاظ في هذه الخطبة تعاضدت لتظهر معاني الجمال وتعبّر عنه أكمل تعبير وأتمّه، فلفظة (انشر) تعني البسط للغيث بشكل متساوٍ ليصل إلى الأراضي المقفرة العطشة والبسط يعطي معنى شموليّة هذه العنوانات مجتمعة من دون تميّز لجانب، أو منطقة على أخرى، وقد تعاضدت الألفاظ الدالّة على الرغبة في تحقّق الرحمة والحياة، وهو الغرض من الدعاء للاستسقاء، مثل: (نافعة، مروية، معشبة، تنبت، تحيي، نافعة الحياة، كثيرة المجتنى)، فضلًا عن ذلك فإنّ الدعاء تضمّن الوصول إلى ما يتجاوز حدود إرواء العطش فقط وهو ريّ الأراضي الواسعة من قيعان الأرض لتستورق الأشجار، وتنمو الثمار وهنا يكمن جمال لفظ (تنبت)، إذ دلّت على كل ما يحمله الجمال الطبيعي من مشاهد، ومما يظهر المعنى الجمالي في هذه الخطبة، هو الاقتران الحاصل بين المطر، وما تنبت الأرض، فإنبات الأرض يعني بعث ما في كوامِنها إلى الحياة كما عبّر عن ذلك الإمام علي (عليه السلام)، بقوله (نباتها) فجعل الماء سببًا لاستخراج ما في باطن الأرض من جمال سخّره لخدمة الإنسان .

---

(١) ينظر : العين :٤/٤٤٠،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ١/٢٨٩، مادة (غيث)، ومعجم مقاييس اللغة :٥ /٣٣٢ مادة (مطر)، وينظر :المخصص :٢/٤٣٠،(باب الامطار)، أساس البلاغة :٢ / ٢١٨ مادة (مطر).

(٥) ينظر : المعجم الوسيط :١ / ٣٨٤، مادة(رُوِي)

(٦) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :١ /١٨٢ مادة (عشب) .

نلحظ هنا أنّ لفظة (معشبة) قد اقترنت بالسقيا المروية، واخضرار الأشجار وامتلائها بالورق، فكانتا قرينة لفظية سياقية متأخرة ليتضافرا مع القرينة المتصلة (نافعة)؛ لإظهار الجمال النفعي لهذه السقيا.

ومن خطبة له (عليه السلام) ورد فيها ذكر النبات، هو قوله (عليه السلام) : **((وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرضونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَة))**[1].

الخطبة هنا جاءت على شكل مجازات لغوية منسجمة في ظل جمالية النسج ووضوح القرائن فالدنيا والآخرة نقيضان متباعدان ، إلا أنّهما ألقيا بقيادهما إلى الله سبحانه وتعالى، وكذا هو الأمر بالنسبة للسماوات والأرضون، فرغم ما بينهما من هوة سحيقة بين العلو والدنو، إلا أنّهما قد انقادا طوعًا له سبحانه، وهذا ما اختصَّ بجانب الجماد في الخطبة، أمّا النبات فهو يسجد ذلك السجود المجازي الذي قصدته الخطبة، ثمّ عدّد الإمام سمات تلك الأشجار وما تقدمه من طاعة لله في كل الأحوال في حالة إنباتها ونموها، تعطينا الثمار اليانعة الناضجة وفي حالة موتها تجف أغصانها لتضيء من خلال احتراقها موضع من مواضع التضاد بين الحالتين الأولى اتقاد أغصانها، والثانية ثمارها اليانعة الناضحة التي تدل على الطاعة في حالتي السلب والإيجاب فتكون نافعة في الحالتين .

إنّ ألفاظ الجمال في الخطبة، وردت في قوله (عليه السلام) : (الأشجار)، و (الثمار)، وضمنا في قوله (قضبانها)، إذ استثمر القرائن الجمالية اللفظية المتعدّدة؛ لإظهار المعنى الجمالي، فالأشجار وصفها بالقرينة اللفظية المتأخرة (الناضرة)، وهي اسم فاعل يدل على الحدوث والتجدد [2] ، ويوحي بمعنى المبالغة [3] في نضارتها؛ إذ سجودها لله (عزّ وجلّ) وطاعتها له بالغدو والآصال منحها هذا المنظر النفعي

(١) شرح نهج البلاغة : ٨ / ٢٧٢.

(٢) ينظر : أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك :٣/٢١٤، ورسالة في اسم الفاعل، احمد بن قاسم الصباغ :٧٢ .

(٣) ينظر : شرح المفصل، لابن يعيش : ٤ / ٨٨ .

الجميل، فكان السجود قرينة لفظية سياقية متقدّمة، والناضرة قرينة لفظية سياقية متأخّرة متّصلة على تحقّق شروط الجمال في الشجرة .

أمّا لفظة (قضبانها)، ويقصد بها أعواد الشجرة بعد قطعها للإفادة منها، من خلال القرينة اللفظية الوصفية (التضام) المتأخرة (النيران المضيئة)، وهي قرينة جمالية نفعية.

ثمّ يستمر الإمام (عليه السلام) في تذوّق المعنى الجمالي (للثمار) التي أينعت بسبب كلمات الله (عزّ وجلّ) التي منحتها البركة والجمال، فكانت هذه الثمار (يانعة)، وهي قرينة جمالية لفظية سياقية متأخّرة متّصلة، بأسلوب لفظي بديع .

ومن خطبةٍ له (عليه السلام) تُعرَف بخطبة الأشباح [1]، وهي من جلائل خُطبهِ (عليه السلام)؛ يقول فيها : **(أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ[2] الأرض النَّبَاتَ وَ مِنْ زُعْرِ[3] الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ[4] بِزِينَةِ رِيَاضِهَا وَ تَزْدَهِي[5] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[6] أَزَاهِيرِهَا[7] وَ حِلْيَةِ مَا سُمِّطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا)[8]**.

يذكر الإمام علي (عليه السلام) في خطبته ويعدّد نعم الله (عزّ وجلّ) على البشرية، ويدعو إلى التفكر بها، منها أنّه أخرج من الأراضي الجرداء التي لا نبات فيها، والجبال التي قلَّ الزرع فيها، (الزُعر)، فكساها بثوب رقيق زاهي جميل يسر الناظرين، ولدرجة جماله أبهج الأرض والجبال به وبألوانه وانواره.

---

(١) الأشباح : الأشخاص، والمراد بهم هنا الملائكة ، شرح نهج البلاغة ، ابن ابي حديد :٣٩٨/٦ .

(٢) الهوامد من الأرض: ما لا نبات بهِ، ينظر : تاج العروس : ٩ / ٣٤٧ مادة (همد).

(٣) زُعْر بالضم: جمع أزْعر، وهو الموضع القليل النبات. والأنثى زَعْرَاء، ينظر : معجم مقاييس اللغة، لابن فارس : ٣ /١٢مادة (زعر)، ولسان العرب ٤ / ٣٢٣ مادة (زعر) فصل الزاي المعجمة .

(٤) بَهَجَ : سَرّ وأفرح، ينظر : المعجم الوسيط : ١ /٧٣ ، (باب الباء).

(٥) تَزْدَهي: تعجب،شرح نهج البلاغة –سيد عباس علي الموسوي : ٢ / ١٠٠.

(١) رَيْط: جمع رَيْطة . بالفتح . وهي كل ثوب رقيق ليّن، ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٩ / ٢١٦مادة (ر ي ط) ، لسان العرب : ٧ / ٣٠٧ مادة (ريط) ، المعجم الوسيط : ١ / ٣٨٥(باب الراء).

(٢) أزاهير: جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات، ينظر : القاموس المحيط–الفيروز آبادي : ١ / ٤٠٣ فصل (الزاي)، وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٤٠٤ باب (الزاي) . ويقال نباتٌ هامد : يابس، ينظر : الصحاح : ٢ / ٥٥٧ مادة (همد) ، المعجم الوسيط : ٢ /٩٩٣ مادة (همد) .

(٨) شرح نهج البلاغة: ٦ / ٤٣٨ .

نلحظ فيما تقدّم أنّ الإمام (عليه السلام) عقد مقارنة بين صورتين للأرض: الصورة الأولى الأرض الجرداء اليابسة التي لا نبات فيها وهي لا جمال فيها، أما الصورة الثانية، فكانت بعد إكسائها بثوب العشب الجميل، والنبات، والأزهار الرقيقة اللينة الزاهية، فترك المقارنة للآخر ليميز بينهما ويتلمس فيها نعم الله (عزّ وجلّ)، فكانت الصورة في إظهار مفهوم الجمال أبلغ بذكر الشيء وضده [١]، فضلًا عن ذلك فإنّ الصورة الأولى تعد قرينة لإثبات جمالية الصورة الثانية، فضلاً عن قرائن لفظية أخرى دلّت على مفهوم الجمال في هذا المشهد الجميل، وهي : (تبهج، زينة، رياضها، تزدهي، حلية، أنوارها) .

نلحظ من ذلك أن الجمال عند الإمام (عليه السلام)، يجمع بين النظرية الجمالية، والنظرية الوظيفية (النفعية)[٢] .

إنّ مفهوم الجمال هنا متداخل بين الحسي والمعنوي، فالوصف في (تبهج) متصل بمشاعر النفس ومستمر استمرارية دلالة الفعل الذي وردت به، وهو معنوي، وبين الحسي في (ناظر أنوارها) و (تزدهي بما البسته من ريط أزاهيرها) و(زينة رياضها)، إذ هي تحس وترى بالعين فكانت القرائن الجمالية اللفظية السياقية المتصلة، متقدمة على لفظة النبات (أزاهيرها، ورياضها) .

نلحظ أن ما ذهب اليه الإمام علي (عليه السلام) في هذا الموضع، هو دعوة للتفكّر في قدرة الله (عز وجل) وعظمته في خلق النبات، فتلك الحقول الخضراء زاهية الألوان وبكل ما تحمله من جمال، هي التجسيد الحي لقدرة الله سبحانه، فنجد أنّ النباتات قد أينعت وأزهرت وأضفت على الأرض جمالًا، وهذا هو تجسيد القدرة الإلهية المطلقة .

(١) ينظر : دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح : ٣٠٩، ودراسات لغوية في أمهات كتب اللغة :٢٢٦.

(٢) ينظر: في النقد الجمالي :٢٩٨ و٣٠٦ .

المبحث الثاني

أثرُ القرائن اللفظية في إظهار المعنى الجمالي للطبيعة البعيدة

المطلب الأول : السماء

المطلب الثاني : الكواكب والشمس والقمر

المطلب الثالث: النجوم والشهب

إنّ كلّ لفظة في التركيب اللغوي لها وظيفة مقصودة، وهذه القصديّة قد تصل للقارئ، أو المتلقي على شكل إشارات أو إيحاءات، ليستدل المتلقي على المقاصد الخفية فيها بمعونة القرائن؛ لانّ ((النص يؤلّف وحدة واحدة من العلاقات الدلالية))[١]، وكل لفظ من الألفاظ يكون له في داخل النص معنى واحد من بين كل معانيه المعجمية، وتُحدد القرينة المعنى المطلوب في النص [٢] ، وتعد القرينة اللفظية أحد هذه القرائن المهمة؛ لأنّ القرينة اللفظية، أو ما تسمّى (بالقرينة السياقية)، تحدد مفهوم السياق تحديدًا واضحًا؛ لانّ قرينة السياق هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدَّال على خصوص المعنى المقصود، أو سابقه [٣]، ((فالسياق هو نقطة البدء، ولا يمكن تحديد كيان للتعبير إلّا من خلاله))[٤] .

كان للطبيعة البعيدة نصيب أيضا من نهج البلاغة ؛ ليظهر بالقرائن اللفظية معناها الجمالي، ويصفه وصفًا دقيقًا وجميلًا، وأول هذه الطبيعة البعيدة، هي السماء.

المطلب الأول : السماء

إنّ الله (عز وجل) خلق الكون خلقًا محكمًا دقيقًا، وعجيبًا، وتعدّ السماء من عجائب خلقه العظيمة التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) في كلامه، فوصفها وأبدع في ذلك، وذكر ما تضم من قمر، ونجوم، وكواكب تُشعر بقدرة الخالق في

(١) القرائن النحوية للمعنى :٧٩ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه :٧٩ .

(٣) ينظر : دروس في الألسنية العامة :١٨٧، وينظر : قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة (أطروحة دكتوراه) :٣٣.

(٤) دلالة السياق في القصص القراني :٢٣ .

خلقه تضحك في الصباح فتنير الكون بشمسها، وتغربُ فيشيع الظلام فتتلألأ النجوم في السماء وفيها من الأسرار ما لم يدرك وما لم يصل إلى كنهه إلّا العارفون [١].

وقد أورد الإمام علي (عليه السلام) لفظ السماء في خطب عديدة شكّلت لنا كشفًا عن الأسرار التي علّمها الله فأودع أسرارها لمن يحب على الأرض، ومنهم الإمام علي (عليه السلام)؛ لأنّه تلميذ مدرسة القرآن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي وافانا بوصف دقيق عن السماء في خطب عديدة وما تحويه من أسرار تمثّل الطبيعة التي نراها بأعيننا، وهي الطبيعة القريبة ومن جانب آخر نتطلع إلى الطبيعة البعيدة التي شكلت لنا رمزًا صادحًا نابضًا بالجمال، فها قوله (عليه السلام) في خطبة الاستسقاء **((وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً[٢]، مِدْرَاراً هَاطِلَةً[٣]، يُدَافِعُ الْوَدْقُ[٤] مِنْهَا الْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ))**[٥] .

وظف الإمام (عليه السلام) لفظة السماء في دعائه للاستسقاء، بأسلوب بلاغي جميل، وهو المجاز اللغوي، دعا الله (عزّ وجلّ) أن يُنزل عليهم، (سماء)، والسماء لا تنزل، بل هي المسببة لنزول المطر[٦]، ويقصد بها (الماء)؛ و (الماء) إذا كان كثيرًا (مطرًا) يغرقهم، واذا كان قليلًا لا يكفي لإنبات النبات واستخراج الثمر فيكون رزقًا لهم، لذا أردف (السماء) وخصصها بقرينة لفظية سياقية متصلة متأخرة، وهي (مخضلة) أي ندية لطيفة[٧] ، فبذلك أبعد مطر العقاب، والمطر غير المشبع، ثم جعل لفظة (مخضلة) قرينة لفظية سياقية متقدمة للفظة (مدرارًا ومهطلة، ويدافع الودق منها الودق، ويحفز القطر منها القطر) ؛ إذ مدرارًا هي صيغة مبالغة على

---

(١) ينظر : السماء الدنيا، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (مقالة) ، https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%A1_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%86%D9%8A%D8%A7 .

(٢) مخضلة من مادة خضل وتستخدم كناية للخير الوفير ولسنوات المليئة بالأمطار، ينظر : جمهرة اللغة :١/ ٦٠٧، ومجمل اللغة لابن فارس :٢٩٢ .

(٣) هاطلة :من مادة (هطل) وتعني المطر المتفرق والعظيم القطر، ينظر: تاج العروس للزبيدي :٣١/ ١٣٨ .

(٤) الودق : من مادة (ودق) وتعني المطر كله شديده وهينه، ينظر: العين :٥/ ١٩٨، والصحاح :٤/ ١٥٦٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة :٧/ ٢٦٢ .

(٦)أساليب البيان في القران الكريم، السيد جعفر باقر الحسيني :٣٨٦.

(٧) ينظر : جمهرة اللغة :١/٦٠٧، مادة (خضل)، ومعجم مقاييس اللغة :٢/١٩٢ مادة (خضل) .

وزن (مفعالاً) للماء الكثير أو الغزير وردت في القرآن الكريم في كلام النبي نوح (عليه السلام) يرغّب قومه في حال إيمانهم وترك الكفر ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾ [نوح/١١]، وللمبالغة في الترغيب قال : يُرسل (السماء)، ولم يقل (من السماء) وهي قرينة لفظية غير سياقية لقول الإمام (عليه السلام)، وكأنّ السماء جميعها تنزل ماءً مبالغة في كثرة الخير والرزق، وهي قرينة لفظية متقدمة متصلة سياقية لفظية .

نلحظ أن لفظة السماء وردت موصوفةً، بقوله (سماءً مخضلةً) معبرة عن جمال اللفظ في خطبة الإمام (عليه السلام)، بقرينة استعماله (عليه السلام) في إشارته للمطر (مدرارًا هاطلةً)، إذ هي قرينة سياقية لفظية موصوفة متصلة جاء بها للإشارة إلى الخير الوفير الذي يعقب سقوطه، وبذلك كونت هذه الألفاظ الموصوفة صورة جمالية نفعية للطبيعة البعيدة .

ومن خطبة له (عليه السلام) في الاستسقاء، وفيها تنبيه العباد إلى وجوب الاستغاثة برحمة الله إذا حبس عنهم الغيث، فيقول: ((**أَلاَ وَإِنَّ الأرض الَّتِي تَحْمِلُكُم، وَالسَّماءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا**))[١] .

ينبه الإمام علي(عليه السلام) العباد في الخطبة على وجوب طاعة اللّه (عزّ وجلّ)، التي بها يوجب الرزق لهم؛ لأنّ الأرض والسماء مطيعتان لربّ العالمين، وهما بأمره يخرجان خيرهما، فالأرض كالأمّ للنبات و الزرع، و السماء كالأب، مطيعتان لربّهما [٢].

إنّ لفظة (تظلكم) بمعنى، تعلو عليكم، فكل ظلّ، يعني العلو فنقول أظلّتني الشجرة واستظللت بها[٣]، وهي لفظة شاملة لكل خير وفائدة للسماء، وهو إيجاز بالقصر، إذ إنّ الألفاظ القليلة تتضمن معاني كثيرة [٤]، والسماء المظلّة، هي مقدرة

(١) شرح نهج البلاغة، :٩ / ٧٦ .

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني :٣ : ١٨٤ .

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة مادة (ظل) :٣ / ٤٦١.

(٤) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني :١٨١/٣، والبلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حنبكه :٢ :٢ /٢٩ .

الله وتسخيرهِ لخدمة الإنسان أولًا وأخيرًا، وهي رحمة من الله تشكل المنفعة بجماليتها وهو من الناحية الأخرى ضرب من المجاز خصوصًا في قوله (أمرتا بنفعكم فامتثلتا)' والامتثال يعني طاعة الله، فمن الجانب الثاني لو أمرت بعدم الطاعة كذلك لفعلت، والمقصود من (تظلكم)، كل خير تنزله (السماء)، بالقرينة اللفظية (تجودان)، والقرينة اللفظية (ببركتهما) السياقية المتأخرة المتصلة.

إنّ المصاحبات اللغوية تندرج ضمن قرينة السياق اللغوي، ف((مجيء بعض الألفاظ مصاحبة لألفاظ أخرى، ومقترنة بها في أكثر التراكيب اللغوية، كما أنّ ذِكرَ بعض الألفاظ يستدعي ذكر ألفاظ أخرى تناظرها وتقابلها في بعض الأحيان . وقد تكون العلاقة بين اللفظين علاقة اشتراك، أو علاقة تضاد))[١] ، فالسماء اقترنت بالأرض، وهي ضد لها، بعلاقة التقابل بينهما أضفت تناسقًا جميلًا في المعاني المعبّرة، ونتلمس القرينة الجمالية أيضًا بتلك الاستعارة الدقيقة التي جعلت الجماد يؤمر ، وبذلك التضاد [٢]، ومعنى الخطبة العام أن تسخير الأرض والسماء أمرها عائد إلى الله لو شاء أمرها بالطاعة، أو عدم الطاعة فليس لها إلا أن تكون طائعة وخاضعة [٣] .

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الخطبة قد عرّجت في مضامينها على قرائن لفظية جمالية أراد الإمام علي (عليه السلام) إيصالها إلى ذهنية المتلقيّ، من خلال ما تقدمه السماء للأرض من دعم وتعاون مباشرين، الغاية منه الوصول بالإنسان إلى ما يهيئ له أسباب الراحة، والاستقرار، والاطمئنان على وجه الأرض، وهو توجيه ضمني ودعوة من الإمام (عليه السلام) إلى أن يتوجه الإنسان بالدعاء إلى الله مدبر كل شيء والمتحكم بحركة الكون[٤] .

نلحظ من ذلك أنّ القرائن التي ذكرها الإمام هنا تشير إلى المعنيين الظاهر الذي يتلخص بحكمة خلق السماء والأرض وهذه الحكمة تتعلق ببعدين أولهما البعد

(١) التأويل اللغوي في القران الكريم، دراسة دلالية :١١٩ .

(٢)ينظر : تحقيق الفوائد الغياثية، محمد بن يوسف الكرماني : ١/ ٥٢٦ .

(٣)ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد :٩ /٧٧ .

(٤) ينظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي :٩ / ٦ .

الفوقي المتمثل بالسماء، الذي جاء الجمال فيه نفعيًا متكأً على مفردة مظلة وهي لفظة موجزة تضمنت كل ما تقدمه السماء من وظيفة ظاهرة أو باطنة، معروفة وغير معروفة، وهو قمة الإيجاز، والأمر الثاني، هو البعد التحتي الذي يمثل الأرض ونرصد هنا أنّ البون شاسع بين الوصفين، والتضاد بيّن، إذ خلق لنا هذا التضاد الصورة الجمالية بين السماء بوصفها مظلة وبين الأرض بوصفها مستقرًا للإنسان، ولعلَّ المصداق إلى ما ذهبنا إليه من القرائن، هو النزول، بقوله سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾ [سورة النحل : ١٠]، ونحوها مما يقرب عشرين آية [١].

ومنه فإنّ لفظة السماء كانت التجسيد الحي الذي يصف به جمال الطبيعة البعيدة، كما وصفها لنا الإمام علي (عليه السلام) .

وثمة نقاط نستخلصها من هذه الخطبة بوصفها قرائن عزّزت خطبة الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن الكريم، ومنحت الخطبة بعدًا جماليًا تأثيريًا من خلال :

١- نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام)، اعتمد أسلوب التضاد في إظهار جمال الطبيعة البعيدة .

٢-إنَّ المتضادات الواردة في الخطبة التي تشير إلى لفظي السماء والأرض، هي أنّ للسماء اختصاصات إلهية معينة ففيها تقدر أقوات الناس وحياتهم ومماتهم وما يمت بصلة لخدمة كل الأحياء على وجه الأرض والموضع الجمالي الوارد هنا هو أنّ هذه الأرزاق تنزل من السماء كالمطر.

المطلب الثاني : الكواكب والشمس والقمر

إنّ خلق السَّماوات بأفلاكِها ومَجرَّاتها هو لتَبْيِينِ عظمة اللهِ سُبحانَه وقدرتِه الكَبيرةِ على الخَلقِ، فاللهُ سبحانه جعلَ الكواكب زينةً لأهل الأرض يأنسونَ بها، كما جعلَها رجومًا وحِفظًا لسكَّان الملأ الأعلى أنْ يسترقَ السَّمعَ إليهم أحدٌ مِن مَرَدةِ الجنِّ والشَّياطِينِ، وتُوجَدُ حَتمًا فوائدُ أُخرَى للنُّجومِ والكواكبِ بعضها نعرِفها كما في علاقةِ

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة :٩ /٦ - ١٠.

القَمرِ بظَاهِرَتَي المدِّ والجَزرِ، وبَعضُها قد خَفِيَ عنا، وما خَفِيَ عنا، هو أكثرُ ممَّا نَعرِفُه جَزمًا، فلا يُحِيطُ بأسرَارِ الخَلقِ وحِكمَتِه إلا هو سُبحانَه[١].

كان للكواكب نصيب عند الإمام (عليه السلام)، في كلامه عن الطبيعة البعيدة؛ إذ استعملها (عليه السلام) في أكثر من موضع؛ للتعبير عن الجمال اللفظي للكواكب، إذ وردت لفظة الكواكب في خطبة له في وصف السماء، فيقول: ((**ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا و رَمَى مُسْتَرَقِ اَلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا**))[٢] .

تتضمن هذه الخطبة قرائن لفظية جمالية عدّة تدل على جمال الكواكب والأجرام السماوية جميعها؛ إذ إنّ قول الإمام (عليه السلام) : (ثمّ علق في جوها فلكها)، أي إنّ الفلك معلّق في السماء[٣].

جاءت الكواكب في قول الإمام علي(عليه السلام) مضافة بقرينة وهي قرينة التضام بالاضافة[٤] ، فكانت مفعمة بالجمال بدليل أنّه وصفها بالمصابيح، وبكونها زينةً معلقة في جو السماء، والزينة كما هو متعارف عليه تطلق على الأشياء الجميلة البراقة والجاذبة للنظر، كما وقد ورد هذا المعنى في قرينة غير سياقية في قوله (عز وجل) ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِزِينَةٍ ٱلكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفظًا مِّن كُلِّ شَيطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلمَلَإِ ٱلأَعلَىٰ وَيُقذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُم عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ ﴾ [سورة الصافات: ٦ –٩] [٥]، وهذا دليل على أنّ الكواكب، هي زينة السماء الدنيا وانها لفظٌ جمالي في هذا النص الخطابي .

وما يمكن الإفادة منه من خلال هذه الخطبة التي تشكل قرينة ارتبطت مع قوله تعالى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِزِينَةٍ ٱلكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات :٦] وهو ما يظهر المعنى

(١) مركز الرصد العقائدي، لماذا خلق الله هذا الكون والفضاء الفسيح (مقال) https://alrasd.net/arabic/contemporaryy/941

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد : ٦ / ٤١٩.

(٣)والمقصود من الفلك دائرة معدل النهار فإنّها الدائرة العظمى في الفلك الأعظم وهي في الاصطلاح النظري تسمى فلكًا ،ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد : ٦ /٤٢٢ .

(٤) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ١٣٥ .

(٥) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي حديد :٦ / ٤٢٢.

الجمالي للتزين الذي يقاربه في المعنى التجميلي، فالزينة هنا بمعناها الجمالي والمعنى الذي تم التركيز عليه، هو الإفادة من المعنى الجمالي للقران الكريم وتضمينه في الخطبة وهذا هو موضع التَّرابط الدَّلاليّ بين اللّفْظ القرآنيّ وما ورد في خطبة الإمام (عليه السلام) .

كما ورد هذا المعنى في سياق لفظي منفصل متقدم، إذ يقول (عليه السلام)، فيها: ((**ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ، وَضِياءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيها سِرَاجاً مُسْتَطِيرا**[1]، **وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ**[2]))[3] .

إنّ الإمام (عليه السلام)، في وصفه للسماء يتفكر ويصفها في مشهد جمالي إلا إنّ السماء لم تكن، هي السبب بهذا الجمال؛ لأنّها مظلمة بل ما تضمه من الكواكب والثواقب (الأجرام) والشمس والقمر، بقرائن لفظية سياقية، وهي قوله (زينة، وضياء، وسراجًا، ومنيرًا) متقدمة (زينة، وضياء) ومتأخرة (منيرًا) .

فجسّد لنا صورًا منسجمة مع بعضها بعضاً بوصف أوضح فيه أن هذه الأجرام مجتمعةً تؤلّف صورة جمالية وقد قدمها للمتلقي بشكل يستطيع عن طريقها إدراك البعد الجمالي، معبرًا بذلك عن قدرة الخالق (عزّ وجلّ) وإبداعه في خلق السماء وما تحتويه من هذه الكواكب .

نلحظ من كلام الإمام علي (عليه السلام)، أنّه قصد بالفلك الدائرة التي تدور حولها الأرض وتلك الأفلاك الموزعة على السماوات بانتظام، ودقة متناهية وأنّ إطلاق لفظ الفُلك، تعني كل ما تضمنته السماء من أفلاك وأجرام سماوية .

فذكر القمر وصفته، مع ذكره للكواكب، إلا أنّ الشمس لم يذكرها صراحةً، بل ذكر صفتها، وهي (سراجًا) بقرينة لفظية غير سياقية، وهي قوله تعالى :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان :٦١]، فضلًا

(١) مستطيراً : منتشرًا في الأفق، ينظر : معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٤٣٦ مادة(طيس) ، ولسان العرب :٥١٣/٤ فصل الطاء المهملة ، و معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٤٣٠/٢ مادة (طير).

(٢) سقفٌ سائر ورقيمٌ مائر :تعني وَشْيَ السماءِ بالنجومِ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير:٢٥٤/٢ مادة (رقي)، و لسان العرب ٢٤٩/١٢ فصل الراء المهملة ، مادة (رقم).

(٣) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٠٧.

عن ورودها مع (القمر) وصفته (منيرًا)، وهي مصاحبة لغوية، ضمن قرينة السياق، فالشمس مصاحبة للقمر في أكثر التراكيب اللغوية؛ لانّ ((ذكر بعض الألفاظ يستدعي ذكر ألفاظ أخرى تناظرها وتقابلها في بعض الأحيان، وقد تكون العلاقة بين اللفظين علاقة اشتراك أو علاقة تضاد))[١] .

هذه الألفاظ جميعا، هي قرائن لفظية سياقية، ترصع السماء لتظهر جمالها بوجودها فيها، لان السماء مظلمة، والكواكب جميعها بما تضم من شمس وقمر مضيئة؛ فنتج من تزاوج الاضداد جمالًا مبهرًا .

إنَّ الإمام هنا ذكر القمر صراحةً، أمّا الشمس فلم يذكرها صراحةً بل ذكر صفة خاصة بها، وهي (سراجًا مستطيرًا)، والعلاقة بين القمر والشمس، هي علاقة ضدية وتخالف؛ لأنّها علاقة ((وجود حقيقي أو اعتباري بين شيئين متضادين حقيقة لا سلبًا وإيجابًا، أي إنّ كل من المتضادين كيان قائم بذاته ... والتخالف هو سمة بين طبائع الأشياء والصفات))[٢].

نخلص من ذلك أنّ القرائن اللفظية السياقية لها دور كبير في الكشف عن دلالة كثير من المعاني الجمالية في كلام الإمام علي (عليه السلام)، في سياقات لفظية متقدمة، أو متأخرة، أو مصاحبة لها، وإن المعنى الجمالي عند الإمام علي (عليه السلام) كان في أغلبه نفعيًا، ينبع من مسؤوليته في توليه شؤون الأمة ؛ كونه إمامًا وخليفة المسلمين.

كل المعاني الجمالية التي وقف عندها الإمام (عليه السلام)، كانت لحث العباد على التفكر في إبداع، وجمال، وعظمة خلق الله (عزّ وجلّ)، والتنبيه على أنّ من خلقها واحد.

نلحظ مما سبق كثرة القرائن السياقية اللفظية لإظهار المعنى الجمالي الواردة في نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)، الأمرُ الدال على أنّه كان يحتاج إلى أدلّة وقرائن ملموسة وقوية؛ لإقناعهم أو لضمان سرعة تأثرهم.

(١) التأويل اللغوي في القرآن الكريم :١١٩.

(٢) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية : ٥٨ .

المطلب الثالث : النجوم والشهب

إنّ النجوم عبارة عن أجسام كروية ومشعّة من البلازما موجودة في الفضاء، تتميز بلمعانها، وضخامتها، وتماسكها، وتستمد لمعانها من الطاقة النووية المتولدة فيها، ولا بد من الإشارة إلى أنها تبعث كمية هائلة من الطاقة في أرجاء الفضاء والكون، كما أنها أقرب الأجسام إلى كوكب الأرض، ولها الكثير من الفوائد في أرجاء الكون فهي تنشأ نتيجة الدوران المستمر، والسريع لسحابة تتكون من مجموعة من الغازات[١]، وقد نالت النجوم الاهتمام الكبير، والتفكير المستمر عند الإمام علي (عليه السلام) فأوردها في مواضع عدّة في النهج ، يشير بها إلى عظمة الخالق وجميل صنعه، إذ جاءت لفظة النجوم في خطبة للإمام علي (عليه السلام) في الكوفة يصف بها النجوم، فيقول : ((**جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ[٢] سُجُفِ[٣] اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**))[٤] .

ذكر الإمام علي (عليه السلام)، في كلامه مزيتين للنجوم، مهمتين وأساسيتين، هما أنّ العربي بها يستدل على وجهته في الصحراء؛ اذ لا توجد لديه علامات يسير عليها إلّا من خلال هذه الأجرام السماوية، فوضح الإمام علي (عليه السلام) بديع قدرة الله (عز وجل) في إظهار جمالها النافع، إذ لم تمنع السماء المظلمة تلألُؤَ هذه الأجرام المضيئة على رغم صغرها، فوظّف التقابل الدلالي بالضد (ضوء ونور) النجوم، مع (ادلهمام وسجف الليل) في السماء[٥] ، فهو تقابل يدل على حكمة الله الباهرة، والتقابل يعني وجود علاقة ضدية بين الألفاظ، وهو ظاهرة دلالية أطلق عليها قديمًا (الاضداد)، وحديثًا (التخالف)، وعند البلاغيين تسمى بمصطلح (المقابلة)،

---

(١) وظيفة النجوم في السماء وأنواعها وفوائدها، ليلى جبريل (مقال)، https://mqaall.com/the-function-of-the-stars-in-the-sky-its-types-and-its-benefits .

(٢) ادلهمام : مصدر ادلهم : الظلام الكثيف، اشتد ظلامه، ينظر :تهذيب اللغة :٦/٢٨٠ مادة (دلهم)، لسان العرب :١٢/٢٠٦ مادة (دلهم)، فصل الدال المهملة .

(٣) سجف : أسجُف الليل : أظلم : والساعة من الليل والستر، ينظر: لسان العرب :٩/١٤٤ مادة (سجف) فصل السين المهملة، القاموس المحيط :١ /٨١٨ مادة (سجف) فصل السين .

(٤)شرح نهج البلاغة : ١٠ / ٨٥ .

(٥) ينظر: التقابل من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص، أ.عبد الله بن صفية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج (بحث) :٦٦ .

وغيرها من المصطلحات، مثل (ضد، عكس، خلاف، نقيض)[١] إلا إنّ مصطلح (التضاد) أكثر دلالة على هذه الظاهرة الدلالية، وغايتها ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى المتكلم بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني[٢]؛ ((لتكشف عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ المتقابلة في محاولة لتفسيرها وإيجاد سماتها المختلفة، وما تختزنه من قيم دلالية))[٣] فكانت ظاهرة، (الأضداد) القرينة اللفظية السياقية، التي أظهرت المعنى الجمالي في كلام الإمام علي (عليه السلام) في حديثه (ضوء ونور) النجوم، حينما جمعها مع ضدها (ادلهمام، وسجف) الليل؛ اذ الأشياء تظهر بأضدادها.

نلحظ في كلام الإمام (عليه السلام) أيضًا، تقديمًا وتأخيرًا في قوله (لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم)، وادلهمام، يعني الظلام الكبير[٤] والسجف تعني الظلمة والساعة من الليل[٥]؛ إذ قدّم المفعول به (ضوءَ نُورها) على الفاعل ادلهمامُ سُجُف الليلِ المُظلم)، وهي إحدى صيغ البلاغة[٦]، التي أطلق عليها المعاصرون مصطلح (الترخص في الرتبة)، أو (الإنزياح الموضعي)[٧]، وهو التقديم التقديم والتأخير الذي نال اهتمام العرب قديمًا؛ لأنّهم يعبرون في كلامهم عمّا بداخلهم بتركيب جديد مغاير للتركيب السابق نسقًا، وتحقيق مستوى دلالي جديد، ليصل إلى المتلقي فيقدمون ((الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمّانهم ويعنيانهم))[٨]، فوصفه عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) بأنّه ((كثير

(١) ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي:٤١-٤٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه :٥٣ .

(٣) المصدر نفسه :٥٣، وينظر: أسس التحليل اللغوي، فالح حسن كاطع الأسدي، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ٢٠١٨/٦/١٩ (محاضرة)

(٤) ينظر :العين مادة (دلهم) :١٢٦/٤، و المعجم الوسيط مادة (ادلهم):٢٩٥/١.

(٥) ينظر :الصحاح مادة (سجف) :١٣٧١/٤، والقاموس المحيط مادة (سجف) :٨١٨/١.

(٦) ينظر : الخصائص، ابن جني : ١/ ٢٩٨ .

(٧) ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان : ٢٢٧، و اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٧، وقضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، محمود سليمان ياقوت :٢٩٩ و ٣١٤، ونظرية التضام اللغوي للقرآن الكريم،أ. د.حسن منديل :٥٣ .

(٨) كتاب سيبويه : ٣٤/١.

الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقُكَ مسْمَعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطُفَ عندك أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ آخر))[1]؛ إذ وظّف الإمام (عليه السلام) أسلوب التقديم والتأخير؛ لإظهار اهتمامه بجمال لمعان النجوم ولمعانها في السماء الشديدة الظلمة؛ لذا كان وصفه، أكثر تأثيرًا وجمالًا؛ لأنّه ينقل المعاني إلى المخاطبين على وفق ترتيبها في ذهن المتكلّم تبعًا لدرجة أهميتها عنده، فيكون التعبير صورةً صادقةً لإحساس المتكلّم ومقصده من الكلام[2] وفيه تتجلى إمكانات المبدع في الصياغة والتعبير؛ لأنه يخرج يخرج عن القاعدة الخاصة بترتيب الكلام، ليجعله أكثر دقة وتأثيرا وجمالا، فضلا عن وجود قرائن لفظية سياقية تدل على جمالية هذه النجوم، النفعية منها والحسية، فالقرينة اللفظية السياقية الجمالية النفعية المتصلة المتأخرة، هي (أعلام يستدل بها الحيران)، والقرينة اللفظية الجمالية الاخرى، هي (ضوء نورها) .

ولعل الاشارة الجمالية التي تبدو واضحة، هي تلك السمة التي تتمتع بها النجوم، إذ إنها مضيئة، لذا هي تجمل السماء فضلًا عن كونها دليلاً لهداية الضال واستدلالًا على الطرق الأرضية بالرغم من بعدها عن الأرض .

وفي كلام له (عليه السلام) – لما عوتب على التسوية في العطاء، يصف السماء، وذكر النجوم فيها، بقوله : ((**أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ – فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ – وَاللَّهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ – وَمَا أَمَّ[3] نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً – وَلَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ – فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ**))[4] .

نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام)، تحدث هنا عن ترتيب النجوم في السماء، وهو حديث عالم وخبير فلكي له علم بدقائق أمور السماء وطرقها، بقوله : **(وما أمَّ نجم في السماء نجمًا)** وهو دليل على أنّ النجوم لا تسير بالتتابع بعضها خلف بعض

(١) دلائل الإعجاز : ١٠٦ .

(٢) ينظر : صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين: ١٩٤.

(٣) أمّ : قصد أي ما قصد نجم نجمًا، ينظر : جمهرة اللغة مادة (أمم) :٥٩/١، و تاج العروس مادة (أمم) :٣١ : ٢٢٧.

(٤) شرح نهج البلاغة : ٨ / ١٠٩ .

بمعنى أنّ نجمًا يتقدم على آخر [١] ، فلا يتميّز نجم على آخر في السماء ولا أن يتقدّم نجم ومن خلفه تترتب النجوم بشكل أفقي وهو تشبيه ضمني، اذ لجأ الإمام (عليه السلام) إلى التشبيه الضمني في تشبيه منزلة الناس بترتيب النجوم في السماء، فكما أنّ الله (عزّ وجلّ) لم يفاضل في خلقه في ترتيب النجوم بين نجم وآخر، فجعلها منتظمة، كذلك الناس متساوون كأسنان المشط لا أن تتفاضل فيما بينها على أساس المال، وهي إشارة لطيفة أن اعتمد الإمام هذا اللون من التشبيه، إذ من مميزاته أن يكون المشبهُ به حقيقةً، أو قانوناً لا يقبل الخطأ[٢]، وكأنّما يسري حكمة فتدل على خبرة مرّ بها صاحبها، فخرج بحصيلة جمعها فيها .

وممّا يمكن الإشارة إليه أنّ لفظ النجم في نهج البلاغة ورد دالاً على الجمال الدنيوي البعيد، النفعي، وهنا تتجسد بلاغة الإمام علي، وروعة الأسلوب، وحسن التعبير، وهو إشارة إلى العلم الذي يتمتع به .

إنَّ القرينة اللفظية السياقية الجمالية، هي الصورة الضدية للتشبيه الضمني الذي شبّه به الناس بالنجوم، الذي يدل على عدم تفضيل نجم على نجم، مع إبداعه في وصف طريقة ترتيبها في السماء، ((لأنّ السياق يدفع إلى المعنى، ويسهّل الوصول إليه، وقد يكون السياق غامضًا لقلة القرائن، فيحتاج إلى الشدّة وبذل الجهد الذهني لمعرفة دلائل الكلام ومقصوده، والسياق : التتابع، والتناسق، أي إنّ المعنى لا يبتدأ إلّا من خلال دراسة سلسلة الكلام، وتتابعه ...، والسياق يرتبط بطرفي الكلام ويسوق المعنى إلى غايتهِ التي هي إيصال غرض المتكلّم إلى ذهن المخاطب))[٣].

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة: ٨ / ١١٠ .

(٢) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس (علم البيان والبديع) : ١٧و٢٢.

(٣) دلالة السياق في القصص القرآني : ٢١.

الفصل الثاني

أثر القرائن العقلية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة

المبحث الأول : أثر القرائن العقلية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة

المبحث الثاني : أثر القرائن العقلية في إظهار المعنى الجمالي في الطبيعة البعيدة

rawpixel

المبحث الأول

أثر القرائن العقلية في اظهار المعنى الجمالي في الطبيعة القريبة

دلالة النص لا يمكن أن تحددها الدلالة المعجمية مجرّدة، بل أنّ الاكتفاء بها وحدها أمر لا تتقبله الفلسفة اللغوية بحالٍ[١]، إذ يعمد المتكلم إلى أدلة أخرى يستعملها ليؤثر بها على المتلقي، لذا فإنّ ما يكشف النصّ من محددات لا يمكن إهمالها، فهي كاشفة للنص على مستويات مختلفة، فمنها المخصصة، ومنها المقيّدة وغير ذلك، ولا يمكن فهم الكلام أو الوصول الى الدلالة المقصودة من دونها، ومن تلك المحددات((شخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام ساعة التكلم من ملابسات وظروف ذات صلة به، ومن حضور يشهدون الموقف الكلامي))[٢]، وهذه المحددات ليست لغوية، بل هي خارج السياق التقليدي الذي يعتمد الأصوات معرّفًا لغويًا لها، لذا فإن تحديد معنى الكلام يحتاج إلى وسائل أخرى غير المعجم، ومن تلك الوسائل، الموقف الكلامي أو الحال الذي تلقى فيه عبارة ما من العبارات، وقد سمّاه المحدثون (سياق الحال) يريدون به العناصر المجتمعة غير اللغوية التي تؤثر في الموقف الكلامي، وهي عناصر كثيرة لا يمكن إحصاؤها، منها التاريخية ، ومنها النفسية، ومنها الاجتماعية، وغير ذلك[٣].

ولعّل أقدم إشارة لهذه العناصر غير اللغوية في السياق الكلامي، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٠]، إذ المراد منه ما يكتمون في أنفسهم وظهر في طريقة أدائهم اللغوي، ومثلها قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((**مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ – وصَفَحَاتِ وَجْهِهِ**))[٤] ، فما يظهر في قسمات الوجه من آثار يكشف عن مدى صحة القول، أو نوعه.

(١) ينظر :علم الدلالة :٦٩، و التأويل اللغوي في القرآن الكريم :١٠١– ١٠٣ .
(٢) التأويل اللغوي في القرآن الكريم :١٢٧ .
(٣) ينظر : علم اللغة، د.محمود السعران ٢٥٢–٢٥٣ .
(٤) شرح نهج البلاغة :١٨ /١٣٧ .

لهذا يرى (فندريس) أنّ القيمة التعبيرية للفظة هي قيمة آنية وقتية تخضع للظروف واللحظات التي تستعمل فيها[١] . فالألفاظ داخل السياق شبكة واسعة معقّدة من علاقات المعنى ؛ وعلى ذلك فالسياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة في كل حالة من الحالات .

ومع كل هذا فنظرية السياق لم تكن جديدة إلاّ في تسميتها فقد كان عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) أول مَنْ أسس قواعدها وأصولها وأطلق عليها(نظرية النظم)[٢] .

إن السياق كان معروفًا لدى علماء العرب الأوائل، لكنه كان عامًّا، إذ كان السياق يشمل أنواعه الثلاثة، فأول مَنْ أشار إليه هو العالم اللغوي سيبويه (ت١٨٠هـ) في كتابه الذي ربط فهم النص وما يمكن أن نقدره من عوامل محذوفة تؤثر فيه، ويمثل لذلك بأنك لو قلت : (مكةَ وربِّ الكعبة) إذا رأيت رجلًا متوجّهًا وجهة الحاج، وفي هيئة الحاج، وكأنّك قلت : يريد مكةَ واللّهِ[٣] .

وهو يريد بهِ هنا سياق الحال، أو كما يسميه البعض (سياق المقام)[٤]، وهو((كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم، أو المخاطب، في أثناء النطق، فتعطي اللفظ دلالته وتوجهها باتجاه معين، فهو إذًا مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه، التي تعين على فهمه وتفسيره))[٥] .

إنّ دلالة النص تقف على ثلاث قرائن: عقلية، وعرفية، ولفظية، فالعقلية التي تستند الى العقل في فهم الدلالة، أمّا العرفية، فهي التي تعتمد العادة والعرف في تحديد المعنى، أمّا القرينة اللفظية، فتعتمد الألفاظ الموجودة في النص لتحديد

---

(١) ينظر : اللغة : ٢٣١، و التأويل اللغوي في القرآن الكريم :١٠٢ .

(٢) ينظر :دلائل الإعجاز :٤٩، ونظرية النظم هي البناء اللغوي للجملة وفق ما يقتضيه المعنى إذ يقول الجرجاني : ((اعلم أنْ ليسَ "النظمُ" إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك ، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها)) دلائل الإعجاز :٨١.

(٣) ينظر : الكتاب، سيبويه ٢٥٧/١ .

(٤) ينظر منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية ١٦٢، نقلا عن التأويل اللغوي في القرآن الكريم :١٢٨ .

(٥)التأويل اللغوي في القرآن الكريم : ١٢٨ .

الدلالة[١]، وأمّا القرينة العقلية، وهي مدار البحث، فقد عرّفها الباحثون بأنّها ((إعمال العقل للوصول الى المعنى))[٢] .

إنّ للقرينة العقلية أثرًا مهمًّا في الوصول إلى دلالة باطن النص بعيدًا عن المعاني الظاهرة البسيطة، وقد استعان بها المفسرون في تفسيرهم للقرآن الكريم في ابعاد فكرة التجسيم والتجسيد والتشبيه في صفات الله (عزّ وجلّ) الواردة في الآيات الكريمات، وهي كثيرة في القران الكريم[٣] .

إذًا القرينة العقلية لها دور مهم في تأويل أية لفظة أو عبارة مشكلة، أو تدل على معنى غير ما تُظْهر ؛ إذ في بعض العبارات لا يعدُّ ظاهر العبارة، ومعنى النص الحرفي كافيًا في تحديد معناها، بل الذي يحدد دلالة النص كثير من الملابسات والقرائن، مثل مناسبة النص، أو الموقف الذي قيل فيه، أو السياق اللفظي ، أو قد تتضافر أكثر من قرينة على إظهار المعنى المطلوب ((وهي جميعها تداخلات خارجية تفرض على النص معناه، وتعمل على زحزحة ظاهر العبارة عن دلالته المباشرة))[٤] .

تظهر هيمنة القرينة العقلية على النص عندما يضعف المعنى اللغوي ويطغى المنحنى العقلي، فبذلك تكون من الوسائل المهمة التي يلجأ إليها المتلقي لفهم المعنى، وحلِّ الإشكالات التي تثيرها ظواهر بعض الألفاظ والعبارات، وهي أيضًا ((أداة أساسية من أدوات المعرفة حين يتعدّى الأمر حدود العلاقة بين الدَّال والمدلول، وتصبح الالفاظ دوالَّ على معانٍ اعمق غورًا من دلالتها اللغوية المألوفة))[٥] .

والقرينة العقلية هي أمر معنوي عماده العقل، وبما يوحيه النص، ويدل عليه المعنى العام، وبه يوصل الى الدلالة المقصودة [٦]، وأول مَنْ نبّة على أهميتها في

(١)ينظر :التأويل اللغوي في القران الكريم :١٥٠-١٥١.

(٢) المصدر نفسه :١٥٢ .

(٣)ينظر :حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الحنفي :٥٨/١ و١٥٩ و٢٨٤.

(٤) نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبدالحكيم راضي : ٤٤٨ .

(٥) التأويل اللغوي في القران الكريم :١٦٧ .

(٦) ينظر : ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، د. علي جابر المنصوري /١٠٦ .

الإستدلال هو الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)، وهو من كُبار المتصوّفة الأشاعرة، الذي عدّ العقل أساسًا ووسيلة للمعرفة، وأنّه مضمّن بالأدلة العينية الحسيّة والخبرية السمعية، وأساسه النظر والاستدلال[١] ثمّ توالت اهتمامات العلماء العرب من مفسرين وأصوليين[٢] بالسياق أو القرينة العقلية لدرجة كبيرة، حتّى إنّ بعض المحدثين جعل الطوسي وهو من المفسرين الذين اعتمدوا المنهج العقلي واتخذه أساسًا في تفسيره، رائدًا من رواد المدرسة التي تتبنى التفسير العقلي[٣].

أمّا اصطلاحًا، فالمقصود منه اللفظ الذي يريد به المتكلم غير المعنى الحقيقي الموضوع له في اصل اللغة لوجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[٤] .

والقرينة العقلية من القرائن المهمة في إظهار، أو تحديد المعنى الجمالي في نهج البلاغة، التي سيقف البحث عند المجالات التي استعملت القرينة العقلية، والبحث في أهميتها لبيان المعنى المطلوب .

كان للقرينة العقلية أثر مهم في تأويل الآيات القرآنية الكريمة التي يفهم من ظاهر معناها خلاف الباطن، مثل الآيات التي ترد في ظواهرها صفات الله (عزّ وجلّ)، فيحصل إشكال عند حملها على هذه الظواهر، فكانت هذه الآيات موضع خلاف بين الطوائف والنِّحل، فمنهم من يفسرها على الظاهر ومنهم من يؤولها، فيعمد الى القرائن العقلية لإثبات رأيه، منها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/١١٥]، إذ ظاهر لفظ الآية بقول (وجه الله) ، إلا إنّ العلماء فسروها على تفسيرات عدّة ؛ لأنهم لم يقبلوا ظاهر اللفظ، فكان منها : أنّ (وجه الله) المقصود منه، أينما تولوا وجوهكم، فهناك وجه الله، أي القبلة[٥].

---

(١) ينظر : العقل وفهم القران /٢٣٢، وينظر : الاتجاه العقلي في التفسير، د. نصر حامد أبو زيد ٥٢-٥٣، والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القران للطوسي، ابتهال كاصد ياسر الزيدي (أطروحة) : ٢٩٩ .

(٢) ينظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني /١٨، وينظر الاتجاه العقلي، نصر حامد ابو زيد /٥٧ .

(٣) ينظر : البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران للطوسي: ٢٩٩،٣٠٠.

(٤) ينظر :التعريفات :٢٠٣ -٢٠٤ .

(٥) ينظر : الكشاف ١٨٠/١، وينظر: التفسير الكبير : ١٨/٤، و البحر المحيط ٥٧٦/١.

والرأي الثاني : أنّ الله (عزّ وجلّ) إليه العبادة، والثالث : أنّ الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم، أي (الدعاء)، والرأي الرابع: إن معناه فثمّ رضوان الله، أي الوجه الذي يؤدي الى رضوانه [١] .

نلحظ من ذلك أنّ القرينة العقلية أدت دورًا مهمًا في تفسير الآية عن طريق إعمال الفكر، وترجيح رأي العقل فيها، فيظهر دورها في الاختيار الصحيح .

وقد عمل مفسرو القرآن الكريم منذ عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلى هذا اليوم بحمل الآيات المتشابهات في أسماء الصفات على معانٍ مجازية في كثير من الأحيان بقرائن عقلية، كنفي بسط الله (عزّ وجلّ) .

إنّ القرينة العقلية تحتاج إلى إعمال العقل لفهم المعنى واحيانًا يتقصد المخاطب حذف بعض العناصر للاختصار أو لعلم مسبق بها، أو لثقته بأنّ السامعين سيفهموها[٢]، وحين نقول قرينة عقلية لا بد من العودة إلى العقل لمعرفة ما حذف من الجملة وهنا عملت القرينة بموجب الحذف والتعيين فلا يوجد في السياق ما يدل على المعنى بل يدرك بالعقل كقول الله عز وجل ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ ﴾ [الفجر:٢٢]، فلا يعني هنا إلا (أمر ربك أو عذابه) .

وقوله :﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ ﴾ [الممتحنة: ٨-٩]، والتقدير هنا هو أنّ الله لا يمنعكم من بر من لم يقتلوكم في الدين[٣]، وفي بعض الأحيان تأتي القرينة العقلية بدلالة المحذوف، إذ إنّه الدال على التعيين كقوله تعالى (بسم الله) فإن تقدير المتعلق ما جعلت التسمية مبدأ له ، لذا فإنّ القرينة العقلية وأهميتها من أنها دالة على حذف وهذا الحذف ربما يأتي حذف جملة مفيدة، وهي من باب الجمل التي تستقل بنفسها، وهو أحسن المحذوفات وأدلها على الاختصار والبلاغة وهو ما ورد كثيرًا في القرآن الكريم[٤].

---

(١) ينظر : مجمع البيان، الطبرسي : ٢٦٤/١ .

(٢) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١١٦.

(٣) ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب :١٥٩٠/٣، والإشارة الى الإيجاز :١٢ .

(٤) ينظر : البرهان للزركشي :٣ /١٩٤ .

ومن خلال ما تقدم فإن القرينة العقلية هي القرينة التي يتم الاستدلال بها للوصول إلى المعنى المستحيل، أو غير المقبول، أو للدلالة على المحذوف في سياق الكلام[١] .

أمّا في نهج البلاغة، فقد وردت القرينة العقلية، في مواضع مختلفة؛ لتبين المعنى الجمالي للمتلقّي، وسيختص هذا الفصل في إظهار القرينة العقلية في نهج الإمام علي (عليه السلام) ، وعلى مطلبين .

المطلب الأول : الأرض والجبال والرياح

تؤثر القرائن العقلية على المعاني فتوجهها وفقا لهدف منشئ النص، وتُعدّ القرينة العقلية نوعًا من انواع القرائن التي عمدت إلى حذف بعض المفردات من دون أن يؤثر ذلك على المعنى، كما إنَّ تطبيق الفنون اللغوية من (تشبيه، وكناية، و استعارة...) يحلّ محلّ اللفظ المحذوف وحينما تنتظم المفردة داخل الجملة يتضح المعنى ويكشف من خلال تلك المجازات الواردة فيه، وقد جاءت القرائن العقلية في نهج الإمام علي (عليه السلام) ؛ لتفعّل عقل المتلقي في التفكر، والتمحيص، والتدقيق في ما وراء اللفظ وقد شكلت القرائن بكافة أنواعها أساسًا في نهج البلاغة ، وهو من أدلة البلاغة والبيان[٢] ، في هذا المطلب نستعرض بعض الخطب التي تضمنت القرائن العقلية التي تخص المعنى الجمالي وإظهارهِ في الأرض والجبال والرياح، فقد ورد ذكر الرياح في خطبة للإمام علي (عليه السلام) في قوله: **(فَطَرَ الخَلائِق بقُدْرَتِهَ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ)**[٣] .

إنّ ورود هذه الخطبة وما فيها من زخم بلاغي بدأ بفطر الخلائق، وفطر الخلائق بمعنى : ابتدعها على غير مثال سابق[٤]، وهذا ما يدلُ على قدرته وكمال

(١) ينظر : علوم البلاغة البيان، والمعاني والبديع :٩١ .

(٢)ينظر: القرائن العقلية ودورها في تقدير المحذوف في النص القرآني،د. محمد الآمين خويلد، جامعة الجلفة، الأثر –مجلة الآداب واللغات –جامعة قاصدي مرباح –ورقلة –الجزائر –العدد التاسع –ماي : ٢٠١٠م، (بحث):٢

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد : ١ /٨١ .

(٤) ينظر : نهج البلاغة، صبحي الصالح :٥٦٣ .

توحيده والاخلاص اليهِ، وقصةُ خلق آدم قد وردت في القرآن الكريم، في قولهِ تعالى﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين:٤] أي إنّ الله سبحانه وتعالى قد فطر الإنسان بخلقٍ تامٍ متناسبِ الأعضاء منتصب القامةِ بأجهزة غاية في الدقة لا تُعدُّ ولا تُحصى وهي الفطرةُ الاولى للإنسان، فجعل صورة الإنسان حسنة وخلقه على أحسن تقويم، والقصد من التقويم هنا هو القوام، أي ما يقوم به الشيء(١).

وردت في كلام الإمام علي (عليه السلام) لفظة الفطرة التي جاءت في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة، مثل قوله تعالى﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ ﴾ [الروم:٣٠،٣١] و(الفطرةُ) لغةً، هي الابتداء، والاختراع، والفطرةُ كذلك هي ما فطر الخلق عليه بمعرفتهِ به(٢) .

جسّد الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة إبداع خلق الله في الإنسان، إذ جعله قويما مستقيما حسنُ الخلقِ، وهو المقصود من كلام الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة، فلو تمعنا في اللفظِ لوجدنا أنّ المعنى المراد، هو قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته، التي ابتدأت الانسان بهذا الشكل، والقرينة العقلية (حكمة خلق الإنسان ودقة خلقه) .

نلحظ هنا أنّ خلق الإنسان في أحسن تقويم هو المراد من كلام الإمام علي (عليه السلام) بقرينة عقلية، هي أنّ الله (عز وجل) لم يخلق خلقًا غير كامل بقدرته، تساندها قرينة لفظية، وهي قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين/٤]، فكانت القرينة العقلية متجسدة في إظهار المعنى الجمالي لخلق الإنسان.

أمّا قوله (عليه السلام) (ونشر الرياح برحمته) فمقاربتها مع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ ﴾[الأعراف:٥٧] .

(١) ينظر: تفسير المراغي، المراغي :٣٠ / ١٩٥.

(٢) لسان العرب: ٥ /٥٦ مادة (فطر) .

والمعروف عن الرياح في اللفظ القرآني هي تلك اللفظة المقترنة برحمة الله التي يرافقها نزول الغيث على الأرض، وهو بُشرى لنمو الأرض وجمالها فالماء نذير الخير والبركة والرحمة على الأرض[١] .

إنّ علاقة نشر الرياح بالرحمة، في العبارة السابقة، يميل العقل الى تفسيرها بالغيث الذي يتسبب بالرزق الكثير، للتناسب الدلالي بينهما ؛ لأنّهما سبب ومسبّب، وهو ((من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني))[٢] ، الذي يحتاج الى إعمال العقل، فضلا عن القرينة اللفظية غير السياقية التي ساندت القرينة العقلية في قوله تعالى ﴿ يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف:٥٧] وقوله (ﷺ) :((اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحًا))[٣] ؛ لإظهار المعنى، فالمعنى العقلي في الرياح هنا يستفاد من اقترانها بالرحمة ؛ أي إنّ استعمال اللفظ (الرياح) جاء بالجانب الايجابي الذي يدل على الغيث، وهو مبعثُ الخير، والجمال على الأرض[٤] .

تمثّل المعنى الجمالي في اقتران الرياح بالرحمة، ومعناها الدلالي البعيد(الغيث الذي ينتج عن نزوله الى الأرض النبات والشجر) الأمر الذي أظهر اقتران اللفظين مع بعضهما ليشكلا تلك الصورة الجمالية التي وصفها الإمام (عليه السلام) في خطبتهِ، وهذا التوظيف العقلي للقرينة قد استخلصه الإمام علي (عليه السلام) من القرآن الكريم الأمر الذي زاد الخطبة جمالًا من خلال يُسر الالفاظ واقتران بعضها بالبعض الآخر مع قوة المعنى العقلي، وهو من أدلةِ إحاطة الإمام علي (عليه السلام) بفنون اللغة العربية ومعانيها ، فكان التوظيف جماليا وعلميا في آنٍ واحد فلم يستعمل الإمام الريح مبعث النقمة على الأرض ؛ بل استعمل لفظ الرياح مبعث رحمته[٥] .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة :٢ / ١٢باب (العين والصاد مع الراء).

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٥/١، وينظر: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن :٣٠٣ .

(٣)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري :٣ / ٤٨٤، وينظر : البحر المحيط في التفسير :٨ /١١٥.

(٤) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٣ / ٤٨٤، و البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن : ٣١٠.

(٥)ينظر : المخصص، لابن سيده: ٢ /٤١٧، مادة (الرياح) .

وفي موضع آخر من كلامه (عليه السلام) وردت لفظة الأرض، يصف فيها مراحل تكوين وخلق آدم (عليه السلام)، بقوله : ((**ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ**[1] **الأرض وَسَهْلِهَا وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا تُرْبَةً سَنَّهَا**[2] **بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَلَاطَهَا**[3] **بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ**[4] **فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ**[5] **وَوُصُولٍ**))[6].

فصّل الإمام علي (عليه السلام) قدرة الله في بدء خلق آدم (عليه السلام)، إذ جمع من التربة ذاتها قبضةً من الطين ليصنع منها خلقه الأوّل فيركبها وفق ما يشاء، فالإنسان خلق من طين، وهو معنى الخطبة الظاهر، إذ جمع أجزاءً من الأرض، إلا أنَّ القصد البعيد من وراء ذلك، هو خلق أبينا آدم (عليه السلام) من أديم الأرض[7].

نستدل بالعقل أن المقصود من تفصيل كلام الإمام علي (عليه السلام)، في خلق آدم (عليه السلام)، هو للوصول الى اختلاف أجناس الناس ومعادنهم، فما جمعه من جهات الأرض سهلها، وسبخها، وطيبها ، وخبيثها ثم أدافهُ بالماء ؛ ليشكّل صورة آدم (عليه السلام) وفق ما أراده، هو ما يشيره الى الشكل الخارجي للإنسان، أمّا باطنه فينسحب على ما ذُكر من أنواع الأرض، التي توصلنا إلى علّة اختلاف طباع الإنسان واشكالهِ باختلاف الطينات، فمنها السباخ، ومنه الملح، ومنه الطيب؛ لذا فإنّ المعنى البعيد يُفضي إلى الصالح والطالح من خلق الإنسان[8] .، وقيل أن آل بيت النبوة (عليهم السلام)، قد خُلِقوا من فاضل الطينة التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام)، فمن هذه الطينة جاء الأنبياء والمعصومين؛ لأنّ أساس خلقهم طيب، وهو من تلك الطينة المباركة[9] .

---

(1)الحزن من الأرض : ما فيهِ خشونة ، العين :٣ / ١٦١ باب الحاء والزاي والنون .

(2)سنها : سن المَاء يسنه سنا إذا صبه حَتَّى يفِيض ، جمهرة اللغة ١٣٥/١ ، مادة (سنّ) .

(3) ملطها ، ينظر :جمهرة اللغة :١٥١/١ ، مادة (لطط) .

(4)لَزَبَ الطينُ يَلْزِبُ لُزوبًا ولَزِبَ: لَصِقَ وصَلُبَ ،المحكم والمحيط الأعظم :٥١/٩ ، مادة (ل ز ب) .

(5)حِنَّو كل شيء : اعوجاجُه ، ديوان الأدب للفارابي :١٥/٤

(٦) شرح نهج البلاغة :١ / ١٢٠ .

(٧) ينظر :علل الشرائع، للشيخ الصدوق:٨٣/١.

(٨) ينظر : علل الشرائع :١ /٨٣، وبحار الأنوار :٥ /٢٣٩.

(٩) الاحتجاج للشيخ الطوسي: ٢ / ٥٦.

إذًا القرينة العقلية أوصلتنا الى أنّ خلق الإنسان تباينت طباعه وفقًا للتباين الحاصل في نوع وشكل الطين الذي خُلِقَ منه .

وقوله (عليه السلام) (حزن الأرض وسهلها)، حزن الأرض، لغة: هي تلك الأرض صعبة الانقياد، والسهل، الأرض الطيعة، والمقصود من هذا الكلام اختلاف طباع البشر بين الصعب المراس والسهل .

نلحظ أن وصف اختلاف طباع البشر الذي استدلينا عليه بالقرينة العقلية، تدل على جمالية ورقي في التعبير والأسلوب الفصيح الذي يجعلنا نتذوق ونتقبل حتى الطباع الصعبة والقاسية، وهو ما عهدناه في كلام الإمام (عليه السلام) .

المطلب الثاني: النبات

إنَّ الإمام علي (عليه السلام) لم يدع شأنًا من شؤون الحياة إلا ووضع فيه ما يفسرهُ من خلال حقائق تأخذ سمتين، الأولى بلاغية تدل على بلاغته وفصاحته، وجمال أسلوبه، وتمكنه من اللغة، والثانية: الإعجاز العلمي الذي لو دقق وتم إعمال العقل فيه؛ لاكتشفنا حقائق علمية كثيرة، فالقرائن العقلية، هي الأمر الذي يحتاج تفعيل العقل والتفكر لإدراك المعنى العقلي الذي يكمن خلف المعنى المباشر، وهذا ما جاءت عليه القرينة بأنّها تحمل بعدين أولهما لفظي سياقي، والآخر معنوي يتم اكتشافه بإعمال العقل.

إنّ النبات في نهج البلاغة كان له حضور واضح ؛ لأهميته في حياة الانسان، إذ يبعث التفاؤل والأمل والبهجة في نفوس الناس، والإمام (عليه السلام) تناول المعنى الجمالي للنباتات بطريقتين، الأولى : المعنى المباشر في إظهار جمال النبات، وهذه الطريقة لا تحتاج إلى إعمال فكر أو جهد في إظهار جمال النبات والشجر والرياض الخضراء، أمّا الطريقة الثانية فكانت بذكر النبات من دون الكشف الصريح عن جماليته، أو موضع الجمال فيه، فيترك الدلالة العميقة بمعونة العقل لتظهر المعنى الجمالي فيها، وهو مدار بحثنا، ومن هذه المواضع التي يذكر فيها الإمام (عليه السلام) النبات، قوله في خطبة له، يتحدث فيها عن شجرة الرسول

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ بقوله: ((**أسرتَهُ خيرُ أسرةٍ وشجرتُهُ خيرُ شجرةٍ أغصانُها معتدلةٌ وثمارُها متهدِّلةٌ**))[1].

إنَّ المتلقي قد يفهم ان المقصود الشجر المادي في قوله (شجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة)، هي شجرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، أي : نسبه من الرسل الى ابنائه وأجداده وآبائه (عليهم السلام)، لذا يلجأ المفسر لدفع هذا التأويل الى القرينة العقلية، ليصرفها عن ظاهرها ويعطيها دلالات أُخر لا تثير إشكالًا، أو لبسا، فيؤلها تأويلا يلائم، أولًا: المقام الذي من أجله ورد التشبيه، أو ذكر الشجرة، إلا وهو النسب والامتداد العميق، وثانيًا : المعاني التي تلائم الصفات التي ذكرها في الشجرة.

إذ إنّ من غير المعقول أن يكون الإمام (عليه السلام)، يصف شجرة من شجر الدنيا لسببين :

الأول : أنّ كل الأشجار الدنيوية متشابهة، فلا فرق بين شجرة وأخرى، لذا فإنّ شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المادية لا تختلف عن غيرها، فلماذا يصفها باعتدال الأغصان، ووفرة الثمار، وكل الأشجار متماثلة ؟.

الثاني: الصفات التي وصف الإمام (عليه السلام) بها هذه الشجرة، وهي أن أغصانها معتدلة، ولا توجد شجرة من شجر الدنيا تتصف بأن اغصانها معتدلة، لذا فان العقل والمنطق، يقول: إنّ المقصود بذلك، هي شجرة النبوة .

فضلًا عن وجود القرينة اللفظية السياقية المتقدمة (أسرته خير أسرةٍ).

إنّ تمثيل وتشبيه الرسل من آدم (عليه السلام) حتى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالشجرة ذات الأغصان المعتدلة الثمار الكثيفة، المتدلية، من الصور الجميلة التي تدل على جمال ومنفعة هذه الشجرة للناس.

وهو معنى عقلي يتسم بجمالية الصورة التشبيهية، ولعل ما يدرك من هذه الخطبة هو ذلك المعنى الجمالي البليغ الذي تجسد بالقرينة العقلية ومن خلال اجراء مقارنة بين سمة الشجر، واعتدال أغصانه وتداخله، وانسجامه، فهو بلون واحد، وبمظهر واحد، وهو يحيلنا إلى آل بيت النبوة الأطهار من أنّ جذر شجرتهم، هو النبي آدم

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة:٩ / ٢٧٣

أساس سلسلة النبوة والرسالات، فالمبتدأ هو النبي آدم (عليه السلام) والمكمل هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى هذا جاء المعنى العقلي، وجاء المجاز في هذه الخطبة ليحقق غايته في العقلِ أولاً [١].

وقد وردت القرينة العقلية في كلام الإمام علي(عليه السلام) الذي يحتاج الى إعمال فكر وترجيح رأي العقل، فيظهر دوره في الاختيار الصحيح في وصف أهل البيت (عليهم السلام)، إذ يقول :((**فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَمَل نَبَاتٌ، وَكُلَّ نَبَات لاَ غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ**))[٢].

نلحظ من هذه الخطبة أنها شكلت خروجًا عن المعنى المباشر الى المعنى العقلي فلم يكن هدف هذه الخطبة، هو بيان عمل النبات، بل هو معنى مجازي يقصد به العمل الصالح، ونتيجته (ثمرته)، والعمل السيء ونتيجته. فالعمل الذي يقوم به الإنسان، هو غرسٌ ولا بد لهذا الغرس أن يُثمر فالذي ينتج عن النبات الطيب، هو الثمر الطيب الحلو، والذي ينتج عن النبات السيء، هو الثمر المرّ الطعم (الخبيث)، وهو تعبير مجازي يقصد فيه (آل بيت النبوة الاطهار عليهم السلام هم الغرس الطيب)[٣] .

إنّ سياق الكلام ورد فيه صفات ظاهرها يدل على أنّ المقصود منها، النبات بكل أنواعه، وما ينتج من ثمار، إلا إنّ المعنى الحقيقي تفهمه بتأويل مناسب له ((بقرينة عقلية تساندها إحدى القرائن الأُخر من سياقية، أو حالية))[٤].

لذا فإنّ قوله (عليه السلام) في أنّ المياه مختلفة، وتعلق الثمر الطيب بالسقي الطيب، والثمر الخبيث بالسقي الخبيث المقصود منه الإنسان وليس النبات بقرينة عقلية، هي أنّ المياه لا تتحكم في واقعها بطعم الثمر، بل تتحكم بقوة النبات، حياته، وموته فقط، لذا من غير المعقول أن يكون القصد منه النبات.

---

(١) ينظر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي :١١ /٥٢٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد :١٧٩/٩ .

(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي :٢ / ٤٩٥ .

(٤) القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني : ١٥٨ .

وبهذا نجدُ أن المعنى الجماليَّ للقرينة العقلية قد تجسد في التشبيه الضمني لعمل الانسان وأثره في حياته بالماء الذي يسقى النبات، فالحياة ثابتة والنبات ثابت، لكن المتغير والذي يؤثر، هو العمل (الماء)، فما طاب منهما أنتج ثمرًا طيّبًا، وما خبث منهما أنتج ثمرًا خبيثًا، وهي صورة جمالية دقيقة ورائعة، تُرغب المتلقي في العمل الصالح، وتنصحه بطريقة غير مباشرة في الابتعاد عن العمل السيء.

ومنها في حديثه (عليه السلام) عن الدنيا وغرورها، فقال: (**قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ**[1] **الْمَخْضُودِ**[2]، **وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُود**)[3].

المعنى الظاهر لكلام الإمام علي (عليه السلام)، يفهم منه أنّ العمل الحرام عند بعض الأقوام، مثل شجرة النبق المنزوع منها شوكها، لا تؤذي، إلّا أنّ العقل يذهب بها إلى معنى آخر، وهو إباحة الحرام، وكثرته ؛ لأنّه شبهه بالسدر الذي ينتشر بالمناطق البرية من الجزيرة العربية[4]، فقد أفادت العموم لدخول (أل) الجنسية عليها[5]، أيضًا هو مثال سهل المنال فضلًا عن جماله وطعمه الطيب وفوائده الجمة، لذا فإنّ المقصود من السدر المخضود، هو كثرته وتوفره وفائدته، وهو المعنى الذي يرجحه العقل فضلًا عن القرينة السياقية عمّا يقابلها من لفظة وهي (حلالها)، إذ وصفها بقوله : (بعيدًا غير موجود)، إذًا عكسها (القريب الموجود) .

نلحظ هنا تضافر القرينة السياقية مع القرينة العقلية، لإظهار المعنى الجمالي في وصف كثرة وإباحة الحرام عند بعضهم بطريقة جميلة تجسد أن سببها انتشاره وسهولته، فكان الاستدلال بالقرينة العقلية واللفظية على إيضاح المعنى.

---

(١) السدر : شجرة النبق، ينظر :العين مادة (سدر) :٢٢٤/٧ ، والمحكم والمحيط الأعظم :٤٤٥/٨ مادة (سدر)، لسان العرب:٤ / ٣٥٤ مادة (سدر) .

(٢) المخضود : نزع الشوك عن الشجر(المقطوع شوكه)،ينظر : العين :٤ /١٧٥ باب الخاء والضاد والدال، و تهذيب اللغة مادة (خ ض د) : ٤٧/٧.

(٣) شرح نهج البلاغة : ٧ / ١١٧ .

(٤) ينظر :التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي :٣٣٥/٢ .

(٥) ينظر : شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الجرجاوي المعروف ب (الوقاد) :٧٧/٢، و حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١٩٩/١ .

ومنها أيضًا قول الإمام علي (عليه السلام) في تعظيم الله (عزّ وجلّ) وذكر القرآن والنبي؛ ليعظ الناس ويبيّن عظمة الله تعالى : ((**وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمواتُ وَالأرضونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةَ**[1]))[2] .

اهتم العلماء القدماء بالاستدلال العقلي، لإدراك الدلالة الصحيحة لطائفة من الآيات القرآنية التي تحتاج إعمال الفكر وترجيح رأي العقل فيها، ويتجلّى ذلك في ((الآيات التي ترد في ظواهرها صفات الله (عز وجل)، فيكون فيها: إشكال عند حملها على تلك الظواهر، إذ كثيراً ما يؤدي ذلك الى تجسيم صفاته تعالى))[3] لذا اختلفت المذاهب الاسلامية في تفسير هذه الآيات، فكان منها من يفسرها على الظاهر، ومنها من يحكم العقل ويضعه أساس معرفته، فضلا عن تضافر الأدلة الحسية والسمعية معها، فيقوم على الاستدلال والتفكر[4] .

ورد في كلام الإمام علي (عليه السلام)، ما يُفهم من ظاهر معناه نسبة جارحة الكلام الى الله (عز وجل)، وهو قوله : (وآتت اكُلها بكلماته الثمار اليانعة)، إذ من غير المعقول أن يقصد الإمام علي (عليه السلام) من قوله الكلام النصي؛ لان الكلام يحتاج الى آلة، وهي اللسان واللسان يحتاج الى فم، وهذا تجسيم لله (عز وجل) – حاشاه – لذلك نلجأ لدفع هذا التجسيم الى القرينة العقلية لنصرفها عن ظاهرها ونعطيها دلالة أخرى لا تثير إشكالا أو لبسًا، وهو أنّ المقصود من قوله بكلماته ((أي بقدرته ومشيئته))[5] ، وهي دلالة تلائم المقام الذي من أجله ورد التجسيم والمشابهة، وتلائم أيضا صفات الله (عز وجل) من تنزيه مطلق يصح عقلا

---

(١) يانعة : ناضجة، ينظر :تهذيب اللغة :١٤٠/٣ مادة(ينع) ، و المحكم والمحيط الأعظم مادة (ينع) :٢٥٦/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد :٨ /٢٧٢ .

(٣) القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القراني /١٥٧ .

(٤) ينظر : العقل و فهم القران، الحارث بن اسد المحاسبي : ٢٢٣، وينظر : الاتجاه العقلي في التفسير، د. نصر حامد أبو زيد: ٥٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد: ٣٧٣/٨ .

أن يتصف الخالق به، وهي صفة معنوية لازمة لهذه الصفة بحكم العقل، وهو تجسيم وتوظيف للصفات المادية للتعبير عن القدرة التكوينية لله (عزّ وجلّ)، والمعنى الجمالي للقرينة العقلية يكمن بتلك الألفاظ المنسجمة التي وردت في التعبير عن عظمة الله وكيف تتجسد الأشياء على الأرض، وتقر بالطاعة والانقياد له سبحانه وتعالى[١]، فقال الإمام علي (عليه السلام): ((**وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ**))، فالأشجار التي تتجسد لعظمة الله (عزّ وجلّ)، بحكم العقل يجب أن تكون جميلة ليس بنضارتها فقط، بل هي جميلة أولًا بطاعتها وسجودها ثم بنضارتها.

وقضبانها ليس جمالها في أنها تكون مفيدة لإشعال النار القوية المضيئة التي يستنير بها الناس، فضلًا عن فوائدها الكثيرة، إذ هنا القرينة العقلية تذهب بنا إلى الجانب المفيد من النار التي كانت قضبان الأشجار سببًا في تكوينها .

أمّا الثمار، فلولا كلمات الله (عزّ وجلّ) التامات ما نضجت وأصبحت جاهزة للأكل بأطيب وأجمل طعم.

إذن جمال النباتات، من شجر وأغصان، وثمار متوقف على طاعته لخالقه، بأي طريقة كانت ؛ لأن كل مخلوق له طريقة خاصة في الطاعة والعبادة .

ومنها أيضًا قوله (عليه السلام)، في كلام وجهه إلى عامله (عثمان بن حنيف الأنصاري)[٢] عند توليه ولاية البصرة ؛ ليقويه ويساعده على تحمل مشقات الولاية، بقوله : ((**أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ[٣] الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ[٤] أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً**))[٥].

---

(١) ينظر :نفحات الولاية :٢٩٢/٥ .

(٢)عثمان بن حنيف الأنصاري :من اجلاء الصحابة ووجوههم، شهد مع رسول الله مشاهد الإسلام، كما شهد مع الإمام علي (عليه السلام) الجمل وصفين والنهروان، ينظر :أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، د. علي محمد الصلابي :٤٥٠/١ .

(٣)الروائع : جمع (رائع، رائعة)، وهو الجميل الذي يروعك حسنه ويعجبك جماله، ينظر: لسان العرب:٨/ ١٣٦ مادة (روع) .

(٤) النباتات العذية : النباتات التي تسقى بماء المطر، ينظر : جمهرة اللغة مادة (ذعواي):٢ / ١٠٦٣، ، والصحاح:٦ /٢٤٢٣ مادة (عذا) .

(٥) شرح نهج البلاغة –ابن ابي حيد :١٦ /٢٨٩.

إن الإمام علي (عليه السلام)، يصف في كلامه النبات، بمختلف أنواعه ويضعه في مقارنة لصفة واحدة تجمع هذه الأنواع، وهي القوة والصلابة، فالشجر البري، هو أصلب عودًا؛ لأنّ جذوره امتدت أكثر في أعماق الأرض بحثًا عن الماء[١] من الأشجار التي تنعمت بالماء، فجذورها طرية وتكون سهلة الاقتلاع، والرّوائع الخضرة، وهي النباتات ذات المسحة الجمالية التي أضفت على الطبيعة من جمالها وبهائها وخضارها الرّيان، تكون رقيقة وطرية، بمقابل النباتات العِذيّة، التي تسقى بماء المطر والتي تكون اقوى وقودًا؛ لأنّها صلبة وعودها أمتن لتكيفها في تحمل العطش؛ لذا من الصعب انطفاؤها.

نلحظ أنّ كلامه (عليه السلام) عن النباتات وصفاتها في هذه المناسبة في ظاهرها، لا علاقة له بالأمر، إذ المناسبة، هي تولّي عامله ولاية البصرة فما دخل النبات وقوته وصلابته، أو رقته وضعفه فيها؟ خصوصا أنّ الإمام (عليه السلام) خليفة المسلمين لا ينطق – حاشاه – اعتباطا، بل بقصد ؛ لذا فإنّ العقل يأبى أن يقبل بظاهر الكلام، فيعمد الى إعمال الفكر للوصول الى الرأي الصحيح، وهو لتعزيز ثقة عامله والتحدث معه لتقويته بأن يضرب له الأمثلة الواعية من محيطه، وهي الشجرة البرية والنباتات العِذيّة وهي برية أيضا ؛ لتكون درسًا له في تخطيه الصعاب وتعينه على ولايته، بأن يكون صلبًا، قويًا حتى يستطيع تخطي الصعاب في ولايته ؛ إذ إنّ الإنسان الذي يعوّد نفسهُ على التقشف وعدم الغرور بالدنيا وترويض النفس ومجاهدتها هو يُشبه إلى حد بعيد تلك الشجرة البرية التي لا تنال من أسباب بقائها إلّا القليل لكنّها أصلب عودًا، وهو ما ينطبق على الإنسان الذي اعتاد على الاكتفاء بالقليل الذي يبقيه على قيد الحياة ، والنبات الصحراوي يكون أقل أخذًا من الماء من النبت سقيًا' قال (عليه السلام) : ((**إنها تكون أقوى وقوداً مما يشرب الماء السائح أو ماء الناضح وأبطأ خموداً وذلك لصلابة جرمها**))[٢] .

(١)ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة :٢/٩٧٠ مادة (ز ا ن) ، ٢/١٤٥٥ مادة(ع ت م) ،٣/١٩٨١ مادة(ك ي ن ا)، والمعجم الوسيط :٢/٥٨٣ باب العين .

(٢)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٦ /٢٨٩ .

نلحظ هنا أنّه (عليه السلام) وظّف القرائن السياقية، والحالية، والعقلية لكشف المعنى الحقيقي من النباتات وهي وجدت لخدمة الإنسان .

فتضافرت القرينة الحالية مع القرينة العقلية في تفسير الرؤيا الجمالية للنبات المتمثلة بصفاتها الرائعة، فضلًا عن القرينة السياقية التي ساندت القرينة العقلية[١] أيضا في إظهار الصورة الجمالية التشبيهية، إذ العقل واللغة ينفيان الأخذ بظاهر الكلام، لذا يُحمل اللفظ على المجاز، إذ لا يقصد الإحاطة المادية على وجه الحقيقة؛ إذ ينبغي أن ((تكون العلاقة بين أول النص ووسطه وآخره علاقة منطقية تخضع لمعايير عقلية يمكن بوساطتها أن تنتزع الدلالة))[٢].

وظّف الإمام علي (عليه السلام) أسماء التفضيل للتعبير عن المعنى الجمالي في كلامه، وهي (أصلب، وأرق، وأقوى، وأبطأ)، واسم التفضيل هو على وزن (أفعل) للدلالة على أنّ شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها[٣]، إلا أنّ اسم التفضيل في كلام الإمام (عليه السلام)، ورد من دون ذكر المفضل عليه، فأبقاه على إطلاقه، إذ قصر الصفة على الموصوف من دون النظر إلى مقابلهِ، أي رقة جلود الروائع الخضرة، وصلابة عود الشجرة البرية، وقوة وقود النباتات العِذيّة، وبطيء خمودها، فالشجرة التي تنبت في البَر الذي لا ماء فيه إلّا القليل من المطر تكون غصونها صلبة، وجذورها اعمق، ومقاومتها للأمراض أكبر، وعناصر مداومتها للحياة والبقاء والتحمل للظروف الصعبة اقوى رغم عدم وجود الماء إلا قليلًا مما يصيبها عبر المطر [٤].

أمّا المعنى الجمالي الأخر ، فهو يكمن في قوله (عليه السلام) : ((**والروائع الخضرة**)) وهي الاعشاب الناعمة التي تنمو بين الأزهار، والتي يكون عودها أخضر وملمسها ناعمًا، لكنّها ضعيفة على الرغم من كثرة سقيها بالماء، ومنظرها جميل لكن فائدتها وتحملها أقل، فانّ الوصفين المذكورين ورغم تضادهما ليس الهدف منهما هو

(١) ينظر: القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القراني : ١٥٨ .

(٢)البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران :٣٠٣ .

(٣) ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى :٢٨٠، وشذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي :٦٦، والنحو المصفى، محمد عيد :٦٧٧.

(٤) ينظر :تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون : ٣٨٠ .

الشجرة بحد ذاتها بل إنّ المعنى ينسحبُ على الإنسان ومعاشه على الأرض، وإن هذا الخطاب الذي خص به الإمام علي (عليه السلام) وعظ عثمان والي البصرة قصد فيها أن يفرّق بين الذين يتمتّعون بقدرة تحمّل أكبر والذين يتَّصفون بقدرة تحمّل أقلّ، فلذلك قال: ((ألا وإنّ الشجرة البريّة أصلب عودًا والروائع الخضِرة أرقّ جلودًا والنابتات العذبة أقوى وقودًا وأبطأ خمودًا))، إذ إنّ المبلّغين الذين يزورون مختلف أنحاء البلاد يواجهون الكثير من الصعوبات ويشاهدون مظاهر الحرمان، لذلك يجب أن يكونوا كالشجرة البريّة القادرة على تحمّل أنواع الصعوبات ليتمكّنوا من اجتذاب الناس إلى دين الله(١).

فوفقًا لهذهِ الخطبة ومناسبتها أنّ الناس لا يساسون بطريقة واحدة فالغلظةُ مطلوبة مثلما هو اللين ورغم أن الغلظة واللين متضادان إلا إنّ المعنى المستفاد منهما هو المعنى الذي يدرك عقليًا، فليس الخطاب الفصل هو ما تطرق اليه الإمام علي(عليه السلام) بشكل مباشر في التفريق بين الشجرة التي نبتت في الصحراء والشجرة التي نبتت في الواحة، بل المعنى الدلالي في ذلك هو أنّ في الناس من يتحمل أعباء الحياة وصعوباتها ومنهم من لا يقوى على ذلك ؛ لذا وجب على الوالي أن يستخدم اللين والشدة كلًا في موضعهِ، وهو ما عزّز القرينة العقلية ومعناها الجمالي، فضلًا عن اقتران القرينة العقلية بالحاسة البصرية ؛ لتكون أكثر إقناعًا .

(١) ينظر: نفحات الولاية :١٠ /١٣٧ .

المبحث الثاني

أثر القرائن العقلية في إظهار الجمال في الطبيعة البعيدة

لا شك أن القرينة العقلية، هي من القضايا اللغوية التي ظهرت للدلالة على الشيء من غير استعمال مباشر للفظ الذي من خلاله يمكن معرفة الحقيقة من المجاز، وتفسير النصوص التي يكون ظاهرها لا يدل على باطنها، إلا عن طريق الاستدلال العقلي، أو النصوص التي يحصل فيها حذف لبعض عناصرها في الكلام، ولا يمكن الوصول إليه لفهم النص إلا من خلال القرائن بأنواعها، سواء أكانت لفظية، أو حالية، أو عقلية، وفي بعض المواضع التي يستدل على دلالتها بالقرينة العقلية، قد تكون العبارة أو النص فيهما حذف، وعن طريق القرينة العقلية نتمكن من الوصول اليها، إذ ((لو تجردت منها للزم إعادة المحذوفات التي فهم معناها من دون لفظها))[1] ؛ لذا كان من الضروري إعمال الفكر، وترجيح رأي العقل فيها لمعرفة الدلالة الحقيقية من النص، أو لمعرفة المحذوف منها وخروج الكلام عن ظاهره على أن تلك المعاني بالضرورة تكون مختلفة بين القرينة والمجاز في توليد المعنى[2].

وظّف الإمام علي (عليه السلام)، القرينة العقلية، لإيصال الدلالة الجمالية للطبيعة البعيدة إلى المتلقي، ليتحكم بالعقل، ويكون أداته في طريقة توجيه كلامه إليه، إذ ورد السياق العقلي في كلامهِ (عليه السلام)، في حديثه عن السماء، والسحاب والنجوم بوصفها منظومة مشتركة عبّرت عن قدرة الله (سبحانه وتعالى) المحكم للكون، وهو المطلب الأول في مبحثنا : النجوم والسحاب.

المطلب الأول: النجوم والسحاب

ورد السياق العقلي في كلام الإمام علي (عليه السلام) لبيان قدرة الله (عز وجل) وعظم مخلوقاته بلحاظ عِلّة النُظْم ، يقول : **((اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ اَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ اَلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَلاَ حُجُبٌ**

(١) القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني : ١٧٣ .
(٢) ينظر: الايجاز في كلام العرب، مختار عطية : ٢٨٦ .

ذَاتُ إِرْتَـاجٍ[١] وَ لاَ لَيْـلٌ دَاجٍ[٢]وَ لاَ بَحْـرٌ سَـاجٍ[٣]وَ لاَ جَبَـلٌ ذُو فِجَـاجٍ وَ لاَ فَـجٌّ ذُو اِعْوِجَاجٍ وَلاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لاَ خَلْقٌ ذُو اِعْتِمَادٍ وَ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ اَلْخَلْقِ وَ وَارِثُـهُ وَ إِلَهُ اَلْخَلْقِ وَرازِقه))[٤] .

في هذه الخطبة نلحظ أن الإمام علي (عليه السلام)، قد وصف السماء والنظام الكوني وصفاً دقيقاً ؛ وكأنه يراه ماثلاً أمامه ؛ إذ ذهب الى تقديم الحمد لله سبحانه وتعالى قبل ان يشرّع في الوصفِ فبدأ (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَة) .

وتتضح القرينة العقلية في قوله (عليه السلام) (المعروف من غير رؤية)، إذ كان دعاؤه بابا يُفتح للعقل من أجل إعماله في التفكر فيما سيقول من كلام لاحق . وهو أن الله (عز وجل) يرى ولا يُرى، وهذا المعنى يحتاج الى عقل ليدركه، فبدأ بوصف السماوات وما تضم من عجائب، وثبت أن على الرغم من قِدَمها وعظمتها إلا أن الله (عز وجل)، هو الذي أوجدها، فهو موجود قبلها وقبل كل شيء موجود، إذ لا سماء موجودة ذات ابراج، ولا حجب ذات أبواب، ولا ليل شديد الظلمة، و ... حتى نهاية خطابه، الذي ذهب فيه إلى أن حصول الإيمان يأتي من خلال الأدلة على الأرض، وفي السماءِ، وفي الخلقِ[٥] .

ومن حكمة الله وقدرتهِ أنه تخفى عن الناس، وبالرغم من ذلك فقد آمن الخلق بقدرته ووجوده وهذا هو موضع الادراك العقلي؛ فقد امتثل الإنسان لقدرة الله من دون أن يراه وآمن به بعقلهِ واستسلم لقدرتهِ وما دعوى الإمام علي الا لتقوى الله والايمان به، فهو ليس كمثله شيء[٦].

وتُدرك هذه الخطبة عقليًا فالإيمان بالله سبحانه وتعالى، هو مدرك عقلي تبعه الإنسان من خلال ما تجسد من قدرة الله سبحانه وتعالى على الأرض، والإدراك

(١) ارتاج : ويعني الباب المغلق، ينظر : العين:٦ /٩١ مادة(رتج) ، وجمهرة اللغة:١ /٣٨٥ مادة (رتج) .
(٢) داج : شديد الظلمة، ينظر : ٦/١٠ العين ، مادة (دجّ) .
(٣) ساج : ساكن، ينظر :الصحاح :٦ /٢٣٧٢، مادة (سجا) .
(٤) شرح نهج البلاغة :٦ /٣٩٢ .
(٥) ينظر :توضيح نهج البلاغة، الشيرازي :١٠٥/٣ .
(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني :٢ /٣١٥ .

العقلي، هو إدراك المفاهيم والمسلمات، والحقائق، والمعاني الكلية كمفاهيم الحياة والمنطق، والادراك العقلي أبرز ما يميز الإنسان[١].

وقد تجسد الجمال في هذه الخطبة منذ بدايتها وهو ذلك الإيمان المطلق بالله سبحانه من دون رؤية الخالق، وهذا التجسيد الجمالي يوضح العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق وفق متبنيات عقلية بعيدًا عن الماديات، بمعنى أنّ الإيمان جاء تصورًا عقليًّا .

ثمّ جاء الإمام علي (عليه السلام) ليضعنا أمام حقيقة وعظمة خلق الله سبحانه وتعالى، فقال (اذ لا سماء ذات أبراج) والابراج هنا الارتفاع والظهور[٢] ، وتلك الحقيقة التي تجسدت في خطبة الإمام علي(عليه السلام) أعطت المعنى العقلي وابتعدت عن المعنى الحسي، فلفظتا (الأبراج والأرتاج) جاءت ألفاظًا مجازية لتعبر عن عجز الإنسان في الاطلاع، أو الكشف عن ماهية الله، فالأرتاج هي الباب العظيم[٣]، ثم جاء بلفظين آخرين ليعبران عن التجانس اللفظي (المظلم والساكن)، وهما لفظان متجانسان من خلال قول الإمام علي (عليه السلام) (الداجي و الساجي)، وهذا التجانس اللفظي بين المفردات قد أعطى الخطبة بعدًا جماليًا كبيرًا، ثم أحال المعاني إلى العقول لتدركها وفقًا لما جاء عليهِ الوصفُ، إذ إنّ افتراض عدم وجود السبل، و الوسائل؛ لإدراك الانسان لماهية الله سبحانه وتعالى، هو ضرب من العجز والقدرة الانسانية والإحالة الى العقل الذي ليس أمامه إلا أن يؤمن بوجود الله من دون أن يراه .

إنَّ أصل الفكرة في هذه الخطبة، هو وصف لله سبحانه وتعالى بانه يدرك كل شيء من غير أن تتعلق الأبصار بهِ وهو لم يزل قائمًا، والقائم والقيوم بمعنى الثابت الذي لا يزول، ولعلّ ما يشير إلى ذكر الأبراج أنّ هناك صيغةً للنفي وردت في الخطبة وهي تنفي كل هذهِ الموجودات التي ذكرها الإمام في الخطبة (أبراج، أرتاج،

(١) ينظر : الإدراك الحسي عند ابن سينا، محمد عثمان نجاتي : ١٦٢.
(٢) ينظر : تهذيب اللغة :١١/ ٤٠مادة (برج) ، وتاج العروس:٥/٤١٦ مادة (برج) .
(٣) لسان العرب : ٢/ ٢٧٩، مادة (رتاج) .

داج، ساج)، والقرائن هنا جميعها تحيلنا إلى وجود الله القديم الذي ليس كمثله شيء، وأنّه قائم بذاتهِ[١].

وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) في أكثر من موضع في نهج البلاغة لوصف الله سبحانه وتعالى (هو ليس كمثله شيء)[٢] بمعنى أن لا وصف لله سبحانه وتعالى فكيف بالإنسان وهذا هو التأسيس لوجود القرائن العقلية التي يتم ادراكها بالعقل من دون الرؤيا .

وفي تفكرٍ عميق للإمام علي (عليه السلام) في السماء وما تضمنتها من كواكب وأفلاك تُعجز العقل الإنساني ؛ لكنّه (عليه السلام) قد أدركها بعلمهِ الذي هو مداد علم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، فما وصل إليه الإمام علي (عليه السلام) من تفسير الظواهر لم يبلغهُ أحدٌ من الناس، إذ يقول : **(أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّد (ﷺ)، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى[٣] نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكم مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ)**[٤].

إنَّ المقاربة بين دقة خلق السماوات وما فيها وبين خلق آل بيت النبوة الأطهار، هي تلك العلاقة المجازية القائمة على تشابه السمات فبقدر ما يؤدي الكوكب في السماء من هداية للناس ومنفعة كذلك هم آل بيت النبوة الأطهار يشكلون مشاعل هداية على الأرض فيهدون للتي هي أقوم، وجاءت الصورة التشبيهية باستعمال لفظ (مثلهم) .

إنَّ التمسك بمبادئ آل بيت النبوة الأطهار وأخلاقهم ، هو الطريق إلى الفوز بالدارين : الاولى، والآخرة، ومصداق ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن فضل آل البيت ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب :٣٣] وورود طهارة آل البيت في القران الكريم، وهو حكم مطلق دلالته الطهر والابتعاد عن

(١) ينظر : ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة دراسة معجمية دلالية، إيمان سامي محمد الشوبكي: ٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد : ١٤٠/١٩.

(٣) خوى : انهدم ووقع : تهذيب اللغة :٢٥١/٧ مادة(خوى) ، وينظر: الصحاح: ٦ / ٢٣٣٣ مادة (خوى)، و مجمل اللغة :٣٠٥ باب (الخاء والواو وما يثلثهما) .

(٤) شرح نهج البلاغة :٧/ ٨٤ .

كل أرجاس الحياة، هو الذي يقود الى أنّ اتباعهم وطاعتهم والسير على منهجهم ؛ إنّما هو واجب على كلِّ من آمن بالله، ورسله، وكتبه[١] .

عمد الإمام علي (عليه السلام) إلى التشبيه التمثيلي، لبيان أثر آل البيت بين الأنام، ومكانتهم المهمة، وهذا النوع من التشبيه يكون فيه وجه الشبه غير صريح، بل ينتزع من متعدد، أي يؤخذ من الصورة كاملة، فشبه آل البيت بنجوم السماء، فكما هي إذا مال أحدها إلى الغروب وسقط، حلّ محله نجم آخر يأتي بعده وفي مداره، كذلك آل بيت النبوة (نجوم الأرض) إذا خوى نجم أحدهم، حلّ ولمع محله نحم آخر وهو الذي يليه، ليأخذ مكانه، إذا ذهب أحدهم، حلّ محلّه من جاء بعده، وهو المعنى الذي يدل عليه ظاهر اللفظ، إلّا أن الاستدلال العقلي يُدخل معنى آخر فضلًا عن السابق، وهو أنّه شبه آل بيت النبوة الأطهار بالنجوم إشارة إلى أمرين، هما :

أولًا : الهداية، فمثلما نجوم السماء تضيء وتهدي أهل الأرض، في الليالي الظلماء كذلك آل بيت محمد الأطهار (عليهم السلام)، هم نجوم الأرض يهدون الناس في ظلمات الحياة.

أمّا الآخر : فكما أنّ السماء لا تخلو من نجومها أبدًا ؛ لأن كلما خوى نجم حَلَّ محله آخر قريب منه يتلوه ويأتي بعده، أيضا آل بيت النبوة (عليهم السلام) ؛ لا تخلو الأرض منهم أبدًا إلى يوم القيامة ؛ لأنّ كلما غاب نجم منهم حَلَّ محله آخر يأتي بعده ويرثه ؛ ليضيء درب الناس على الأرض .

نلحظ أنّ الإمام عبّر عن هذه المعاني وجمعها بتشبيه واحد من غير أن يصرّح بها، بل تركه للعقل ؛ ليستدل عليها، ويصل إليها، وهو وجه الشبه الذي خَلُصَ إليه العقل؛ وهو رأي الجرجاني في أن وجه الشبه في التشبيه التمثيلي يحتاج الى إعمال العقل بدليل، قوله :((ينبغي أن تعلم أن المثَل الحقيقي، والتشبيه الذي هو الأوْلَى بأن يسمَّى تمثيلًا لبُعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجدُه لا يحصل لك إلّا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليًّا محضاً، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر))[٢]، ومنه قوله ((فالمشابهاتُ المتأوَّلة التي

(١) ينظر : نفحات الولاية :٤ /٢٣٩.

(٢) أسرار البلاغة: ٨١ .

ينتزعها العقل من الشيء للشيء، لا تكون في حدّ المشابهات الأصلية الظاهرة، بل الشبه العقلي كأنَّ الشيء به يكون شبيهاً بالمشبّه))[١] .

وردت الصورة التشبيهية مقاربة بين الكواكب والنجوم وبين آل بيت النبوة الإطهار، والمعنى المستحصل من آخر الخطبة أنّ شظف الحياة التي عاناها آل بيته الأطهار إنّما هو أمر يسير أمام ما وهبهم الله من مكانة في الدنيا والآخرة، بدليل قول الإمام علي (عليه السلام) (وأراكم ما كنتم تأملون) وهذا ما نرصده اليوم متجسدًا على ارض الواقع من علو شأنٍ وعظيم مكانة لآل بيت النبوة الأطهار في قلوب الناس، وما خصهم به الله من مكانة عالية، هو تأكيد على ما ورد في خطبة الإمام علي (عليه السلام) .

إنّ القرينة العقلية في هذا النص قد أظهرت المعنى الجمالي الذي يجمع بين جمال النجوم والكواكب وتزينها للسماء ومكانتها في السماء وفائدتها لأهل الأرض، وبين مكانة آل بيت النبوة الأطهار على الأرض، في أعلى أساليب البلاغة وتضمنت أجلى صور البيان .

المطلب الثاني : السماء والشمس والقمر

ومن جمال الطبيعة البعيدة التي وردت في كلام الإمام علي (عليه السلام) هو روعة وصفه خلق الشمس والقمر، وكيفية التفكر في جوها، فيقول الإمام (عليه السلام) في خطبة له في الكوفة:((**فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّماوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ[٢]بِلاَ عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلاَ مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، وَلاَ مَسْكَناً لِمَلاَئِكَتِهِ، وَلاَ مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ**))[٣] .

---

(١) اسرار البلاغة :٧٦ .

(٢) موطدات : ثابتات، ينظر :القاموس المحيط:١ / ٣٢٦ مادة (وَطَدَ) ، و تاج العروس:٩/ ٣٠٢ ، مادة (وطد) .

(٣) شرح نهج البلاغة :١٠ /٨١ .

جسدت هذه الخطبة طاعة ما خلق الله سبحانه وتعالى له طواعية وليس كرها فكل المخلوقات على وجه الأرض هي طائعة للخالق بوصفها مخلوقات وبما أنّ السماء من خلق الله فلا بد أن تكون طائعة ومذعنة له، وإذا نظرنا الى الصورة الوصفية الجمالية المتجسدة لوجدناها تتلخص بطاعة السماء المطلقة، وقد نجمت من هذه الطاعة أنّها قد تمخّضت عن ثبات السماء بلا عمد، وقيامها بلا سند(١).

وهنا لا يمكن تصور وجود عمدٍ للسماء فالقرينة تحيلنا إلى العقل لتخيل القوائم التي تقف عليها السماء وإن كان المعنى مجازيًّا فإنّ ما يتطلبه هو إعمال العقل في تصور استقامة السماء من دون عمد، إذ أنَّ الضمير عائد على السماوات ف (ترونها) على هذا في موضع الحال أي لا عمد للسماوات البتة ، كذلك يكمن في هذه الخطبة كيفية خضوع المخلوقات وانقيادها لعزتهِ وجلاله، إذ أنّ من جملة إبداع خلق الله (عز وجل) في الكون، هو الإحكام والإتقان في خلق السماوات، وكيفية خضوعها وانقيادها لوجود سلطانه(٢)، قال تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة الأعراف:١٨٥].

تجسدت لفظة السماء في قوله (عليه السلام) وما يحيطها من كواكب وأجرام سماوية، بجمال مفعم ودائم تتجلى فيهِ عظمة الله (عز وجل) فيما أبدع وخلق، إذ أنّ ما ذكره من كواكب في بطن السماء وأجرام سماوية إنما هي شاخصة طاعةً له اذعانًا واعترافًا بربوبيّتهِ، إذ نستدلّ بدليل العقل على أنّ المقصود بلفظة الطاعة لله (عزّ وجلّ)، هي : ثباتها ووقوفها بلا سند أو عمد ؛ فتكون بذاك امتثلت لأمر الله (عز وجل)، إذ لا يرضى العقل أن تكون للسماوات وظائف، أو طاعة غيرها، بقرينة سياقية لفظية تضافرت مع السياق العقلي ؛ لإظهار المعنى المراد وهي (لمّا جعلها موضعا لعرشه أو مسكنا لملائكته، ومصعدًا لارتقاء الكلم الطيب والأعمال الصالحات)(٣)، وهذه الأمور لا تحصل إلّا بثبات السماوات، إذ هو نداء لما لا يعقل،

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني :٣ /٣٨٦ .
(٢) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية : ٣ /٢٥ .
(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني :٣/٣٨٦ .

غير حقيقي، وهو لبيان قدرة الله (عز وجل) وعظمته، وبيان خضوع الموجودات له[1]، وهو المقصود من الطاعة .

وهذهِ الصفات العديدة التي ذكرت هي صفات تنحني أمامها كل معاني الجمال والخيال، إذ وظف عليه السلام عددًا من القرائن لإبراز هذا المعنى الجمالي، إذ استعار الدعاء و الإذعان والإقرار للسماوات، و كذلك تماسك الكواكب، وما يترتب عليها من الآثار المنشودة، بالطائعات المذعنات[2]، تبعاً لقوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [سورة فصلت: ١١] .

وهنا تتجسد قدرة الخالق وهيمنته على مخلوقاته، فالإقبال على الله ووفقًا للآية الكريمة يتمظهر من خلال حقيقتين، هما: أما (الطاعة المطلقة من دون كره)، أو (الإكراه على الطاعة)، بمعنى أنّ الأرض والسماء، هي غير مخيرة على عدم الطاعة فإمّا أن تطيع مختارة وإمّا أن تُكره على الطاعة، وهذا هو تجسيد لقدرة الله (عزّ وعلا) على ترتيب وتنظيم الكون بما يشاء وبإحكام مطلق منه، فلا خيار ثالث أمام الأرض، والسماء تجاه قدرة الله سبحانه وجبروته .

إنَّ الطاعة التي يمكن بلوغها عقليًّا، هي تلك الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى فليس للسماء أن تعقل، ولا للأرض أن تعقل، وهنا يتجسد المعنى العقلي لمتلقي هذه الخطبة فيحيل الأمر إلى أنّ الطاعة المقصودة جاءت بتلك الألفاظ المجازية التي تقارب طاعة الجمادات في الأرض لله كما هي طاعة الإنسان، والمعنى الدلالي يشير الى قدرة الله على خلقه.

نلحظ من ذلك أنّ الإمام علي (عليه السلام)، وهو باب مدينة العلم قد أدرك ذلك النظام السماوي القائم على تراتبية الإهية وقدرة متفردة وطاعة مطلقة لله (عزّ وجلّ)، فلم تكن في زمنه (عليه السلام) تلك الأدوات والآلات التي تستمكن النظام السماوي، وتطّلع على تفصيلات تلك الكواكب المشار إليها وها نحن نجد الإمام (عليه السلام)

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري :١٨٩/٤-١٩٠، والتفسير الكبير :٥٥٠/٢٧ .
(٢) ينظر : في ظلال نهج البلاغة :٣/ ٢٥ .

يصفها بشكل متقن وكأنه قد اطلع عليها، وهذا ما يحيلنا إلى عمق المعنى الجمالي المفسر لكينونة السماء والأرض بعدّها من مخلوقات الله التي لابد لها ان تذعن لقدرته (طوعًا، أو كرهًا)

وهذا ما يشير إلى إحالة المتلقي إلى المدركات العقلية فقد جعل الإمام علي (عليه السلام) النظام السماوي هو النظام القائم على السمع والطاعة لله (عزّ وجلّ) . وفي خطبة أخرى نجد ألفاظَ السماء متجسّدة فيها في قوله (عليه السلام) وهو يصف السماء : **(وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقِ رَهَوَاتِ[1] فُرَجِهَا، وَلاَحَمَ صُدُوعَ[2] انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالْصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ مُبِينٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وَفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ[3] فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِامْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ مَسِيرَهُما فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لُيمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ والْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا)** [4].

إنّ النظام السماوي متقن الخلق ومهما بلغت العلوم من رقي فلا تستطيع أن تفسره بالدقة والجمال الذي ساقه لنا الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة، وهو يصف لنا تفصيلات عملية الخلق للسماء وما حوته معللًا بذلك تلك المراحل وانعكاسها على حياة بقية المخلوقات فلا كوكب يتحرك مختارًا، ولا شمس ولا قمر يضيء اعتباطًا إنّما هو نظام كوني متقن أحكمه الله سبحانه وتعالى ؛ ليستمر الكون كما هو عليه فتترابط أجزاء السماء بما حوته بكواكبها، كل ذلك متجسد في حكمة الله فيما خلق، وهنا نجد أنّ الإمام علي (عليه السلام) قد أشار في المقطع السابق من

(١) رهوات: المواضع المتفتحة منها، لسان العرب :١٤ /٣٤٢، ومجمع بحار الأنوار :٢ /٤٠٥ .

(٢) صدوع : الشق في الشيء الصلب، المحكم والمحيط الأعظم:١ / ٤٥٢ مادة (ص د ع) ، ولسان العرب::٨ /١٩٤ مادة (صدع).

(٣)تمور: المور مصدر من (مار يمور) اذا تردد العرض كمور الطعنة اذا مالت يمينا او يسارا، ينظر :العين : ٨ /٢٩٢ باب الراء والميم.

(٤)شرح نهج البلاغة :٦ / ٤١٩ .

هذه الخطبة إلى الكليات في تدبير عالم الخلق والقوانين التي تسوده، إلى جانب تنوع الموجودات وكثرتها(١).

إنّ هذا التنوع يحيلنا إلى النظام المحكم والمتخيل عقليًّا الذي خلق الله سبحانه وتعالى عليه الكون، إذ يبين لنا الإمام علي (عليه السلام) أنّ طاعة مخلوقات الأرض لا بد أن تسير كتفًا إلى كتف مع طاعة الإنسان، ولعلّ القرينة الجمالية، هي تلك الصورة التي خلق الله سبحانه وتعالى عليها النظم السماوية والأرضية .

ضمّن الإمام علي(عليه السلام) في هذه الخطبة قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ [سورة الرعد:٢].

نلحظ بين خطبة الإمام علي (عليه السلام)، وبيّن الآية الكريمة التي وردت في القرآن مسالة، هي رفع السماء وهي قرينة لفظية غير سياقية، وردت لتؤكد وتثبت قول الإمام علي (عليه السلام)، واقوى ما يستند اليه الخطاب هو ما كان يستند الى القران الكريم الذي لا يأتيه الباطل أبدًا .

كما ورد ذكر السماء بلا عمد في سياق لفظي منفصل متقدّم، في قوله (عليه السلام) : **(سَوَّى مِنْه سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ولَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا)**(٢).

وإذا عدنا لعلماء الفلك وما وضعوه في هذا المعنى لوجدنا أنهم يجمعون على التوازن القائم بين القوة الجاذبة والطاردة هي التي تبقى على كل واحدة في موضعها، إنَّ ما استخلصه علماء الفلك متأخرًا قد أدركه الإمام قبل زمن بعيد فقد أشار الى جدلية ارتباط الأجزاء مع بعضها لتشكل(الكل) إذ إنَّ كل جرم من الأجرام السماوية يتمتع بقوتين كما أشار إلى ذلك العلماء(الشد والجذب) لإيجاد توازن في بقاء تلك الأجرام في مواضعها التي أرادها (٣) .

(١)ينظر : نفحات الولاية :٤ /٤٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١/ ١٠٧ .

(٣) ينظر :نفحات الولاية :٤٨/٤.

إنّ التماسك بين الأجزاء يؤدي إلى انضباط الكل الذي كونته هذه الأجزاء بمعنى أنّ الجرم متكوّن من أجزاء متحركة وهذه الحركة دائبة بين الشد والجذب وصولًا إلى استقرار الكل، وهذا ما يدلل على الإدراك العقلي وبذلك تتمثل القرينة العقلية .

ثم نتعقب إشارة أخرى في هذه الخطبة، وهي تتعلق بنظام السماء ونظامها المحكم وجماليتها، التي ترتبط من حيث الدلالة بالمعنى الذي سبقها (ووشج بينها وبين أزواجها)، ومعنى وشج في اللغة بانه أوجد آصرة متينة تربط هذه الأجزاء وتحكمها إحكامًا يتسم بالجمالية [١]، ومعنى أزواج هو معنى عددي يشير إلى انسجام الخلق بأنّ الله سبحانه وتعالى، قد عمد على خلق الكون أزواجًا وهي حكمة تتعلّق بكينونة هذا الكون وتكامله وارتباط أجزاءه مع بعضها لتشكل هذا المشهد المنتظم والدقيق [٢] .

إنَّ جمالية خصائص السماء وسماتها قد تجسدت في هذه الخطبة، إذ رسم الإمام (عليه السلام) بهذه العبارات صورة رائعة بليغة عن الخلقة العجيبة للسموات، فأشار أولًا إلى بداية الخلق ونقصد خلق السماء، ثانيًا: الدخان الذي تمخض عن انفجار هائل في الكون، والأمر الثالث: هو كيف اتخذت تلك الكواكب أماكنها في السماء لولا قدرة الله عليها وطاعتها له وتلك من الامور المتعلقة بالله وحده، أمّا الأمر الرابع: فهي تلك الحركة الدائبة للكواكب في السماء والتي تتسم بالدقة والانتظام التي لا يمكن أن نحيلها إلّا لقدرة الله وحده، أمّا الأمر الخامس : فهو ما تعلّق بحكمة الله سبحانه وتعالى في خلق الملائكة وواجباتهم فهم يسبحون باسمه على الدوام ثم ذهب في السادسة إلى اشكالية العلاقة بين الملائكة والشياطين وخلق الله لتلك الشهب التي ترجم الشياطين إنْ تجسسوا على أوامر الله لخلقه[٣] .

فنحن في حقيقة الأمر لا ندرك بالبصر الشياطين التي تسترق السمع إنما ندركه عقليًّا فأصبحت ضرورة إعمال العقل في أنّ الله سبحانه وتعالى جعل تلك الشهب

---

(١) ينظر: العين:٦ / ١٥٧ مادة (وشج) ، وجمهرة اللغة:١ /٤٧٨ مادة(وشج) ، ومقاييس اللغة:٦ / ١١٤ مادة (وشج) .

(٢) ينظر : نفحات الولاية :٤ /٤٥-٤٦ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه :٤ /٥٠.

رجومًا للشياطين يُدرك عقليًّا وليس بَصَرِيًا وهذا ما يُرسخ أنّ هذه الخطبة جاءت لتصيب العقول، وتحرك ذهنية المتلقي في إدراك ما يريده الإمام علي (عليه السلام)، في هذه الخطبة .

وجمالية هذه الصورة ترتبط مع بعضها لتشكل لنا صورة جمالية مكانها السماء والكواكب التي حوتها، والملائكة التي تسبح باسمه والشهب التي أُعدت رجومًا للشياطين، فما أبلغ وما أجمل هذا التصوير الذي يفضي في نهاية الأمر إلى جمالية خلق السماء وكواكبها .

وإذا عدنا الى (زمكانية) هذا الوصف الجمالي لوجدنا ان المكان قد تجسد في السماء والزمان هو الذي لم يتم فيه اكتشاف ما ذهب اليه الإمام علي (عليه السلام) من شرح وتوضيح وإفاضة جمالية فكل العالم كانت تحكمه نظرية بطليموس والتي هي أصلًا قاصرة وعاجزه عن تفسير بعض الظواهر، أو حتى الاشارة إليها [1]، وممّا نستفيده من هذا الوصف الجمالي في الخطبة أنّ دلالة المعاني ورغم جماليتها الاخاذة قد رسمت لنا بعدًا علميًا تنظيريًا أورده الإمام في الخطبة مرتكزًا فيه على القرآن الكريم، وتلك الاشارات التي وردت عن خلق السماء وتركيبها وتوزيع الكواكب فيها؛ لذا فإن الخطبة قد تضمنت (البعد الجمالي والبعد العلمي في ذات الوقت).

وهنا يتجسد الجمال بمعناه البعيد والذي تعجز معظم العقول عن إدراكه، أو حتى بلوغ جزءًا منه ويحيلنا الأمر الى مسألة استشراف واستكناه لزمان ومكان خلق السماء وما تضمنته .

وجاءت جمالية التفكر في السماء وما تضم من شمس، وقمر في خطبة للإمام علي (عليه السلام) تشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، قائلًا : ((...**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ**))[2] .

فقول الإمام علي (عليه السلام)، (الشمس والقمر)، هي إشارات وترميزات واضحة لطاعة كل الكواكب بما فيها الشمس والقمر لأمر الله سبحانه وتعالى إلّا أنّ المعنى الجمالي اللفظي الذي ضمنه الإمام في هذه الخطبة يوغل كثيرا في المعنى

(١) ينظر : نفحات الولاية: ٤ /٥٠ .

(٢)شرح نهج البلاغة :٦ /٣٩٢ .

فيخرجه مثل اللقى الثمينة التي يتلقفها المتلقي وهو ذلك الانسجام بين الألفاظ ودلالاتها ، فقوله (والشمس والقمر)، هما كوكبان مرتبطان مع بعضهما في القول والفعل فكلما ذكرت الشمس جاء ذكر القمر بالمصاحبة اللغوية، إذ إنّ أحدهما يتأثر بالآخر، وهنا نجد أن المعنى اللفظي قد خرج لفائدة كبيرة فجاء التذوق مع المعنى المستفاد من الشمس بالقمر(١).

ورد السياق العقلي متجسدًا في حركة و ديمومة تعاقب الليل والنهار المتولدة من حركة الشمس، والقمر، وتعاقبهما وقد أكد الإمام علي (عليه السلام) هذه الديمومة والاستمرارية بالقرينة اللفظية غير السياقية ، في قوله تعالى :﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ ﴾ [النحل :١٢]، إنّ تعاقب الشمس والقمر، هي القرينة الواضحة على تعاقب الليل والنهار وأنّهما يبليان كل جديد إشارة إلى بقية المخلوقات على وجه الأرض من أنّ مرور الوقت كفيل بزوال كل الأشياء؛ إذ لا يبقى إلّا وجهه الكريم وما شاء له أنّ يبقى، فمعنى يبليان بمعنى يميتان، أو يقضيان على(٢)، وهو تجسيد لقدرة الله سبحانه وتعالى على كل ما خلق بما في ذلك الشمس والقمر(٣) .

وممّا يمكن الإشارة إليه أن هذه الخطبة قد تطرقت وبلا شك إلى حقائق ومسلمات يعترف بها كل المخلوقات، وهي أن الله سبحانه قائم بذاته مهيمن على الكون وما فيه كل مخلوق بحاجة إليه، وهو ليس بحاجة الى مخلوق، وأن انتظام الكون وحركته ليس لمخلوق أن يغير فيه ما أثبته الله(٤).

وهذه الخطبة في دلالاتها الجمالية وضحت لنا :

١-إنَّ المعاني الجمالية في تنظيم وترتيب الظواهر الكونية الظاهرة والمضمرة، فأمّا الظاهر منها فالذي نبصرهُ ومثاله شروق الشمس، أو ظهور القمر، لكن

(١) ينظر :نفحات الولاية :٣ /٣٨٧ .

(٢) ينظر :المعجم الوسيط :١ / ٧١.

(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي :٥١/٢ .

(٤) ينظر :نفحات الولاية : ٣ / ٣٨٧.

المعنى الذي يتخفى خلف هذه الظاهرة، هي تلك القدرة الالهية التي لا يمكن إدراكها، أو فهم أبعادها فلله ما يريد، إذ ندركها بالسياق والقرينة العقلية .

٢-إنّ الاشارة إلى القرائن العقلية الجمالية قد تعددت في هذه الخطبة فلا يمكن لنا أن ندرك بعض الظواهر التي أشار إليها الإمام (عليه السلام) ولا نستطيع باي حال من الاحوال أن نبصرها ؛ بل نعمل العقل من أجل إدراكها .

٣-تجسدت كذلك القرائن العقلية الجمالية في العلاقة بين الخالق (عزّ وجلّ)، وبين المخلوقات التي أذعنت لطاعة الله سواء كان هذا الاذعان (طوعًا أو كرهًا) فإنّ جميع المخلوقات، هي بحاجة إلى الله ولا يحتاج الله أيًا من خلقهِ وهذا المعنى العقلي تم إدراكه من خلال ذلك التنظيم الكوني المنتظم والمحكم والدقيق الذي فيما لو حصل اي خلل فانه سرعان ما ينهار إلّا أنّ أمره مفوض لله وحده لذا نجد الكون بهذا الجمال وبهذه الاستقامة وهو ما أراد الإمام علي (عليه السلام) إيصاله إلى المتلقي .

الفصل الثالث

مظاهر تجليات القرائن الدلالية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة

المبحث الأول : التقابل الدلالي

المبحث الثاني : الإيغال في بيان المعنى

المبحث الأول
التَّقَابُلُ الدَّلاليُّ في نهجِ البلاغةِ

يعدُ التقابُلُ الدَّلاليُّ من الظواهر اللّغوية عالية البلاغة، وأقوى القرائن الدلالية في النص اللغوي، إذ يقسم التقابل على قسمين، تقابل معنوي، وتقابل لفظي، فالتقابل المعنوي، هو أن يتقابل فيه معنيان، فيُحمل لفظ على معنى لفظ آخر لعلاقة المقاربة والمواشجة بينهما(١)، وهو تقابل مندّرج نسبي يخضع لقوانين خاصة بالميل الإنساني وصفاته(٢) .

أمّا التقابل اللفظي، فيتقابل فيه لفظ مع لفظ آخر بعلاقة التضاد، أو التناقض، أو التخالف .

والمقصود من التقابل الدَّلاليّ هو ((وجود لفظتين تحمل إحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى، مثل: الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية، والصغير والكبير، وفوق وتحت، ويأخذ ويعطي، ويضحك ويبكي ...))(٣) ، بمعنى اللفظ مع ما يناقضه .

إنّ ظاهرة التقابل عند اللغويين العرب معروفة بوصفها مفهوما المقصود منها (التضاد)، ولم تفرد لها مؤلفات خاصة، إنما كانت دراستها مبثوثة في كتب الأدب(٤)، تحت مسمى (الأضداد)، وهي بهذا المسمى تكون واسعة الدلالة، إذ لا تعني ((وجود لفظين يختلفان نطقًا ويتضادان معنى، كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح، وإنّما نعني بها مفهومها القديم وهو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين))(٥)، مثلما ذهب المحدثون الى ذلك، والذين أطلقوا عليها اسم (التخالف)، التي تستعمل للتضاد في المعنى .

---

(١) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د. أحمد نصيف الجنابي، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية (بحث) : ٢٦-٢٧، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية /١١٦-١١٧ ، والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ١٤٥.

(٢) ينظر: القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني :٥١ .

(٣) ظاهرة التقابل في علم الدلالة :١٥.

(٤) ينظر: علم الدلالة: ١٩١.

(٥) المصدر نفسه:١٩١ .

يعدّ التقابل من الموضوعات الدلالية الحديثة، وموجود في اللغات، إلّا أن البحث فيه كان حديثا بسبب تعلق الأمر بعلم الدلالة، أمّا في البلاغة فيطلق على التقابل مصطلح (الطباق، والمقابلة) كما اندرجت تحت التقابل مسميات عدّة، هو (الضد، والعكس، والخلاف، والنقيض)، ولكل واحدة من هذه المسميات لها معنى خاص تختلف به عن غيرها من المصطلحات، والفرق بينها دقيق جدا، فالطباق أو المطابقة، هي ((الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة ....، مثل الجمع بين السواد و البياض، والليل والنهار، والحر والبرد))[١]، إلّا أنّ مصطلح (التضاد) هنا أكثر دلالة علية؛ لأنّ التضاد يدل على الخلاف[٢]، وكانت عناية اللغويين بالتضاد أكثر من غيرها من أنواع التقابل[٣] .

أمّا مصطلح المقابلة، فهو أعمُّ من الطباق، ويجمع غالبًا بين أربعة أضداد، اثنان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، أو اكثر من ذلك، فضلًا عن ذلك أنّ المقابلة تكون بالأضداد وبغيرها، أمّا الطباق فيقوم على الأضداد لا غير[٤] .

والضد من المصطلحات التي تقترب من التقابل، إلّا أنه أخص في الدلالة؛ إذ المتضادات، هي تكون في الأشياء التي لا يجوز اجتماعها في وقت واحد، كالليل والنهار[٥] وتكون خلافه أيضًا .

أمّا التخالف، فيقال لكل شيئين اختلفا، هم خلفان، فنقول مثلا: ((نتاج فلان خلفة، أي عامًا ذكرًا وعامًا أنثى، وولدت ناقة خلفين، أي عامًا ذكرًا وعامًا أنثى))[٦] .

يعدُ (الضد والتخالف) أساس التقابل، إذ إنّ علاقة ((الضدية بين الألفاظ المتقابلة هي علاقة وجود حقيقي أو اعتباري بين شيئين متضادين حقيقة لا سلبًا ولا

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٣٠٧ .

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب: ٢/ ٢٥٤ .

(٣) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة /٢٦-٢٧، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية /١١٦-١١٧، والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن:١٤٥.

(٤) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن ابي الأصبع:١٧٩، و البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ١٤٢ .

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة:٣/٣٦٠ مادة (ضد) .

(٦) لسان العرب:٩/٩١ مادة (خلف) .

إيجابًا، أي إنّ كلًّا من المتضادين كيان قائم بذاته، وبهذا يختلف التضاد عن التناقض ... أمّا التخالف فإنّ في معناه اللغوي ما يعطي تأكيدًا على مبدأ التخالف بين الألفاظ المتقابلة))[١] .

إنّ المصطلحات السابقة جميعها تعبر عن (التقابل)؛ لأنّ كلَّ تسمية، هي جزء منه؛ لذا عُرِّف بأنّه ((إذا أتى المتكلّم بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزهِ على الترتيب بحيث يُقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يحرم من ذلك مشيرًا في الموافق والمخالف))[٢] .

إلّا أنّ تحديد التعريف للأضداد بالعجز ليس دقيقًا؛ ((لأنّ المقابل لا يشترط فيه أن يكون في عجز الكلام، بل كثيرًا ما يكون مجاورًا للمقابل))[٣] ، وهو كثير في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى:﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ [الزمر/٥]، فالتقابل إذن هو أوسع من المطابقة، وأكثر تعبيرا للضدية والخلاف، فالتقابل يشمل المطابقة وليس العكس[٤] .

بلغ اهتمام العلماء القدامى بظاهرة التقابل الدلالي حدًّا كبيرًا، حتى أنّ بعضهم وضع عددا من أبواب معجمه بحسب التقابل بالضد[٥]، وبعضهم أورد طائفة من الكلمات المتقابلة بالخلاف[٦]، أو يصنف كتابه منها على أساس التقابل[٧] .

قسم العلماء التقابل تقسيمات عدة، منها: التقابل الحاد، أو غير المتدّرج، أو الكلي، مثل: الميت والحي، والسماء والأرض، والتقابل المتدّرج الذي بدوره ينقسم على متدّرج نسبي، مثل: الحُسن والسوء، أو الحب والكراهية، ومتدّرج أحادي[٨]، مثل:

---

(١) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية:٥٧ .

(٢) تحرير التحبير، ابن أبي الاصبع: ١٧٩، وينظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق:٨٦ .

(٣) القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني /٤٨ .

(٤) ينظر: ينظر: الطراز، العلوي:١٩٧/٢ .

(٥) ينظر: المخصص: ٢٣٣/١،٤٥١،٤٥٢،٤٥٤/٣،٤٢٥،٤٣٢، ٤/١٣،٤٣،٤٩، ٦٨ ... .

(٦) ينظر: متخير الألفاظ، ابن فارس: ٢٠٥ .

(٧) ينظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي: الأبواب: ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١ .

(٨) ينظر: علم الدلالة: ١٠٢، وظاهرة التقابل في علم الدلالة:٢٦-٢٧، والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ١٥٣ .

البقاء والفناء، إذ التدّرج في البقاء من دون الفناء، ومنها أيضًا تقسيمه على: تقابل كلي، وتقابل جزئي، مثل: الحب والكراهية، والجمال والقبح .

ومنها تقسيمه على: أولًا: بسيط، الذي يكون التقابل فيه بين الألفاظ المفردة لفظًا ومعنى، إذ ((لا يمكن فصل اللفظ عن المعنى، ويحدث التقابل بينهما، ولو قبل دخولهما سياق النص، ويكون التقابل، إمّا بالضد والنقيض، أو بالخلاف))[١] .

يمتاز هذا النوع من التقابل بكونه يسيرًا وواضحًا، لذا استخراجه من النص يكون سهلًا، وهو أكثر أنواع التقابل ورودًا في القرآن الكريم، وفي نهج البلاغة أيضًا؛ لأنّ الإمام علي (عليه السلام) تلميذ مدرسة القرآن الكريم فيسير على خطاه، ومن أمثلته في القرآن الكريم، قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/٣]، إذ حدث تعدد المتقابلات المتخالفة بين لفظة ولفظة أخرى تقابلها بالمعنى، وهو تقابل أُحادي مؤدية معناها المعجمي[٢] .

ثانيًا: التقابل المركب: في هذا النوع من التقابل يحصل فيه بين التراكيب اللغوية، سواء أكانت فعلية أم إسمية أم شرطية أم حرفية أم ظرفية أم الصفات، ويكون معنى التقابل فيه أكثر عمقا وأبلغ في إيصال الفكرة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ [الشمس/٣-٤]؛ إذ إن التقابل المركب حصل بين النهار والليل وأثرهما في الشمس، فالنهار يظهرها والليل يغطيها فتظلم الآفاق[٣] .

وهناك أنواع أخرى للتقابل، يقوم على تقابل اللفظ، أو التركيب مع ما ينفيه، ويسمى بتقابل النفي والإثبات، أو تقابل النقيض، أو تقابل بالإيجاب والسَلْب[٤] .

والسلب والإيجاب عند النحويين القدماء بمعنى النفي والإثبات؛ إذ السلب، ((هو معنى حادث على إثبات الأصل الذي هو الإيجاب))[٥]،وهو إلحاق أحد حروف النفي

(١)القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني،: ٥٤ ، و ينظر: البحث الدلالي في التبيان: ١٤٣، ١٤٥ .

(٢) ينظر: القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني: ٥٤ .

(٣) ينظر: مجمع البيان :٢٨٥/١٠ .

(٤) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١٦٢٢/٢ .

(٥)الخصائص:٨٣/٣ .

قبل الفعل، أو الاسم لسلب معنى ذلك الفعل، أو الاسم، نحو قولك ما فعلت، ولا تفعل(١).

أمّا الإيجاب فهو الإثبات، إذ هو كل فعل، أو اسم مأخوذ من الفعل، أو فيه معنى الفعل جيء بهِ لإثبات معناه، نحو قولك قام وجلس، إذ هما فعلان لإثبات معنى القيام والجلوس(٢) .

وبذلك يكون تقابل السَلْب والإيجاب بمعنى الإثبات والنفي، فالشيء إمّا موجود، أو غير موجود(٣) ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة:٤٤]، ومنه أيضًا قوله (عزّ وجلّ) ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ ﴾ [الإسراء:٢٣] .

ومن التقابل الدلالي ما ورد في وصف الخفاش، قوله (عليه السلام): **((وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هذِهِ الْخَفَافِيشِ(٤) الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نقُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلاَلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ(٥) إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِى بُلَجِ(٦) ائْتِلاَقِهَا(٧)، فَهِيَ مُسْدَلَةُ(٨) الْجُفُونِ بَالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا؛ فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ.**

---

(١)ينظر : الخصائص: ٣/٧٧

(٢)ينظر: الخصائص : ٣/٧٧ .

(٣)ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش:٢/٣٨٩ .

(٤)الخفافيش: الخَفَشُ: ضعف في البصر، وضيق في العين ...، وبه سُمِّيَ الخُفَّاشُ لِضَعْفِ بصره بالنهار، لسان العرب: ٦/٢٩٨ مادة (خفش).

(٥) سبحات: الأنوار، ينظر: لسان العرب:٢/٤٧٣ مادة (سبح).

(٦) البلج: الضوء ووضوحه، ينظر: القاموس المحيط :١/١٨١ مادة(بلج).

(٧) الائتلاق: اللمعان، ينظر: المعجم الوسيط :١/ ٢٤ مادة (ألق).

(٨) مسدلة: من اسدل الثوب، بمعنى رخاه، ينظر: لسان العرب:١١ /٣٣٣ مادة (سدل).

فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ[1] نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا' أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[2]، وَتَبَلَّغَتْ[3] بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَجَعَلَ النَّهَارَ لَهَا سَكَناً وَقَرَاراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الأَذَانِ ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيش وَلاَ قَصَب' إِلاَّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِيٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لاَيُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ))[4].

إنّ اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بوصف الخفاش؛ لأنّه يعدُّ من عجائب خلق الله (عزّ وجلّ)، وعظمته، لما يحمل من سمات نادرة تختلف عن بقية المخلوقات، فهو يغلق عينيه في النهار، وله آذان ظاهرة تتحرك كما الرادار في عصرنا[5] تترصد الحركات والسكنات من حوله، وهذا ما هيأ الله له للدفاع عن نفسه، والبعد عن الخطر؛ لذا كشف في خطبته عن تفاصيل حياة الخفاش وبشكل دقيق، فذكر حركته، وطبيعة معاشه بمعلومات تنم عن معرفة كبيرة عن أسرار الخفاش، لا يمكن للإنسان العادي تصورها ، فكل الصفات التي وردت في الخطبة، شكلت موضع بحث للعلماء في الوقت الذي أدركه الإمام (عليه السلام) قبل مئات السنين، وإن كان من دليل علمي على ذلك، فهو في حقيقة الأمر منجز في كل أبعاده، ودليل على كونية الإمام (عليه السلام)؛ إذ كشف بكلامه الكثير من الغموض الذي كان يكتنف حياة الخفاش[6] .

وصف الإمام (عليه السلام) هذا المخلوق العجيب، بأسلوب بليغ دقيق؛ إذ ذكر للخفاش صفات عدّه انفرد بها دون سائر المخلوقات، وهي (أعينه، وأجنحته،

---

(١) الوضح: الضوء والبياض، مختار الصحاح :٣٤١ مادة (و ض ح).

(٢) المآقي: طرف العين مما يلي الأنف، ينظر: مختار الصحاح:٢٨٩ مادة (م أ ق) .

(٣) تبلغت: اكتفت، ينظر: مختار الصحاح: ٣٩ مادة (ب ل غ) .

(٤) شرح نهج البلاغة:٩ /١٨١-١٨٢ .

(٥) ينظر: الاعجاز العلمي عند الإمام علي، لبيب بيضون : ٧٧، وعجيب خلق الخفاش : ١٤ .

(٦) ينظر: عجيب خلق الخفاش: ١٩ – ٢٠ .

وحمله لولده أثناء طيرانه وهو طائر لا يتصف بالجمال، فهو مخلوق يتصف بضعف البصر وضيق في العين؛ إذ لا يُبصر في الضياء الشديد أو الظلمة الشديدة؛ ((لذلك لا يظهر في الظلمة؛ لأنّها تكون غامرة لضياء بصرهِ ... ولا يظهر نهارًا؛ لأنّ بَصَره يَضعفِ ناظِرِهِ يلتمع في شدة بياض النهار ... فهو لا يُبصر ليلاً ولا نهارًا فلما علم ذلك واحتاج الى الكسْب والطُّعم ... فالتمس ذلك في وقت غروب القُرص، وبقية الشّفق؛ لأنّه وقت هيْج البعوض وأشباه البعوض، وارتفاعها في الهواء))[١] .

أمّا الصفة الثانية التي انفرد بها عن سائر المخلوقات، التي لا تتسم بالجمال، هي أجنحته العجيبة؛ إذ هو مكون من جلد ولحم فقط، بقوله: ((**وجعل لها أجنحة من لحمها تعرُجُ بها عند الحاجة ... ولم يغلظا فيثقلا**))، فلا يكسوه الريش الذي يُجّمل بقية الطيور[٢] . إلّا أننا على الرغم من ذلك فإنّنا نجد الصورة المتكاملة التي رسمها الإمام (عليه السلام) في كلامه عن الخفاش، حافلة بالمعاني الجمالية، إلّا إنّه جمال من النوع الذي يتسم بالنفعية والحكمة، بدليل القرينة المتقدمة في قوله (عليه السلام): ((**ومن لطائف صنعته، وعجائب خلقته، ما أرانا من غوامض الحكمة في هذهِ الخفافيش**)) فقرينة التضام[٣]، اللفظية السياقية المتقدمة (من لطائفِ صنعتهِ)، المتكونة من (المضاف المجرور، والمضاف إليه) تساندها قرينة التضام .

الثانية (عجائبِ خلقتهِ) بحرف العطف (الواو)، ليؤديان دورًا مهمًا في قلب المعنى، وإضفاء المسحة الجمالية على هذا المخلوق الغريب تتجسد في غرابته، وضراوة صنعه وعجيب خلقته .

نلحظ من ذلك أن المعنى الجمالي لا يأتي دومًا من المنظر الجميل للمخلوقات فقط؛ بل قد يتمثل في غرابة وتفرد المخلوقات، وعجيب خلقتها، حتى وإن كانت غير جميلة، وهو ما وجدناه في وصف الخفاش؛ إذ يحمل الخفاش العديد من التناقضات، التي يختلف بها عن المخلوقات الأخرى، فهو يطير وليس من الطيور، وله أذنان

(١) كتاب الحيوان، للجاحظ: ٢٥٧/٣ .

(٢) ينظر: عجيب خلق الخفاش: ٣٤ .

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٠٢ .

ظاهرتان، وتلد وتحيض، وترضع أنثاه، والذكر له خصيتان، ومنقار، ولا ريش له، ويضحك كما يضحك الإنسان[١]، لذا وصفه الإمام (عليه السلام)، بلغة تناسب هذا التناقض، بعبارات غاية في الروعة، والدقة وبمتقابلات متعددة، متضادة، ناسبت تناقضها، واختلافها مع بقية المخلوقات

يقبضها ←تقابل (تركيب فعلي) ← يبسطها

الضياء ← تقابل الضد (مفرد) ← الظلام

الباسط ← تقابل الضد (مفرد) ←القابض

الليل ← تقابل الضد (مفرد) ← سراجًا

جعل الليل لها نهاراً او معاشًا ← تقابل الضد (صورة) ← جعل النهار لها سكناً وقراراً

ففي التقابل الأول ، وهو تقابل بالضد (تركيب فعلي) في قوله : ((التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيءٍ ؛ ويبسطها الظلامُ والقابض لكل حيَّ)) ، فقابل دلاليًا في كلامه بين تركيبين، هما: (يقبضها) و (يبسطها)، وهما جملتان فعليتان، أضفتا على التقابل الدلالي المعنى العميق والواسع؛ إذ إنَّ استخدام الجمل في التقابل ((بعض دلالات أوضح ويكون ذا أثر بالغ في إيصال المعنى؛ ليقر حقيقة ويرسم نهجًا يكون قاطعًا في صحته))[٢]، ثم أخر الفاعل في الجملتين (الضياءُ، والظلام)، وقدّم المفعول به الضمير (الهاء) في (يقبضها، ويبسطها)، ليكشف الاهتمام على صفتها التي ناقضت بها بقية المخلوقات، في الانتشار نهاراً والسكن ليلًا، فيقدمها؛ لأنّها مدار الحديث، ثم يعمق المعنى ويبّين النواحي الجمالية فيه من خلال الاستمرار في إكمال هذهِ المتناقضات، بقوله (الضياء)، و(الظلام) و(القابض)، و(الباسط)، وهو تقابل غير متدرج كلي؛ لان كل طرف من طرفي التقابل متناقضاً بشكل كلي[٣]، فالضياء ضد الظلام، والقابض ضد الباسط بشكل كامل وهناك تقابل بديع ذكره الإمام (عليه السلام)، بقوله: ((**وجاعلةُ الليلِ سِراجاً تَسْتَدِلُّ به في التماسِ**

(١) ينظر: حياة الحيوان الكبرى: ١ / ٤١٥ .

(٢) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٨٤ .

(٣) ينظر: علم الدلالة، احمد مختار عمر: ١٠٢، وظاهرة التقابل في علم الدلالة : ٢٦ .

أرزَاقِهَا))، فجعل (الليل) متقابلًا مع (سراجًا)؛ إذ المعروف عن الليل أنّه مظلم، ووصف السراج يعود للشمس، أي بمعنى النهار؛ فشبه الليل بالسراج بالنسبة لها بجو تقابلي بين ثنائية (الليل)، و(السراج)، بأسلوب فني جمالي متميز؛ ليؤكد مقدرة المتكلم على رسم الصورة المتقابلة، فكان التقابل عنصرًا مهمًا في ((تحديد أبعاد الصورة المرئية، وفي الصورة المتخيلة يكون التقابل هو المهيمن عليها))[1]، إلّا أنّ هذا التقابل ليس تقريبًا واضح الدلالة، بل هو بحاجة إلى إعمال الفكر وإمعان النظر، كي نتوصل إليه ونكشف عن إبعاده الدلالية من خلال تركيبها وسياقها، فتضمن كلام الإمام علي (عليه السلام)، العلاقة الدلالية التقابلية من خلال لفظتي (الليل) و(السراج)، فالتقابل قائم؛ لأن الخفاش يطلب رزقه في الليل؛ بسبب اختلافه عن بقية الكائنات الحية، في أنّه لا يبصر في النهار .

إنّ الخطبة ضَمَّت تقابلًا ثالثًا، وهو في قوله (عليه السلام): ((**فسبحان مَن جعل الليل لها نهارًا ومعاشًا، وجعل النهارَ لها سكنًا وقرارًا**))، وهو يعد تقابل صورةٍ؛ لأنّ الصورة الوصفية لقوله ((جعل الليل لها نهارًا ومعاشًا))، تقابل الصورة الثانية بجملها ((جعل النهار لها سكنًا وقرارًا))، فالتقابل هنا مركب تضمن اللفظ والمعنى، صورة مع صورة أخرى، وهي صورة الليل يصبح نهارًا أو معاشًا لتنال رزقها، والنهار يصبح سكنًا ومستقرًا لها، فهي صور تعج بالمتقابلات المتداخلة بتوظيف اسلوب الجمل المتقابلة الذي يعطي دلالات أوضح .

إنّ دور المتقابلات يأتي في سياق الوصف ليؤدي دورًا في تعيين الوصف، ((ورسم المعالم المشرقة والجميلة فيه، وتصوير مواطن القوة والشدة، وبيان الفوارق بين الموصوفات))[2] وهو ما نلحظه في وصف الإمام (عليه السلام) للخفاش؛ إذ كان المعنى الجمالي يكمن في تصويره لبيان الفوارق في هذا الكائن الغريب؛ لذا ليس شرطًا أن يكون الجمال في المنظر الجميل للمخلوقات، بل قد يتمثل في غرابة، وتفرد المخلوقات، وعجيب خلقها حتى وإن كانت غير جميلة .

(١) التقابل الدلالي في القرآن الكريم :١٠٨ .

(٢) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: ١٢٩ – ١٣٠ .

ومن التقابل الدلالي الذي ورد في كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، قوله: **(أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي اَلرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي اَلرَّهْبَةِ أَلاَ وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا وَ لاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلاَ وَ إِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ اَلْحَقُّ يَضُرُّهُ اَلْبَاطِلُ وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيمُ بِهِ اَلْهُدَى يَجُرُّ بِهِ اَلضَّلاَلُ إِلَى اَلرَّدَى أَلاَ وَ إِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَدُلِلْتُمْ عَلَى اَلزَّادِ وَ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ اِتِّبَاعُ اَلْهَوَى وَ طُولُ اَلْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا فِي اَلدُّنْيَا مِنَ اَلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً)**[1] .

نلحظ في النص السابق تعدد المتقابلات في سياق واحد، ففي التقابل الأول الذي هو (الرغبة) مع (الرهبة)، و(الحق) مع (الباطل)، و (الهدى) مع (الضلال)، كان التقابل فيها معنويًا؛ لأن الألفاظ جميعا ليست حسية؛((إذ يحمل لفظ على معنى لفظ آخر لما بينها من المقاربة والمواشجة))[2]، وهو تقابل مندّرج نسبي يخضع لقوانين خاصة بالميل الإنساني وصفاته[3] .

أمّا تقابل (الجنة) مع (النار)، و(طالب) مع (هارب)، فكان تقابلًا بين لفظة ولفظة أخرى على سبيل التخالف في معناهما، أي أنه تقابل الألفاظ بطريقة أحادية مؤدية معناها المعجمي، وهو تقابل حادّ، أو غير مندّرج ، أو ما يسمى بالكلي؛ لأّن كل طرف من طرفي المقابلة متناقضا بشكل كلي مع الطرف الآخر[4] .

نلحظ من ذلك أنّ التقابل الوارد للألفاظ السابقة، تام؛ ((لأنّ شرط التقابل أن يتضمن الشخص، أو الشيء طرفا من أطراف التقابل، ولا يمكن أن يحتوي طرفي التقابل معا؛ لأنّهما إمّا نقيض، أو مخالف))[5]، وبذلك وازن الإمام (عليه السلام) في تقابل هذه الألفاظ التي تزاوج بين ما كان حسيا منها ومعنويا؛ لتقوم بعملها في الترغيب والترهيب بنصح، ربط فيه الإمام (عليه السلام) نفع الإنسان بالتزامه الحق، والباطل بمضرته، بطريقة موجزة وجميلة، إذ وضع كل أنواع النفع مع الثواب، (الجنة) وطريقة الوصول إليها في طرف، ووضع مقابلها كل أنواع الضرر الحاصل

(١) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٩١ .

(٢) البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران :١٤٣ .

(٣) ينظر: القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني :٥١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥١ .

(٥)القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني:٥٤ .

للإنسان في الحياة مع الجزاء، (النار) الذي يؤدي إليه في الطرف المقابل بألفاظ موجزة لتؤدي دورها في النصح من دون ملل عند المتلقي؛ لأنّ هذا النوع من التقابل يمتاز ((بالإيجاز وقوة التأثير وسرعة الفهم والإدراك وبيان المعنى بشكل دقيق))[١]، لذا فإنّ هذا التقابل يعد صورة جمالية متكاملة ومؤثرة في كلام الإمام (عليه السلام)؛ لضمان استجابة المتلقي، الذي يفهم، ويتأثر، ثم يستجيب لدعوة الإمام ونصحه .

يبدو من مضامين الخطبة أنها ضمّت قرائن مختلفة أولها جاء من خلال اشكاليتّي الترغيب والترهيب، فقد قال (عليه السلام) بالرغبة يقابلها الرهبة، و(نام طالبها)، هو الذي يؤشر راحة، وسعادة طالب الجنة، فلا يمكن طلبها بالاسترخاء، أو التهاون، أو مخالفة القواعد الإلهية في طلب الجنة؛ لذلك أنّ الوصول إليها يحتاج الى عمل وجهد كبيرين، وهو العمل على رضا الله سبحانه، وعدم مخالفته وممارسة كل الأعمال التي تقرب منه؛ لذلك قال نام طالبها، أي اطمأن بركونه الى الله سبحانه وحصل على الاطمئنان من خلال العمل الصالح .

إنَّ الخطبة تضمنت أيضا قرينه مرتبطة بالبعد الجمالي، إذ قال (عليه السلام) (النار هاربها) فقد ربط النار بهلع وخوف الإنسان من خلال سوء الأعمال ولو قرنا اللفظين لوجدنا أن هناك تضاد لفظي، ومعنوي، فالتضاد اللفظي يتجسد في الجنة ولفظها المضاد النار، في قوله (الجنة نام طالبها والنار نام هاربها) ولفظتي (نام طالبها ونام هاربها) متضادين يتجسدان من خلال الفعل نام الذي يؤدي الى معنيين متضادين متسمان بالوصف الدقيق، وهما يؤديان معنى (الاستقرار والطمأنينه يقابلهما الهلع والخوف) ذلك أن المشترك بين المعنيين، هو الفعل نام الذي وُظِّف توظيفين مختلفين[٢]، مرة للتوظيف الإيجابي، والأخرى للتوظيف السلبي بشكل جميل بديع وتصوير غاية في الروعة ينسل انسلالًا لطيفًا ليبين خطورة عدم العمل للآخرة .

(١)القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني : ٩٧ .

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٣٠٢ ، ودراسات لغوية في أمهات كتب اللغة:٢٢٥ .

ومنها أيضًا كلام الإمام علي (عليه السلام) في ذكر صفات المتقين، يقول: **((صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا))**[1].

عقد الإمام ((عليه السلام))، مقارنة في حديثه عن المتقين الذين يتصفون بالإيمان والتقوى في الدنيا والاخرة بطريقة محفزة وازن فيها بين الجانب المادي والمعنوي لكل منهما، إذ تمثل الدنيا الجانب المادي الذي سرعان ما ينتهى.

أمّا الحياة الآخرة، فهي الجانب الآخر الذي يمثل دار الاستقرار والبقاء الأبدي، فأسهمت هذه المقارنة في إظهار جمال الآخرة أكثر بمقابلة وصفية بيّن :

أيام قصيرة ← تقابل ضد (تركيب وصفي) ← راحة طويلة

أرادتهم ← تقابل الايجاب والسَلْب (تركيب فعلي) ← لم يريدوها

أسرتهم ← تقابل ضد (تركيب فعلي) ← فدوا أنفسهم

إذ التقابل هنا بالضد بين تركيبين، وهما (قصيرة) التي جاءت وصفا (للأيام) مع (طويلة) التي، هي وصف لـ (راحة)، وبين التركيب الفعلي في (ارادتهم) مع التركيب الفعلي المنفي (لم يريدوها)، وهو ما يسمى بالسَلْب والإيجاب، أو تقابل النفي والإثبات، الذي يكون بين اللفظ ونفيه بأداة نفي[2]، ويُعد هذا التقابل أكمل أنواع التقابل؛ لأنّ المتقابلين هنا على طرفين متباعدين تمام التباعد، فعندما نقول، أبيض لا أبيض فهو إمّا أبيض، أو لا أبيض[3]، أي لا يوجد تدرج فيها. وهو السبب الذي ربط ((عليه السلام)) صبرهم أيامًا قليلة سرعان ما انتهت رغم مرارتها وقسوتها، وربط الاخرة بالراحة الطويلة والنعيم الأبدي الذي يكافأ عليه الانسان المسلم على صبره، فكانت العلاقة ها هنا علاقة سببية ينتج منها جمال معنوي أبدي دائم يكافأ عليه الإنسان الصابر، بأسلوب جمالي متميز يؤكد مقدرة الإمام (عليه السلام) على رسم الصورة المتقابلة التي تنبئ عن حالات نفسية، ومواقف وجدانية تسهم في منح

(١) شرح نهج البلاغة : ١٠ / ١٣٣ .

(٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:١٦٢٢/٢، والسلب في اللغة العربية، غانم عبد الحسن رداد (أطروحة):٤٦، ١٩٦.

(٣) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة:٢٦.

كلامه دلالات وإيحاء وتأثير الناتج من قوة تأثير التقابل التركيبي الوصفي، والتقابل التركيبي السلبي والإيجابي، وما يمتاز به من قوة؛ لإظهار المعنى الجمالي في الصورة التي رسمها الإمام علي (عليه السلام) .

إنّ ما عزز المعنى الآخروي في كلام الإمام ((عليه السلام)) أيضًا وجود قرينة التضام اللفظية[١] متمثلة في وصف الآخرة بالراحة الطويلة، وتجارة الآخرة بالمربحة، وهو جمال نفعي[٢] يهدف الى استمرار سعادة وراحة الإنسان المؤمن بدليل، قوله ((عليه السلام)) (تجارة مربحة)، أي نافعة لا وجود للخسارة فيها ، وبدليل قوله (وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها) وهو تقابل بالضد تركيب فعلي آخر يثبت جمال الآخرة بتوظيف كل شيء للحصول عليها .

ومنها أيضًا قول الإمام علي (عليه السلام): ((**لنا قومٌ لو أسقيناهم العسل المُصفَّى ما ازدادوا فينا إلا بغضاً، و لنا قومٌ لو قطَّعناهم إرباً ما ازدادوا فينا إلا حُباً**))[٣] .

نلحظ هنا أن التقابل حدث بين (بغضًا)، و (حبًا)، وهي كلمات مفردة متقابلة، إلّا أنّنا نجد تأثيرهما على النص بأكمله؛ إذ شطر الناس قومين بأسلوب الشرط وأداته غير الجازمة (لو)، وهي ((حرف وجوب لامتناع))[٤]، وقد تأتي للتعليل، كما ذكر سيبويه، وأيده الكثير من النحاة والمفسرين[٥] من أنّ (لو) ((لِما كان سيقع لوقوع غيره))[٦]، وهو الرأي الأشمل، والأصح في التعبير عن دلالة (لو)، التي ذهب النحاة إلى أنّها تأتي على ثلاثة آراء[٧] ،الرأي الأول: أنها لا تفيد الامتناع إطلاقًا، بل

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :٢٢٣ .

(٢) ينظر: في النقد الجمال رؤية في الشعر الجاهلي :٣٠٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة :١٣٠/٩ .

(٤)الجنى الداني، بدر الدين بن قاسم المرادي: ٢٧٧ .

(٥)ينظر: الكتاب:٢٢٤/٤ ، البحر المحيط ١٤٤/١،ومغني اللبيب: ٣٤٢، والحدود في النحو:٤٤٦، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي:٥٦٨/٢، والنحو الوافي : ٢٧٣/٤ .

(٦)الكتاب ٢٢٤/٤، وينظر: الأصول في النحو، ابن السراج:٢١١/٢، و الجنى الداني: ٢٧٥، ومغني اللبيب:٣٤٢، الحدود في علم النحو:٤٤٦ .

(٧)ينظر: الجنى الداني: ٢٧٦-٢٧٧، ومغني اللبيب:٣٣٧-٣٤٠ ، وهمع الهوامع:٥٦٨/٢، وتراكيب الاسلوب الشرطي في نهج البلاغة، دراسة نحوية، كريم حمزه حميدي،(رسالة ماجستير):٩٥.

للتعليق في الماضي، والرأي الثاني: أنّها تفيد امتناع الشرط، وامتناع الجواب معًا، وهو ما ذهب إليه معظم النحاة، أمّا الرأي الثالث: فإنّها تفيد امتناع الشرط بخاصّة، ولا دلالة لها على امتناع الجواب، ولا على ثبوته، وهو ما نجده عند الإمام علي (عليه السلام) في كلامه، إذ دخلت (لو) على الفعل الماضي (اسقيناهم)، والإسقاء أبلغ من السقي؛ لأنّ الإسقاء هو أن تجعل له ما يُسقى منه ويشرب[١]، وهو مبالغة في البذل والعطاء لهذه الفرقة من الناس، ثم أردف الإمام (عليه السلام) جواب الشرط بأسلوب الحصر والقصر والاستثناء، دليل على اقتصادهم وتخصيصهم، وقصرهم على البغض له (عليه السلام) .

نلحظ من ذلك أنّ مضمون سياق الخطاب ماضيًا لفظًا ومعنًى، وهذا يعني أنّ مصير الفئتين لا تغيير فيه، (المبغض والمحب) تحت أي ظروف كانت، وهو تقابل بديع مسبوك، وهذا السبك والإيجاز والإحاطة بكل معانيه كان تعبيرًا جماليًا، جسّد المعنى أفضل تجسيد، ليكّون بذلك صورتين متضادتين ترسمان موقفًا معينًا ومنحًى جماليا، وتعالجان موقفًا خاصا، لتكونا ذا أثر بالغ على المتلقي من خلال القيم التعبيرية الفائقة والمتميزة[٢] .

إذ إنّ امتزاج الجملة الشرطية مع ظاهرة التقابل في كلام الإمام علي (عليه السلام)، يصنف الأشياء إلى اتجاهين متضادين من خلال الاعتماد على لفظتين متقابلتين[٣]، وهما (بغضًا)، و (حبًّا)؛ إذ إنّ مجيء هذه الألفاظ مع أسلوب الشرط، ((يمنح الكلام تأثيرًا عميقًا يجعل المستمع في حالة استيعاب كامل لمغزى وحقيقة

(١)ينظر: العين ١٨٩/٥-١٩٠ مادة (سقى) ، وجمهرة اللغة:٨٥٣/٢-٨٥٤ مادة (سقي) ، وتهذيب اللغة:١٨١/٩باب القاف والسين.

(٢) ينظر: العدول عن التذكير إلى التأنيث ودلالته اللغوية في فهم النص وتفسيره، دراسة صرفية – تحليلية، د. مطر عبد الله اسحاق محمد الجزولي، كلية اللغة العربية – جامعة أفريقيا العالمية – السودان ٢٠٢٢، (بحث):١٣

(٣)ينظر: بنية الثنائية الضدية وصيغها في نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دراسة لسانية تحليلية، د. بدر الدين بن علي العبد القادر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الساس والعشرون ٢٠٢٠ (بحث):٦٤.

الكلام مدركا أبعاد الاختيار بين القضيتين المتقابلتين))[1] ؛ إذ حصل تقابل جملة الشرط المتضمنة للفظة (بغضًا) في مضمونها جملة الشرط المتضمنة للفظة (حبًّا) اللذان ينتج عن كل منهما تقابل أيضًا، إذ تقابل موقفان من خلال جملة الشرط، من أجل تأكيد قضية ولاء، أو عدم ولاء فئة من الناس للإمام (عليه السلام) وعدم ولائهم له حتى لو قدّم لهم العسل المصفّى، أو ولاء فئة أخرى من الناس حتى لو قطعهم إربًا .

إنّ تقابل الجمل في كلام الإمام (عليه السلام)، يجعل النص مستقلًا ومعناه متكاملًا؛ لأنّه استوفى المعنى من خلال ربطه بمبدأ التقابل

بغضاً ← تقابل ضد (مفرد) ← حباً

↓ تنتج عنه

لنا قوم لو أسقيناهم العسل المصفى ما ازدادوا فينا إلّا بغضًا ← تقابل ضد (صورة) ← ولنا قوم لو قطعناهم إربًا ما ازدادوا فينا إلّا حبًا .

لذا فإن التقابل وقع بين جملتين، هما (لنا قوم لو أسقيناهم العسل المصفّى ما ازدادوا فينا إلّا بغضًا)، مع جملة (لنا قوم لو قطّعناهم إربًا ما ازدادوا فينا الّا حبًا)، وليس بين لفظتين فقط، فهو تقابل بين صورتين، لتحديد موقف مجموعتين من الناس، وهو تقابل جميل لا إسفاف فيه يرسم موقف الموالي، وغير الموالي على الرغم من الصعوبات، أو التسهيلات المقدمة لهما، إذ غير الموالي لا يمكن أن ينزع البغض من قلبه حتى لو أطعم العسل المصفى، والمحب مهما حصل له فإنّه باق على محبته، والمعنى الدلالي في اللفظين يذهب الى ضرب من المجاز (فسقي العسل المصفى) استعير للفعل الحسن فيما استعير فعل (قطعناهم) والثبات على المحبة، وهو معنى دلالي مجازي جمالي .

كما بدت جمالية السماء واضحة في خطبة للإمام علي(عليه السلام) يصفها، فذكر في كلامه كل ما تضم السماء من كواكب ومجرّات تدل على خالق واحد، مبدع فيها وهو الله (عزّ وجلّ)، إذ يقول في ذلك: ((**ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا وَ**

(١)ظاهرة التقابل في اللغة العربية:٨٤، نقلا عن العدول عن التذكير الى التأنيث ودلالته اللغوية في فهم النص وتفسيره:١٣ .

نَاطَ[1] بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا[2] وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَ رَمَى مُسْتَرِقِي اَلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا و صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا))[3] .

وصف الإمام علي (عليه السلام) في خطبته السماء، وما تضم من زينة وكواكب في جوّها، وَخلق السماوات والأرض التي خُلِقَت بحكمة إلهية دقيقة، إذ إنّ السماء التي خلقها، مستوية وعلّق في فضائها أفلاكها، و التعليق هنا أمر مجازي وليس حقيقة، فلا يمكن تصوره إلّا من خلال الصور المجازية ' فالشمس والقمر والنجوم، وبقية الكواكب التي نراها معلقة في السماء، منها ما يدور حول الكون، ومنها ما هو ثابت في مكانه كل ذلك بتقدير العزيز الجليل، وبحكمة دقيقة منه؛ إذ إنّه خلق لكل فلك من الأفلاك مكانه، بقدرته الإلهية [4].

فقال (عليه السلام):(وناط بها زينتها من خفيات دراريها)، أي إنَّ الله سبحانه الصق بالسماء تلك الكواكب كأنها معلقة، ومنحها النور؛ لتضيء الأرض بما يشبه السراج [5] .

أمّا في قوله (عليه السلام): (بثواقب شهبها)، فهنا ضمّن كلامه آية كريمة بقرينة لفظية غير سياقية ، وهي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الحجر: ١٦ – ١٨]، وكأنّه يستشهد بها؛ ليكون كلامه أكثر مقبولية عند المتلقي .

دلّت جملة ثواقب شهبها في كلامه، التي وردت في سياق لفظي متصل متقدم (وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ)، على حدوث عمل الفعل من دون الاستمرار

---

(١) ناط: علق، ينظر: العين:٤٥٥/٧ باب الطاء والنون والواو ، والصحاح:١١٦٥/٣ مادة (نوط) .

(٢) دراريها: وتعني العظام من اللؤلؤ ومنه أيضا كوكب دري أي ثاقب مضيء، العين: ٨/ ٧ باب الدال والراء، وينظر: المعجم الوسيط:١/ ٢٧٩ مادة (دّرَّ) .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٦: ٤١٩ .

(٤) ينظر: شرح ابن ابي حديد:٤٢٠/٦، وبهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٤٧٣/١ .

(٥) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٨٤ .

فيه [١] ، إذ تقدمت الأداة الفاعلة (الثواقب) على الشهب ، إذ إنّ الثواقب دلالتها الحدوث في العمل العائدة على سمة الفعل، وهو (ثقب يثقب ثاقب)، ويُجمع على ثواقب، إذ إنّ اسم الفاعل وصف يدل على حدث [٢] .

وفي اللغة العربية هناك حقيقة نتوقف عندها، وهي أنّ الجملة الاسمية دلالتها استمرار عمل الفعل ودوامه وتكراره، أمّا الجملة الفعلية، فهي تدل على الزمان المستمر الحدوث، أي إنّها تنتهي بانتهاء الحدث، والفرق واضح بين أن نقول (شهابٌ ثاقب) وبين أن نقول (ثَقَبَ الشهابَ)، فثقب فعل، أي إنّ الحدث حصل وانتهى بالثقب، أما الجملة الأولى فوقتها ثابت (شهاب ثاقب) جملة ثابتة الحدث دالة على سمة الشهاب، بدلالة قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ [الملك:٥]، أي متى شاء الله سبحانه يسخر هذه الشهب لتحرق الشياطين (لعنهم الله)، فعل .

نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام)، وصف السماء بدقة ذاكرًا أجرامها، وثباتها، وسعدها، ونحوسها، وسريتها بسجع جميل، ومتناسق، ومتناسب، وسلس، قصد من هذا الوصف إظهار الجمال والإبداع الإلهي في خلق السماء فشبه (عليه السلام)، وجود(الشمس، والقمر، والنجوم) فيها بالأنوار أو (السراج) المعلقة في السماء، التي منها ما هو ثابت، ومنها ما هو متحرك، بقدرة العزيز الجليل، بوصف دقيق متناهٍ، ذاكراً أجرامها وثباتها وسعدها، ونحوسها، وصعودها، وهبوطها بسجع منسجم وجميل، قصد منه إظهار الجمال والإبداع الإلهي في خلق السماء، بسياق التقابل (بالضد الدلالي)؛ إذ قابل بين (ثباتها)، و(سيرها)، وبين (هبوطها)، و(صعودها)، و(نحوسها) مع (سعودها)، فتضافرت هذهِ الأضداد؛ لِتُظهر جميعها جمال السماء، وعظمة خالقها، بصورة حاضرة، بقرائن سياقية لفظية، وهي (زينتها) و (دراريها)، وضع فيها ألفاظا في بنى ثنائية التقابل؛ لأكثر من ثنائية، منها ما كانت حركية، وهي (ثبات ثابتها) مع (مسير سائرها)، ومنها ما كانت مفردة الألفاظ الاسمية، وهي

(١) ينظر: النحو الوافي، د. عباس حسن: ٣/٣٧.

(٢) ينظر :شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ، ابن الناظم :٢٢٨.

(هبوطها) مع (صعودها)، و (نحوسها) مع (سعودها)، وهذه التقابلات جميعها سواء أكانت مركبة أم مفردة، كانت تحت التقابل الكلي الثابت أو ما يسمى الحادّ أو غير المتدرج[١] . وهي :

ثبات ثابتها ← تقابل ضد (تركيبي) ← مسير سائرها

هبوطها ← تقابل ضد (مفرد) ← صعودها

نحوسها ← تقابل ضد (مفرد) ← سعودها

و بما أنّ الضد، هو خلاف الشيء، كما يقال: الإيمان ضد الكفر[٢]، إذًا كل كلام جمع فيه الضدان يسمى مطابقة، أي ((يكون بينهما تقابل وتناف ولو في بعض الصور سواء أكان تقابل التضاد أم تقابل الإيجاب والسلب أم تقابل العدم والملكة))[٣].

أفادت ألفاظ التقابل الواردة في كلام الإمام علي (عليه السلام)، اظهار انبهاره وإعجابه بهذا الكون الجميل والعظيم الدال على خالقه، الذي سخّر هذه الآيات العظيمات لخدمة الإنسان في الحياة الدنيا، ومن أجل معيشته، فمنها ما يكون ثابتًا، ومنها ما يكون متحركًا، وظّف الإمام (عليه السلام) التركيب (المضاف والمضاف إليه) في التقابل في موضوعين، هما: (ثبات ثابتها)، و(مسير سائرها)، وهو تقابل يتصف بكونه عميقًا وواسعًا ويعبر عن الحدث[٤]، فالتقابل المركب ينسق الصور التي ترسمها الألفاظ على نحو دقيق[٥] .

أمّا التقابل البسيط الذي حصل بين الأسماء المفردة في قوله (هبوطها)، و (صعودها)، و(نحوسها)، و(سعودها)، فإن التقابل بالضد حدث بينهما قبل دخولهما سياق النص[٦]، إذ إنّ تعدد المتقابلات حدث في سياق واحد بالتعاطف، وكان بين

(١)ينظر: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ١٥٣، والقرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني: ٥١ .

(٢) ينظر: الأضداد، ابن الأنباري: ٢٧، و ظاهرة التقابل في علم الدلالة :١٦.

(٣) المختصر في شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني: ٤/ ٢٨٦، وينظر: التقابل والتماثل في القران الكريم، د. فايز عارف القرعان: ٣٥-٣٦، وينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة، تغريد عبد فلحي: ١٤ .

(٤)ينظر: القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني: ٥٥ .

(٥)ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٧٩ .

(٦) ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ٧٩ .

لفظة ولفظة أخرى على سبيل التخالف، ويكون التقابل هنا تامًا؛ لأنّ شرط التقابل أن يتضمن الشخص، أو الشيء طرفًا من أطراف التقابل، ولا يمكن أن يحتوي طرفي التقابل معًا .

إنّ اختلاف التقابل في كلام الإمام علي (عليه السلام)، جعل النص أكثر عمقًا، واضفى دلالات عدة غير ظاهرة تستنبط من النص، فبذلك ظهر الجمال والإبداع الإلهي في خلق السماء بقرائن لفظية ساندت هذا التقابل بنوعية (البسيط والمركب)؛ لتظهر متضافرة جمال السماء وعظمة خالقها، بصورة حاضرة، وسجع جميل متناسق ومتناسب .

نلحظ من ذلك أنّ لفظة السماء في خطب الإمام علي (عليه السلام)، كانت محور حديث إبداعي جميل يكشف عن جمال وابداع الخالق (عزّ وجلّ) في خلق السماء وانبهارهِ وإعجابهِ بهذا الكون الجميل والعظيم، ففي كل خطبة كان لها معنى محددًا وصياغة مختلفة عما قبلها، وبذلك تمكن الإمام (عليه السلام) أن يقدم صورًا متنوعة للفظة السماء، مضمنًا كلامه آيات من القرآن الكريم يتكأ عليها لتكون قرائن لفظية غير سياقية على ما يصف من صور جميلة، الشيء الذي كمّل بلاغة الإمام (عليه السلام) لما في ذلك من أساليب رائعة ومعبّرة عن الجمال في النصوص الخطابية، إذ وظف التقابل في معرض حديثه عن الإعجاز الكوني[١]؛ لأنّه يعد سمة من سمات الكون والحياة والوجود؛ ليؤدي اغراضه المختلفة التي تقف بالإنسان أمام هذا الكون العجيب، متأملًا ومتفكرًا[٢] .

إنّ تنوع التقابل الضدي في كلام الإمام علي (عليه السلام) جعل النص أكثر عمقا وأضفى دلالات عدة غير ظاهرة تستنبط من النص .

لقد شرح لنا الإمام في خطبه وبطريقة جمالية أخاذة تفصيلات عن الجنة ومأكلها ومشربها ولولا هذه الخطب لما أدركناها فقد نوه عن أجمل الطعام وأجمل الشراب مستقيًا قرينته من القرآن الكريم، ثم صاغها بفصاحة وبلاغة يعجز البشر عن الاتيان به فهو غالبًا ما يتواشج مع القرآن الكريم فيستل اللفظ استلالًا من وحي

(١)ينظر: شرح نهج البلاغة:٤١٩/٦، ٦ /٣٩٢، ٩: / ٣٠١، ٨١/١٠، ٥٦/١٣، ٦٦/١٣ ... .

(٢)ينظر: منهج الفن الإسلامي، محمد قطب: ١٢ .

القرآن؛ إذ يقول (**(ويُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ)**[1].

نلحظ مما سبق أن كلام الإمام علي (عليه السلام)، اتسم بالبلاغة والفصاحة، والسحر في أدائهِ للكلمات، ((فالمبنى ملازم فيه للمعنى والصورة لا تقل في شيء عن المادة، أما طبعه هذا فهو طبع ذوي الموهبة والأصالة الذين يرون فيشعرون ويدركون فتنطلق ألسنتهم بما تجيش به قلوبهم))[2]، فضلًا عن أنّه جمع في كلامه كل الفنون البلاغية؛ لذلك فإنّ القرائن الجمالية والسياقية قد جاءت متناغمة لتعبر عن أجمل وأبلغ ما وصل اليه علماء اللغة؛ لذا نجد أنّ هذه الخطب قد أصبحت محل اهتمام وموضع دراسة الباحثين .

إنَّ مفهوم الجمالية في اللغة العربية، هو حُسن استخدام اللفظ وتوظيفه جماليا ، وخصوصا ما وجدناه عند الإمام علي (عليه السلام)، إذ وظّف القرائن اللفظية والسياقية بطريقة غاية في الروعة؛ إذ استعملها في بعديها الايجابي والسلبي؛ لتعبر عن قدرات لا حدود لها في بيان جمال اللفظ واستنفاذ طاقة القرينة؛ إذ وفرت لنا المعنى المباشر وحركت في المتلقي البحث عن المعنى المضمر .

وممّا يمكن ملاحظته أن الخطب التي استعرضناها تضمنت إيجاد معادل جمالي بين ما في الدنيا، وما في الآخرة، فقد غلبت معظم الخطب ما تحتويه الجنة على ما هو حقيقي في الحياة، وحتى البعد السلبي للقرينة جاء على ذات النسق من خلال ذم الدنيا ولذاتها بعدها زائلة والتوجه الى الآخرة وما فيها من خير سرمدي لا يزول، إذن قد بينت لنا القرائن ضرورة الاشتياق إلى الآخرة من خلال الزهد بما في الدنيا وذلك مبلغ عظيم في خطب الإمام علي (عليه السلام) .

(١) شرح نهج البلاغة،:٩: ٢٧٨.

(٢) روائع نهج البلاغة، جورج جرداق: ٢٧ – ٢٨.

المبحث الثاني

الإيغال في بيان المعنى

اهتم العلماء والبلاغيون بظاهرة الإيغال، وأولوها العناية، وهي ضرب من المبالغة، والإيغال في اللغة: هو الإمعان في الشيء، والدخول فيه، وأوغل في البلاد، ذهب وبالغ(١) .

وفي الاصطلاح: هو أنّ ((المتكلم أو الشاعر أوغل في الفكر حتى استخرج سجعة أو قافية في النص تفيد معنىً زائداً على معنى الكلام))(٢)، أمّا أبو هلال العسكري فقد عرّفه بأنّه ((يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحًا وشرحًا وتوكيدًا وحسنًا))(٣)، والإيغال يعد من بديع المعنى، وهو ضرب من المبالغة؛ ((لأنّه ختم الكلام بما يفيد نكته يتم المعنى دونها))(٤)، وذهب البعض إلى أنه فن خاص بالشعر، إلّا أن هذا الكلام غير دقيق؛ لأنّه موجود في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١ ﴾ [يس:٢٠-٢١]، فقوله (وهم مهتدون، إيغال؛ لأنّه يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة؛ لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسول والترغيب فيه .

وظف الإمام علي (عليه السلام) أسلوب الإيغال في بيان المعنى، في مواضع جمالية عدّة، عمد فيها إلى التفصيل في بيان دلالتها في أكثر من عبارة، وهو القادر على إيجازها بعبارة واحدة؛ إلّا أنّه آثر أن يعطيها حقها في الوضوح والتقصي، فلا يترك شيئا منها بلا بيان؛ ليثبت معناه عند المتلقي ويتمكن منه، من ذلك قوله (عليه السلام) في وصف النبات والشراب في الجنة: ((**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا**

---

(١)ينظر: الصحاح:٥/ ١٨٤٤ مادة (وغل) ، ومجمل اللغة:٩٣١ باب (الواو والغين وما يثلثهما) ، و المعجم الوسيط: ٢/١٠٤٥ باب (الواو) .

(٢)تحرير التحبير: ٢٣٢ .

(٣)الصناعتين: ٣٨٠، وينظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق:٤٩ .

(٤)الايضاح في علوم البلاغة:٣/٢٠٥(الهامش)، وينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع:١٩٤، وصيغ المبالغة وطرائفها في القرآن الكريم، دراسة احصائية صرفية دلالية، كمال حسن رشيد صالح،(رسالة ماجستير): ٦٥ .

يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[1] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ[2] اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا[3] وَأَفْنَانِهَا[4]، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ[5]. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ)[6] .

في الكلام السابق فسّر الإمام (عليه السلام)، كلامه ((فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أُخرج الى الدنيا))؛ إذ كلامه واضح حول جمال الآخرة وأنها أفضل من الدنيا بكل ما فيها من بدائع؛ إلّا إنّه فصّل فيهما، فبدأ ببدائع الدنيا، والمقصود منها، وهي (شهواتها، ولذاتها، وزخارف مناظرها)، فالكلمات الثلاث السابقة أوجزت جمال الدنيا كله، فلا يوجد جمال فيها يخرج عن هذا الوصف، ثم انتقل الى وصف جمال الآخرة بمقارنة عميقة وبديعة مع الدنيا، فأوغل في وصف الشجر واهتزازه وجذوره ومكان وجوده في الجنة، وطريقة ترتيب ثمارها وتنوعها وكيفية جنيها، ووصف جذوعها وأغصانها، وشرابها، وطريقة تقديمه، بقوله: ((**وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ**

---

(١)اصطفاق الشجر: اهتزازها، ينظر: تاج العروس، مادة (صفق):٣٥/٢٦.

(٢) كبائس : جَمْعُ كِباسة، وَهُوَ العِذْق التامُّ بِشَمَارِيخِهِ ورُطبه ، المحكم والمحيط الأعظم:٧٢٩/٦ مادة (ك ب س) ، وينظر: لسان العرب :١٩١/٦ فصل الكاف

(٣)العسلاج: ما لان واخضرّ من قضبان الشجر والكرم أول ما ينبت، ينظر: تهذيب اللغة:٣ / ٢٠٨ مادة (عسلج) ، والمحكم والمحيط الأعظم:٤٢٦/٢ مادة (عسلج).

(٤)أفنان: الغصن المستقيم من الشجرة ، ينظر: تهذيب اللغة:٣٣٥/١٥ باب (النون والفاء)، وتاج العروس:٣٥ /٥١٦ مادة (فنن) .

(٥) المروقة : المصفّاة ، من (رَوقَ الشَّرابَ: إذا صَفّاهُ) ، ينظر : تاج العروس :٣٧٨/٢٥ ، مادة(روق) .

(٦) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٢٧٨ .

الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ))

نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) بدأ وصفه بالجملة الشرطية المصدرة بالأداة (لو) غير الجازمة، التي تربط حدثين مختلفين؛ إذ ((تقتضي فعلًا ماضيًا كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره والمتوقع غير واقع))[١]، في سياق الشرط المتكرر بحرف العطف (الواو)؛ لذا تصرف الفعل الى الزمان الماضي الامتناعي حتى إن كان الفعل يدل على الحال، أو الاستقبال، وفي نص الإمام (عليه السلام) فإن كلامه يدل على الزمن المستقبلي غير المحدد، إذ إن معنى (لو) ((يفيد في بيان حالة الحدث؛ إذ يدل على عدم الوقوع فقط، لكنّها لا تدل على زمان محدد، فقد يأتي بعدها المستقبل بصيغة (فعل)، أو (يفعل) إذا كان السياق أو المقام يدل على ذلك))[٢]، وتناولها الزمخشري بالبحث فوضعها في قسم التمني على أنّه أمر لم يحدث بمثال (ولو ترى)، أي (وليتك ترى)[٣] .

والمرادي وضعها مع (أن) في الدلالة على الشك في حدث المستقبل[٤]، وتصرف الماضي إلى الاستقبال فربطها بالمستقبل؛ لذا فإنّ ((دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلًا للسياقات والمواقف التي ترد فيها))[٥]، وهنا يوجه الإمام (عليه السلام) كلامه لمستمعيه، وهي خطبة وفيها مستمعين بقرينة قوله ((فلو شغلت قلبك أيها المستمع))[٦]، فيضع أمامهم الحياتين (الدنيوية والأخروية) في كفّتي ميزان واحد تحت إدراك عقل المتلقي وفهمه، بصرف النظر عن مستوى ثقافته ودرجة وعيه، وفضلًا عن تلك المقاربة الناضجة، فالخطبة تحمل دعوة إنذار وتحذير فوعيد

(١)الجنى الداني:٢٧٥، وينظر: همع الهوامع:٥٦٨/٢ .

(٢)اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، د. محمد عبد الرحمن الريحاني: ١٨٤.

(٣)ينظر: المفصل في صنعة الإعراب :٤٤٣ ، الكشاف:٥١٠/٣، وينظر:٣٢٣/٣و ٢١٢/١ .

(٤) ينظر: الجنى الداني: ٢٨٤ .

(٥)علم الدلالة، احمد مختار عمر:٦٩، وينظر: القرائن الدلالية في التعبير القرآني:١٠٧ .

(٦) شرح نهج البلاغة ٢٧٨/٩ .

وترغيب وتأمل، إذ يحمل مضمون النص مزايا الآخرة، ويشدد على ديمومة نعيمها، ويلهج بخصوصية مباهجها(١).

إنّ الإمام هنا على الرغم من انحيازه الواضح إلى كفّة الحياة الآخرة، فإنّه نوّه بالمزايا المطلوبة لذلك، وترك للمتلقّي حريّة التقصّي والاستنتاج ثمّ الاختيار، كما ترك له حريّة اختيار السبيل لكبح جماح النفس ولَجْم نزواتِها. فاتبع في كلامه الأسلوب الترغيبي؛ لحثهم على العمل وإيقاظ الشوق نحو الآخرة، ووصف الجنّة بدار النّعيم و الرّحمة، فعندما قال (عليه السّلام) (فلو رميت ببصر قلبك) أي لو نظرت بعين بصيرتك (نحو ما يوصف لك منها)، أي إلى جهة ما وصف اللّه لك و رسوله في الكتاب والسنّة من نعيم الجنّة وما أعدّ اللّه فيها لأوليائه المؤمنين، (لعزفت نفسك) واعرضت (عن بدايع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها و لذّاتها و زخارف مناظرها) ولم تجد لشيء منها وقعًا عندها، (ولذهلت) مغمورة (بالفكر في) عظيم ما أعدّ في دار الخلد من (اصطفاق أشجار) و اهتزازها بريح (غيّبت عروقها) في تلال من المسك بدل الرّمل (على سواحل أنهارها)، و لذهلت بالفكر (في تعليق كبائس اللّؤلؤ الرّطب في عساليجها و أفنانها)، أي فروعها، و أغصانها(٢) ، فناسب أسلوب الشرط بأداته (لو)، الحدث المستقبلي بكل تفصيلاته الدقيقة التي أوغل الإمام (عليه السلام) في وصفها؛ إذ ربطت بين حدثين، يكون سياقها فيه خياليا؛ ((أمّا الزمان فلا أثر لها فيه ... وقد يجتمع في سياقها اكثر من زمان))(٣).

ولم يكتفِ الإمام علي (عليه السلام) عند هذا الحد، بل أراد أن يُبهر مستمعيه أكثر ويرغبهم أكثر ففصل، في وصف ثمار الجنة، بقوله: ((**طلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها**)) وطريقة جنيها، وطعمها، بطريقة تشعرك وكأنك تراها بقلبك وتتحسسها ببصيرتك؛ لجمال الوصف ودقته؛ إذ لم يترك دقيقة من دقائقها الرائعة إلا وذكرها، بصورة جمالية تقريبية متجسدة في الحياة، يتلمسها الإنسان كل يوم .

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٧٨/٢ .

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:١٠ /٦٥-٦٦ .

(٣) اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية /١٨٦ .

يتضح من ذلك أثر القرينة الجمالية بين الواقع الملموس والمُتخيل بمعنى أنّ الواقع يقارن المتخيل وأنّ الصورتين تشبهان بعضهما، وهذا ما أراد الإمام (عليه السلام)، إيصاله بوصفها فكرة جمالية، ومقاربة بين الحياة الدنيا الفانية وحياة الاخرة القائمة على أساس ثواب المؤمن ومكافئته .

فوصف طلوع تلك الثمار مختلفة، فيها رأيان، هما، الأول: أن يراد باختلاف الثمار اختلافها لاختلاف الأشجار بأن يحمل كلّ نوع من الشّجر نوعا من الثمر كما في أشجار الدّنيا فيكون ذكر الاختلاف إشارة إلى عدم انحصار ثمر الجنّة بنوع، أو نوعين، والثاني: أن يراد به اختلافها مع وحدة الشّجرة، فذكر الاختلاف للدّلالة على عظيم قدرة المُبدع سبحانه[1] ؛ إذ إن كل شجرة من الأشجار تحمل نوعا من الثمار مغايرا لنوع آخر من حيث النكهة والطعم بما يناسب ذوق الانسان، ولعل القرينة في ذكر الثمار أن لكل شجرة ثمرها المختلف عن ثمر الشجرة الاخرى، وهو ما نميل إليه، بدليلٍ نقلي يُعد قرينة لفظية، وهي تفسير الإمام (عليه السّلام) لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [سورة البقرة– ٣٥].

قال عليه السّلام: ((هي شجرة تميّزت بين سائر أشجار الجنّة، فأشجار الجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول، وكانت هذه الشّجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب وساير أنواع الفواكه والثمار والأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم: هي برّة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي عنّابة)) [2]. وأيضًا ما نُقل بإسناده إلى عبد السّلام بن صالح الهروي[3] قال: قلت للرّضا (عليه السّلام) ((يا ابن رسول اللّه أخبرني عن الشّجرة الّتي نهي عنها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف النّاس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروى أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال (عليه السّلام): كلّ ذلك

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:١٠ /٦٦ .

(٢) بحار الانوار:١١ / ١٩٠ .

(٣) أبو الصلت الهروي، عبد السلام بن صالح الهروي، من أصحاب علي الرضا، وأحد المحدّثين والمتكلمين في عصره. يعود نسبه إلى أصول فارسية من مدينة «هرات» ولذا عُرف بالهروي، ينظر: الأنساب للسمعاني:١٣/٤٠٥-٤٠٨ .

حقّ، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال عليه السّلام: يا أبا الصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعًا، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب ليست كشجرة الدّنيا فافهم))[١] .

نلحظ من ذلك أنّ الصورة الجمالية، للجنة ونباتاتها، التي هي صورة موصوفة للجنة التي وعد الله (عزّ وجلّ) بها المؤمنين، قد فصّل فيها الإمام (عليه السلام) بخطابٍ مطول، ((سمته التفصيل والخوض في الجزئيات والتطويل))[٢]؛ لأنّ الموضوعات التي يدور حول الأمور الحياتية والكيفية التي تتسم بها شؤون الحياة والمجتمع والإنسان، تقتضي الإطالة والبسط والاستطراد في الكلام[٣] .

إنّ ورود الفنون اللغوية من، تشبيه واستعارة، وكناية، إنما هو ضرب من ضروب جمالية اللغة وابداع منشئها فلا يتهيأ لأحد أن يبلغ هذا المبلغ من الجمال اللفظي سوى الإمام علي (عليه السلام) وما نتلمسه، منها الاستعارة المكنية، في قوله (يبصر قلبك)، إذ شبّه القلب بالإنسان، وحذفه وأبقى لازمة من لوازمه، وهي البصر، إذ أضاف البصر الى القلب، فتغير المعنى اللفظي بقرينة السياق فحوله من البصر إلى البصيرة، فجسدت هذه الاستعارة بعدا جماليا كبيرا من حيث الجمال اللفظي والمعنوي في آن واحد[٤].

إنّ وصف الجنة وأشجارها وثمارها، واختلاف تلك الثمار، بهذا التفصيل والإيغال بالمعنى، هو دفع ذكي بالمتلقي لرسم تلك الصورة في مخيلته عن الجنة، ولو حاولنا حذف مفردة واحدة مما جاء في وصف الإمام (عليه السلام)؛ لاختل المعنى تمامًا والسبب في ذلك أنّ تراص، وانسجام المفردات في هذه الخطبة قد جاء مؤديا للمعنى المراد منها من دون زيادة، أو نقصان .

استعمل الإمام (عليه السلام)، طريقة الإيغال لبيان المعنى في وصف الجنة وتعميمها، لترغيب المتلقي، ودفعه للعمل في الدنيا من أجل الحصول عليها .

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:١٠ /٦٦ .

(٢) التنوع في الخطاب القرآني، دراسة اسلوبية، أنمار علي ياسين، (أطروحة دكتوراه):١٧٠ .

(٣)المصدر نفسه:١٧٠ .

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣ /٣١٣ .

ومن الإيغال في بيان المعنى الجمالي عند الإمام علي (عليه السلام)، وصفه جمال ألوان ريش الطاووس، إذ ذكر في بداية كلامه ((فإنّ شبهته بما أنبت الأرض قلت: جَنيٌّ جُنيّ من زهرة كل ربيع))، إذ هذا الكلام يعني أن ريش الطاووس قد جمع من مختلف ألوان أزهار الربيع، وأنه جَمعَ كل لون، في ريشه، فهذا المعنى الأساس في هذا الوصف، ثم فصّل (عليه السلام)؛ ليقرب الصورة الجمالية الى ذهن المتلقي، بقوله: ((**وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْملابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ**))[1]، أي: إن شابهته، أو أردت مثيلا لألوانه وتناسقها؛ فسنجده في زخرفة الحلل الجميلة، ونقش وجمال القماش اليمني، ثم لم يكتف بهذا الوصف، الذي كان بمقدرته أن يكتفي به، بل أوغل أكثر في تقريب الصورة الجمالية للطاووس عند المتلقي بأن شبهه أيضا بأنواع الحلي، بقوله (عليه السلام): ((**وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوص ذَاتِ أَلْوَان، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ**))[2]، أي إن أردت أيها السامع أن تشبّه ألوان وشكل ريشه، بالحلي والمجوهرات، فإنّ ريشه يشبه الأحجار الكريمة بكل ألوانها وأنواعها، وبلغت دقته وعمق وصفه بأن خصص الأحجار الكريمة بصياغتها بالفضة، لإيغاله في بيان امتزاج وإشراقة ألوان الطاووس، إذ لون الفضة يظهر الألوان المجاورة له، أو الممتزجة معه أوضح وأجمل .

نلحظ أن مبالغة الإمام علي (عليه السلام)، في وصف ألوان ريش الطاووس بهذه الطريقة؛ كانت لأسباب، هي؛ أولا: لإظهار جمال وعظمة وقدرة الخالق (عزّ وجلّ) في خلقه .

ثانيًا: أن الطاووس لم يكن من الطيور المألوفة عند العربي، أو المتواجدة في بيئته؛ لذا أوغل في بيان وصفه، وأكثر من تشبيهاته القريبة لهم .

ومن الإيغال في بيان المعنى عند الإمام (عليه السلام)، قوله في وصف خلق الإنسان: ((**أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ**[3]، **وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَة مِنْ طِين، وَوُضِعْتَ فِي قَرَار مَكِين إِلَى**

(١) شرح نهج البلاغة: ٩ /٢٧١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٧١/٩ .

(٣) السوي: تام الخلقة لا نقص فيه، ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد عبده:٧٩/١ .

قَدَر مَعْلُوم وَأَجَل مَقْسُوم، تَمُورُ[1] فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُحِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا؛ فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟!))[2]. فسّر قوله (عليه السلام): ((أيها المخلوق السّوي))، وهو قول إجمالي لتمام خلقة الإنسان بعد مروره بكل مراحل التطور والنمو الجنيني، فيكون بذلك قد استوفى معنى الكلام قبل البلوغ الى المقطع الآخر[3]، بعد هذا المقطع بدأ الإمام (عليه السلام)، يُفصّل خلق الإنسان، بقوله: ((بدئت من سلالة من طين))[4]، فبدأها من خلق سيدنا آدم (عليه السلام)، وهو أصل خلق الإنسان فخصصه بتركيب منفرد؛ لأنّه الوحيد الذي خلق من طين، فاسَتلَّه[5] استلالًا من الأرض ، مرة واحدة في وقت واحد، وبمرحلة واحدة .

أمّا الخلق الآخر، فكان أن أبدع الله (عز وجل) في مراحل نموه وتركيبه، إذ يمر بمراحل متعددة غاية في الدقة والكمال في الصنع؛ لذا فإن هذا الخلق يحتاج الى تراكيب أكثر تفصيلاً ، تمثل الفترة الزمنية التي يحددها الله (عز وجل)؛ لاكتماله، فيفصّل (عليه السلام): ((ووضعت في قرار مكين)، وهي المرحلة الأولى لخلقه، إذ وضِعَ في قرار مستقر، وهو الرحم المتمكن من حفظ هذه النطفة فيه[6].

انتقل بعدها الإمام (عليه السلام)؛ إلى ذكر زمن هذا الإنسان، بدأ من أول يوم في دنياه حتى مماته الذي أوجزه في عبارتين الأولى (قدر معلوم)، وهي المدة المحددة للحمل، وقوله (وأجلٍ مقسومٍ) وهي المدة المحددة له في الحياة، وانتهاء اجله، ثم يعود إلى وصف حاله في بطن أمه وهو جنين، بقوله: ((**تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُحِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً**))، أي: تتحرك في بطن، لا تستطيع الكلام أو تسمع شيء، وهو بذلك يذكر أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه

---

(١) تمور: تتحرك، ينظر: تهذيب اللغة:١٥ /٢١٣ مادة (مور).

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥٧/٩ .

(٣)ينظر: تحرير التحبير: ٢١٠ .

(٤)السلالة من الشيء ما انسلّ منه، ينظر: تهذيب اللغة:٢٠٦/١٢ باب (السين واللام) .

(٥) استله: اخرجه، ينظر: العين:١٩٢/٧ مادة (سلّ).

(٦) ينظر: الكشاف :٣ /١٧٨ .

لينبّه على بدائع خلق الله (عزّ وجلّ) واعجازه، ثم فصّل بطريقة تغذية هذا الإنسان عند ولادته ومن الذي علمه ذلك، وهو التقام ثدي أمه، والرضاعة بهذه الطريقة، بقوله: ((**فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟!**))[1].

إنّ تفصيل الإمام (عليه السلام)، وإيغاله في بيان خلق الإنسان، ومدته الزمنية في الحياة، هو لإشعارهم بعظمة الخالق، وجمال خَلْقِه، وتحيير عقولهم .

ومن الإيغال قوله (عليه السلام)، في وصف النملة، وطريقة الحصول على رزقها: ((**انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لاَ يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلاَ يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ**[2]))[3] .

وصف الإمام (عليه السلام) أولاً حجم النملة بأنها صغيرة الحجم، فقال: ((انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها))، وهي عبارة عامة، ثم بعد ذلك فصّل في بيان دلالة هذهِ العبارة في أكثر من تركيب، فقال: ((لا تكاد تُنَالُ بلحظِ البصر))، وأردفها بقوله ((ولا بمستدرك الفكر)، ثم يسأل سؤال متعجب (كيف دَبَّت على أرضها))، بعباراتٍ ثلاث، وهو القادر على إيجازها بعبارة واحدة؛ إلّا أنّه آثر الإطناب فيها ففسر وفصّل أكثر؛ ليثبت المعنى الأول، وهو صغر حجمها في ذهن المتلقي، ليكمل الصورة الثانية في وصفهِ للنملة، في ذهن المتلقي، وهو (كيفية لحصول على رزقها)، الذي قال فيه: ((وصبت على رزقها))، أي اندفعت على رزقها للحصول عليه، وهي عبارة عامة أوجزت كل الطرق التي ممكن الكائن أن يحصل فيها على رزقه إلّا أن الإمام (عليه السلام)، عمد إلى التفصيل في وصف طرق حصولها على طعامها، فقال: (تنقل الحبة إلى جُحرها)، و(تعدّها في

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٧/٩ .

(٢) الجامس : الجمد ، ينظر:المحكم والمحيط الأعظم :٢٨٢/٧ ، مادة (ج م س)

(٣) شرح نهج البلاغة:١٣ /٥٥ .

مستقرها)، و(تجمع في حرها لبردها)، و(في ورودها لصدرها)، بسياق فعلي متكرر بحرف العطف (الواو)، فذكر مراحل جمعها لغذائها مرحلة فمرحلة بالترتيب، فاستعمل في وصفه الفعل المضارع الذي يتصدر كل عبارة منها، ليدل على استمرار حصولها على رزقها وحدوثه إلى هذه الساعة، وبشكل مستمر.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) عند هذا الحد بل أوغل في بيان معنى ثالث خاص بالنملة، وهو رزقها المكفول من الله (عزّ وجلّ)؛ ليثبت للمستمعين، ويضعهم أمام حقيقه أنّ الله (عزّ وجلّ) هو الذي يتكفل برزق المخلوقات حتى الصغيرة منها التي لا تكاد وتُرى بالعين وهي النملة، فكيف بمن يتوكل عليه من البشر، فذكرها بعبارة عامة، وهي (مكفول برزقها)، وهو سياق اسمي يتسم بالثبات والاستقرار[1]. وهو ناسب دلالة كفالة رزقها من الخالق (عزّ وجلّ)؛ ثم أردف قوله بتفصيل يُبيّن فيه بعبارات يؤكد فيها هذا المعنى، بقوله: (مرزوقة بوفقها)، و(لا يغفلها المنّان)، و(لا يحرمها الديان)، (ولو في الصَّفا اليَابس)، و(الحجر الجامس) .

نلحظ هناك أن الإمام (عليه السلام)، لم يترك وصفاً يدل على هذا المعنى أو مرادفاً له، إلّا وذكره، وفصّل فيه، بصورة جمالية تجسّد حياة هذا المخلوق الصغير، بكل تفصيلاته الدقيقة، بلغة غاية في الروعة والجمال .

(١)ينظر: البرهان في علوم القرآن:٤/٦٦ ، والنحو الوافي ، د. عباس حسن :٢/١٤٥.

خاتمةُ الرسالة

ونتائِجُها

الحمد لله حمدًا يكافئ نعمه ويواصل مزيده وصلى الله على نبي الرحمة محمد وعلى اله المطهرين وبعد ..

فبعد وقوفنا على نهاية هذا البحث الموسوم ((**أثر القرائن الدلالية في إظهار المعنى الجمالي في خُطبِ شرح نهج البلاغة**)) وجدنا أن القرينة قد أسهمت بشكل كبير في إظهار المعنى الدلالي على وجهين الأول : هو ما تلمسناه من القرائن اللفظية بأنواعها، والآخر: من حيث المعنى وإظهاره وتقديمه للمتلقي بالشكل الذي يحفظ للفظة مكانتها في كتاب لا نبالغ إذا قلنا إنّه الكتاب الذي يأتي بعد القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف؛ بل إنّ نهج البلاغة، هو الكتاب الذي استعان بالقرآن الكريم في إظهار المعاني الدلالية للقرائن ومهما اجتهد الساعي للوصول إلى هذا المورد العظيم فإنّه لا يستطيع اللحاق به لما حوته ألفاظ تلك الخطب من معان غاية في الدقة جعلت معنى كل لفظ من الألفاظ يأخذ مكانه الطبيعي، ولو غُيِّر لفظ مكان آخر لما استقام المعنى وخطاب بهذا الشكل يتطلب المزيد من الجهود البحثية؛ لإظهار المعنى الا إننا توصلنا من خلال ما تقدم إلى النتائج الآتية :

١- القرينة عند الامام علي (عليه السلام)، هي لغة المشابهة والتماثل بين معنيين أحدهما ظاهر لفظي، والآخر مضمر سياقي بمعنى(اللفظ وما وراء اللفظ) فمعنىً قريب وآخر بعيد غاية المتكلم الوصول إليه.

٢- إنّ التوافق بين الفلاسفة جميعًا، وبين الإمام علي (عليه السلام)، في رؤيتهم للجمال هو أنّ فلاسفة العرب ينظرون للجمال من خلال النظريات الفلسفية، والجمال عندهم ، ظاهري وباطني والإمام علي (عليه السلام) أيضًا دعا إلى التأمل ورؤية الجمال الظاهري ، والباطني ، بمعنى الجمال الظاهر والجمال الداخلي . وهذا نجده في رؤية وفلسفة الإمام علي (عليه السلام) للجمال ، بشكل واضح ، من خلال تأملاته وكلامه .

٣- رؤية الإمام علي (عليه السلام) للجمال في أغلبها نفعية ، نابعة من كونه مسؤولاً عن الأمة ؛ لأنّه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين .

٤- ورد عند الإمام علي (عليه السلام) مفهوم الجمال بنوعيهِ ، الجمال الحسي الذي يرى بالعين المجردة والمعنوي الذي هو عكس الجمال الحسي .

٥- تركت القرائن اللفظية أثرًا كبيرًا في إظهار المعنى الجمالي في نهج البلاغة، وهذا ما نلحظه في تحليل النصوص الخاصة بالطبيعة القريبة وجميعها سياقية (منفصلة ومتصلة) ، وأول معنى جمالي دنيوي قريب ، هو ما ذكره الإمام علي ((عليه السلام)) في وصف الإنسان وخلقه .

٦- أن المعنى الجمالي لا يأتي دوماً من المنظر الجميل للمخلوقات فحسب ؛ بل قد يتمثل في غرابة المخلوقات وتفردها ، وعجيب خلقتها ، حتى وإن كانت غير جميلة ، وهو ما وجدناه في وصف الخفاش .

٧- وظّف الإمام (عليه السلام) مظاهر الطبيعة المتمثلة بالألوان من أجل تقديم صور استعارية زاهية الألوان التي تحفل بها الطبيعة ، فكان الإمام((عليه السلام)) خبيرًا ضليعًا في مزج الألوان واستخدامها بأشكال وأساليب مختلفة ؛ من مثل اللون الأخضر والأصفر والأحمر والأبيض والأسود وغيرها.

٨- إنّ القرائن اللفظية السياقية، هي اكثر القرائن الدلالية ورودًا في كلام الإمام علي (عليه السلام) ؛ إذ كان لها الدور الكبير في الكشف عن دلالة كثير من المعاني الجمالية في كلام الإمام علي (عليه السلام)، في سياقات لفظية متقدمة ، أو متأخرة ، أو مصاحبة لها ...

٩- كل المعاني الجمالية التي وقف عندها الإمام (عليه السلام) ، كانت لحث العباد على التفكر في ابداع وجمال وعظمة خلق الله (عز وجل) ؛ والتنبيه إلى أن من خلقها واحد .

١٠- اعتمد الإمام علي (عليه السلام) اسلوب التضاد في إظهار جمال الطبيعة البعيدة .

١١- القرينة العقلية، هي القرينة التي يتم الاستدلال بها للوصول الى المعنى المستحيل، أو غير المقبول، أو للدلالة على المحذوف في سياق الكلام، وهو ما عمد إليه الإمام (عليه السلام) في كلامة .

١٢- إنّ الإمام (عليه السلام) ، قد وظف التقابل في كلامه في معرض حديثه عن الإعجاز الكوني؛ لأنّه يعد سمة من سمات الكون والحياة والوجود ليؤدي أغراضه المختلفة التي تقف بالإنسان أمام هذا الكون العجيب ، متأملًا متفكرًا.

١٣- إنّ اختلاف التقابل الضدي في كلام الإمام علي (عليه السلام)، جعل النص أكثر عمقًا وأضفى دلالات عدة غير ظاهرة تستنبط من النص.

١٤- استعمل الإمام علي (عليه السلام) ، طريقة الإيغال لبيان المعنى في وصف الجنة ونعيمها؛ لأنّ الجنة غير ماثلة أمام العربي، لذا تحتاج إلى إيضاح وإيغال أكثر في وصفها ، ليقربها من المتلقي .

١٥- أغلب خطب الإمام علي (عليه السلام) تدفع باتجاه الآخرة، وإنْ اتسمت بوصف الحياة الدنيا وجماليتها إلّا إن القرينة المقصودة، هي تلك الحياة البعيدة المتمثلة بالجنة وجمالية أجوائها وما أعد الله بها من خير للمؤمنين.

مصادر الرسالة

ومراجعها

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

- الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة) ، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٦،م .
- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية ، دكتور محمد عبد الرحمن الريحاني ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ،د.ط ، د.ت .
- الاحتجاج ، ابي منصور أحمد بن علي الطبرسي (من علماء القرن السادس) ، منشورات الشريف الرضي ، الطبعة الاولى،١٣٨٠هـ .
- الإدراك الحسي عند ابن سينا ، محمد عثمان نجاتي ، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٤٦م .
- أساليب البيان في القران الكريم ، السيد جعفر باقر الحسيني ،مؤسسة بوستان كتاب –قم ، الطبعة الأولى :١٤٣٠ق –١٣٨٧ش .
- أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر ، الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الأولى،٢٠٠١ م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة عزالدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، د.ط ، ١٩٩٢م
- أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة ، د. عبدالكريم هلال خالد ، منشورات جامعة قاز يونس ، بنغازي ، ط١ ،٢٠٠٣م .

- أسمى المطالب في سيرة امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) شخصيته وعصره دراسة شاملة ، د. علي محمد محمد الصلابي ، مكتبة الصحابة(لامارات – الشارقة)، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤م .
- الاشارة الى الايجاز في بعض انواع المجاز ، عز الدين ابن عبد السلام ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، دار الفكر – دمشق ، د.ط ، د.ت.
- الأصوات اللغوية ، د.ابراهيم انيس ، مطبعة نهضة مصر ،(د.ط ، د.ت) .
- الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ) ، تحقيق :عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت،
- الأضداد ،أبو بكر، محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧ م
- الاعجاز العلمي عند الامام علي ، الدكتور لبيب بيضون ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت–لبنان) ، الطبعة الاولى ،٢٠٠٥م .
- إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه ، الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد ، الكلية الإسلامية الجامعة – النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ،٢٠١٤م .
- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزِّرِكْلِيّ الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر ، ٢٠٠٢ م .

- الأعلام من الفلاسفة (أفلاطون سيرتهِ و فلسفتهِ) ، احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٠م .
- الاعلام من الفلاسفة (أرسطو) استاذ فلاسفة اليونان ، د. فاروق عبد المعطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٩٩٢م .

- الاعلام من الفلاسفة (سقراط) ، د. فارق عبدالمعطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م .
- الأنساب ،عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: ٥٦٢هـ) ، تحقيق :عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ،مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ،الطبعة الاولى، ١٩٦٢ م .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري (ت:٤٠٣هـ) ، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، السيد عزت العطار الحسيني ،دار الكتب الملكية الصرية – القاهرة ،١٩٥٠م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الايجاز في كلام العرب نص الاعجاز (دراسة بلاغية) ، مختار عطية ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة الجامعية –بيروت، ١٩٩٥م.
- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ) ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الجيل – بيروت ،الطبعة الثالثة ، د.ت .
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار ، محمد باقر المجلسي (قدس الله سره) (ت:١١١١هـ) ، مؤسسة الوفاء، بيروت –لبنان ،الطبعة الثانية،١٩٨٣م .
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جمي، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٠ هـ.

- البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى ،١٩٩٠م.
- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبدالله بدر الدين الزركشي (ت:٧٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي و شركاتهِ، الطبعة الأولى،١٩٥٧م.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنْكَة الميداني الدمشقي(ت: ١٤٢٥هـ)،دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- البلاغة فنونها وافنانها (علم البيان والبديع) ،الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، العبدلي – عمارة جوهرة القدس ، الطبعة الحادية عشرة ، ٢٠٠٧م .
- البلاغة فنونها وافنانها (علم المعاني) ،الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان للطباعة والنشر ، كلية الشريعة – الجامعة الأردنية ، الطبعة الأولى ،١٩٨٥م .
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، الشيخ محمد تقي التستري (الشوشتري) (ت :١٤١٥هـ) ، الطبعة الاولى ،مؤسسة انتشارات امير كبير ١٣٧٦هـ .
- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني ، الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى (رجب ١٤١٣هـ – يناير ١٩٩٣م) .
- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ،١٤٢٣ هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ت .

- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، د.ت .
- تاريخ بغداد وذيوله(تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ،المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، للذهبي ، ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ، المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي ، الرّد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ،دار التراث – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ .
- التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية ، د. حسين حامد الصالح ،دار ابن حزم للطباعة والنشر (بيروت–لبنان) ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٥م .
- تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التبصرة في أصول الفقه ،أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ) ،تحقيق: د. محمد حسن هيتو ،دار الفكر – دمشق ،الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، عبد العظيم ابن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت:٦٥٤هـ) ،تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية

المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ، د.ط ، د.ت .

- تحقيق الفوائد الغياثية، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت: ٧٨٦ هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، الدكتور محمود عكاشة ،دار النشر للجامعات – القاهرة ، الطبعة الثانية ،٢٠١١م .
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ،عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ) ، تح: إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ.
- تصنيف نهج البلاغة ، لبيب بيضون ،مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي – طهران ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ.
- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط١٠، ١٩٨٨م .
- التعريفات الفقهية ، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م .
- تفسير الجلالين ،جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) ،دار الحديث، القاهرة ،الطبعة الأولى .

- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، .ت .
- تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة الأولى، ١٩٤٦ م.
- التقابل والتماثل في القران الكريم دراسة اسلوبية ، الدكتور فايز عارف القرعان ،عالم الكتب الحديثة –الاردن ، الطبعة الاولى ،٢٠٠١م .
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ،تحقيق: محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني – القاهرة،(د، ط).
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .
- توضيح نهج البلاغة ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار تراث الشيعة (طهران –ايران) ، د.ت .
- جامع الدروس العربية ، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ) ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ،الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٩٩٣ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي
- جمهرة اللغة ،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ) ، تحقيق :د. فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ) ،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ،المكتبة العصرية، بيروت ،(د،ط).
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ،شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ) ،دار صادر – بيروت ، د.ط ، د.ت .
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، الطبعة الأولى،١٩٩٧م .
- الحدود في علم النحو ، أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ، شهاب الدين الأندلسي (ت: ٨٦٠هـ) ،المحقق: نجاة حسن عبد الله نولي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
- حياة الحيوان الكبرى ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ
- الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة،(د. ت).
- الخلاصة النحوية ، الدكتور تمام حسان ،عالم الكتب – القاهرة ، الطبعة الثانية : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ،١٩٦٠م.
- دراسات في نهج البلاغة ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت:١٤٢١هـ)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت – لبنان) ، الطبعة الثانية،١٩٧٩م.
- دروس في الألسنية العامة ، فرديناد دي سوسير ، تعريب صالح القرمادي ، محمد الشاوش ، محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥م.
- دلائل الاعجاز العلمي في القران الكريم، سيف الدين الكاتب ، دار الشروق العربي ، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين ، أ.د. عواطف كنوش المصطفى ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع – لندن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧م .
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان ،ترجمه وقدم له وعلق عليه :دكتور كمال محمد بشير ،مكتبة الشباب –٢١ شارع اسماعيل سرى ، د.ت .
- الربط في اللفظ والمعنى ،د.محمود عكاشة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي (القاهرة – مصر) ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠م .

- رسائل ومقالات ، الشيخ السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق – قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ .
- رسالة التنبيه على سبيل السعادة ، الفارابي ، دراسة وتحقيق ،الدكتور سبحان خليفات ، الجامعة الأردنية – كلية الآداب – عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
- رشاد المؤمنين الى معرفة نهج البلاغة المبين ، السيد يحيى بن إبراهيم الجحاف، تقديم محمد حسين الجلالي، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي ، مطبعة نكارش، الطبعة الأولى، قم ١٤٢٢هـ.
- روائع نهج البلاغة ، جورج جرداق ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ذي القعدة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت:٣٩٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- السلب في اللغة العربية ، غانم عبد الحسن ردَّاد ، إشراف الأستاذ الدكتور مجيد نور الشمري ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، ٢٠١٦م .
- شذا العرف في فن الصرف ، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ) ، تحقيق :نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، مكتبة الرشد الرياض ، د.ط ، د.ت .
- شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ، الطبعة: الأولى ، ٢٠٠٠م .
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) ،المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ،الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.
- شرح المفصل للزمخشري ، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ) ،تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعةالأولى، ٢٠٠١ م .
- شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ،د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ،اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي ،الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.
- شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم / كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ) ، مجمع البحوث الاسلامية – مشهد ، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ .
- شرح نهج البلاغة ، السيد عباس علي الموسوي ، دار الرسول الاكرم – دار المحجة البيضاء ، الطبعة الاولى، ١٣٧٦هـ .
- شرح نهج البلاغة ، لابن ابي حديد (٦٥٦هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ،١٩٥٩م .

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)،محمد علي بيضون ،الطبعة الأولى ،١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧ م.
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ،الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صفاء الكلمة ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، مطبعة النهضة ، مصر (د.ت) .
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ) ، المكتبة العنصرية – بيروت ، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ،الطبعة الاولى ، الدار الجامعية ، ١٩٩٨م.
- عجيب خلق الخفاش ، محمد حمزة الخفاجي ، الطبعة الاولى ،مؤسسة علوم بحر العلم ، العتبة الحسينية ،٢٠١٦م.
- العقل وفهم القرآن ، الحارث بن اسد المحاسبي (١٦٥-٢٤٣هـ) ، تحقيق :حسين القوتلي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، ١٩٧١م .

- علل الشرائع ، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ) ،تحقيق :السيد محمد الصادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الاشرف ، الطبعة الاولى، ١٩٦٦م.
- علم الأصوات ، دكتور كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- علم البديع ، عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت .
- علم البيان ،عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،(د،ط)، ١٩٨٢ م.
- علم الجمال (الاستطيقا) دنيس هوسيمان ، ترجمة أميرة حلمي مطر ، احمد فؤاد ، رمضان عبد التواب سبعاوي ،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٥م
- علم الجمال ،د. محمد عزيز نظمي ، دار الفكر الجامعي ، اسكندرية ، ١٩٨٦م .
- علم الجمال وتطوره التاريخي (علم الجمال الماركسي اللينيني) ترجمة فؤاد مرعي ، دار الفن الحديث العالمي ، المكتبة القديمة ،د.ط ، د.ت
- علم الدلالة ، د. احمد مختار عمر ، مكتبة لسان العرب – عالم الكتب (القاهرة) ، الطبعة الاولى، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيلية ،نقدية ، الدكتور فايز الداية ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثانية ،١٩٩٦م .
- علم اللغة ،علي عبد الواحد وافي ،نهضة مصر للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٩٩م .
- علوم البلاغة ‹‹البديع ، والبيان، والمعاني ››، احمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب ،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، د.ت .
- غريب نهج البلاغة ، اسبابه وانواعه ، توثيق نسبه ، دراسته ، د. عبد الكريم حسين ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٨م.
- فضائل الإمام علي(عليه السلام) ،محمد جواد مغنية (١٤٠٠هـ) ، تحقيق :غريرى ، سامى ، دار الكتاب الاسلامي (ايران – قم) ، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ .
- الفقه الاسلامي وادلته ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر (سوريا–دمشق) ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م .
- فقه اللغة وسر العربية ،عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)،تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،إحياء التراث العربي ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- فلسفة الجمال والفن عند هيجل، د.عبد الرحمن بدوي ، دار الشروق ،الطبعة الاولى، ١٩٩٦م .

- فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، د.محمد علي أبو ريان ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م .
- فلسفة النظريات الجمالية ، د.غادة المقدم عدرة ، جروس برس ، طرابلس، لبنان، الطبعة الاولى ، ١٩٩٦م
- في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ) ،دار الشروق – بيروت– القاهرة ،الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٢ هـ .
- في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية (١٤٠٠هـ) ، انتشارات كلمة الحق – مطبعة ستار ،الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ .
- في علم الجمال ، هنري لوفافر ، ترجمة محمد عيتاني ، دار المعجم العربي ، بيروت ، ١٩٤٩م .
- في النقد الجمال رؤية في الشعر الجاهلي ، أحمد محمود خليل ، دار الفكر (دمشق –سوريا) ، دار الفكر المعاصر (بيروت –لبنان) ،١٩٩٦م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف، محمد نعيم العرقسُوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م.
- القرآن وإعجازه العلمي ،محمد إسماعيل إبراهيم ،دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة،(د.ط).
- القرينة في اللغة العربية ، كوليزار كاكل عزيز ، منتدى سور الأزبكية (عمان –دار دجلة) ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م .
- قصص الأنبياء، عبد الله الهروي ، دار المحجة، بيروت ،الطبعة الأولى ،٢٠٠٥ م.

- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ، د.محمود سليمان ياقوت ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٥م ، ديوان الوقف الشيعي ، المركز الوطني لعلوم القرآن ، والتراث الإقرائي ، بغداد، ٢٠١١م .
- القيم الجمالية لدى بعض مفكري الإسلام ، ابو حيان التوحيدي وابن الدباغ نموذجاً ، د. ايمان عبد المؤمن محمد سعد الدين ، استاذ العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية ،جامعة الأزهر – الاسكندرية .
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
- التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- كتاب التوحيد المسمى : الأدلة على الحكمة والتدبير والرد على القائلين بالأهمال ومنكري العَمد ، املاه الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين الشهيد بن الامام علي بن ابي طالب المرتضى ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، الطبعة الثانية، ١٣٢٩هـ .
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت: ١٧٠هـ)، تحقيق :د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، د.ط ،د.ت .
- كتاب الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق :علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ .

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- اللغة ، ج. فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصّاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، د.ت .
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٦م.
- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة :د.عباس صادق الوهاب ، مراجعة :د. يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ،العراق – بغداد ،الاعظمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
- متخير الألفاظ ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) ، تحقيق :هلال ناجي ، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الاولى، ١٩٧٠م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ) ، تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة ، د.ط ، د.ت .
- مجمع البيان في تفسير القران ، امير الاسلام ابي الفضل بن الحسن الطبرسي ، طبعة جديدة منقحة ،دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر ، بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٥م .(الجزء الأول والعاشر)

- مجمع البيان في تفسير القرآن ، امير الاسلام ابي الفضل بن الحسن الطبرسي ، طبعة جديدة منقحة ، دار المرتضى – بيروت ، الطبعة الاولى ،٢٠٠٦م . (الجزء السادس)
- مجمل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ،(ت: ٣٩٥هـ)،تحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت:٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.
- المختصر في شروح التلخيص (سعد الدين التفتازاني) مطبعة يحيى الحلبي وشركاؤه ، مصر ١٩٣٧ .
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ) المحقق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال هيغل ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م.
- مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن ،اميرة حلمي مطر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، مصر ، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

- مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي الفاسي (ت: بعد ١١٣٢هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
- مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، دار الزهراء – بيروت ، الطبعة الأولى ،١٩٨٨م .
- معارج التفكر ودقائق التدبر ،عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني (١٤٢٥) ، الطبعة الاولى ، دار القلم –سوريه–دمشق ،١٣٦١ هـ.
- معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م.
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق :الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ،الهيئة العامة لشؤون المطابع ،الأميرية ،القاهرة ،مصر ، د.ط ،١٩٧٩م .
- المعجم الفلسفي المختصر ، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم موسكو ، ١٩٨٦م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ،عالم الكتب ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
- معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي ،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م .

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٨٣م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصُّلح –بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .
- المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،دار الدعوة،(د.ط).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ، تحقيق :د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،الطبعة الثالثة ،١٤٢٠ هـ.
- مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) ،تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م.
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر،١٩٧٩م.

- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (ت:٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى،١٩٩٦.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ط ، د. ت.
- منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (ت: ١٤١٠هـ) ، دار المنهاج – جدة ، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ م .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الهاشمي الخوئي (١٣٢٤هـ) ،تحقيق :سيد ابراهيم الميانجي ، بنياد فرهنك امام المهدي (عج) الطبعة الرابعة ،د.ت .
- المنهاج الواضح للبلاغة ،حامد عوني ، مكتبة الجامعة الأزهرية – ميدان الأزهر ، د.ط ، د.ت .
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د.علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- منهج الفن الاسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٣م .
- موجز تاريخ النظريات الجمالية ،نيكون أوفيا ، ترجمة : باسم السقا ، دار الفارابي ، الطبعة الثانية ،١٩٧٩م .
- موسوعة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، بمساعدة : محمد كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي ، دار الحديث للطباعة والنشر ،الطبعة الاولى ،١٤٢٥هـ .

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) ،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ،تحقيق: د. علي دحروج ،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ،الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ،مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م.
- الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائيّ (ت:٤٠٢هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – لبنان)، الطبعة الاولى، ١٩٩٧م .
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، د. هناء محمود اسماعيل ، تقديم الاستاذ الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
- النحو المصفى ، محمد عيد ، مكتبة الشباب ، د.ط ،د.ت .
- النحو الوافي، عباس حسن (ت:١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥،(د. ت).
- نظرية التظام اللغوي للقرآن الكريم ، أ.د. حسن منديل العكيلي ، ديوان الوقف الشيعي ، المركز الوطني لعلوم القرآن ، والتراث الإقرائي ، بغداد، ٢٠١١م .
- نظرية اللغة في النقد العربي ، دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب، د.عبد الحكيم راضي ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى – القاهرة، ٢٠٠٣م
- النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ ،محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف ببطال (ت: ٦٣٣هـ) ،دراسة وتحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم ،المكتبة التجارية، مكة المكرمة ،١٩٨٨ م .

- نفحات القران ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، بمساعدة مجموعة من الفضلاء ، قم – مدرسة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلم) ، الطبعة الاولى (التصحيح الثاني) ١٤٢٦هـ .
- نفحات الولاية ،شرح عصري جامع لنهج البلاغة ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،بمساعدة مجموعة من الفضلاء ، اعداد : عبد الرحيم الحمراني ، قم :مدرسة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ
- النهاية في غريب الحديث والأثر ،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م.
- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (عليه السلام) ، تحقيق : صبحي الصالح ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م .
- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق : محمد عبده ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت – لبنان) ،د.ط ، د.ت .
- نهج الحياة (مجموعة بحوث ومقالات حول نهج البلاغة) ،مجموعة مؤلفين ، مؤسسة نهج البلاغة –طهران ، الطبعة الاولى ، د.ت .
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ،الشيخ محمد باقر المحمودي ، الطبعة الأولى ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت –لبناان) ،١٩٧٧م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق :عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية – مصر ، د.ط ، د.ت .

الرسائل والأطاريح:-

- أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط ، احمد خضير عباس علي، أطروحة دكتوراه ،كلية الآداب ،جامعة الكوفة، ٢٠١٠م .
- أثر القرائن اللفظية في تحديد المعنى (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري – أنموذجا – قراءة وصفية تحليلية)، إعداد الطالبة سلمة موجاري، رسالة ماجستير ،جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، ٢٠١٦م .
- ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة (دراسة معجمية دلالية) ، إيمان سامي محمد الشوبكي ، اطروحة دكتوراه ،جامعة النجاح الوطنية (نابلس – فلسطين) ، ٢٠٠٨م .
- البحث الدلالي عند السيد محمد محمد صادق الصدر ، رحيم كريم علي حمزة ، إشراف د. رحيم جبر احمد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القادسية – كلية الآداب ، ٢٠٠٧م
- البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن للطوسي ، ابتهال كاصد ياسر الزيدي، أطروحة دكتوراه ،كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤م .
- تراكيب الاسلوب الشرطي في نهج البلاغة ، دراسة نحوية ، كريم حمزه حميدي ،رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١١.
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم ، منال صلاح الدين الصفار ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الموصل، ١٩٩٣م .
- التقابل الدلالي في نهج البلاغة ، تغريد عبد فلحي ، مكتبة الروضة الحيدرية . د.ط ، د.ت (رسالة ماجستير) .

- التنوع في الخطاب القرآني ،دراسة اسلوبية ، أنمار علي ياسين ،أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة، ١٩٩٩م.
- دلالة السياق في القصص القرآني ، محمد عبد الله عبد علي سيف أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٣م .
- صيغ المبالغة وطرائفها في القرآن الكريم ، دراسة احصائية صرفية دلالية ، كمال حسن رشيد صالح، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٥م .
- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ،١٩٨٩ م.
- فلسفة الجمال في القرآن الكريم "دراسة عقدية فلسفية"، آمال أحمد عوض ، رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية،٢٠١٢م .
- القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني ، د. عدوية عبد الجبار كريم الشرع ،أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٦م .
- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق (سورة الأنعام أنموذجا) دراسة وصفية إحصائية تحليلية ، سليمان بوراس ، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية : ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م .
- القرائن النحوية للمعنى، دريد عبد الجليل ،رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،١٩٩٧م .
- قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه ، ايهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، اطروحة دكتوراه، جامعة عين الشمس ، د.ت .

📖 الوعي الجمالي في الخطاب الفلسفي (هيجل نموذجاً)، ركماوي عبدالله، رسالة ماجستير ، جامعة وهران، ٢٠١٣-٢٠١٤م.

البحوث والمواقع الالكترونية:-

📖 الآراء الفلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي دراسة تحليلية نقدية ، أ.م .د . عبدالله محمد كريم ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد :١٤، العدد:٢، سنة ٢٠١٩م (بحث).

📖 أُسس التحليل اللغوي ، فالح حسن كاطع الأسدي ،جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الأنسانية ،قسم اللغة العربية ،٢٠١٨/٦/١٩ (محاضرة).

📖 ألفاظ النبات في نهج البلاغة دراسة في المعجم والدلالة ،م. كريمة نوماس محمد المدني ، كلية التربية ، جامعة كربلاء (بحث) .

📖 بنية الثنائية الضدية وصيغها في نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ،دراسة لسانية تحليلية ، د. بدر الدين بن علي العبد القادر ،جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الساس والعشرون ،٢٠٢٠ (بحث)

📖 بول س.أجوتر ودينيس إن.ويتلي (٢٠٠٨). التفكير في الحياة: تاريخ وفلسفة علم الأحياء والعلوم الأخرى . سبرينغر ، ، نقلاً عن علم الحيوان (مقال) https://stringfixer.com/ar/Zoology .

📖 تعريف القرئن وحكمها ، د. ماهر احمد راتب السوسي ، استذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية-غزة ، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠ ،(بحث)

📖 التقابل من بلاغة الجملة الى بلاغة النص ، أ. عبد الله بن صفية ، جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج (بحث)

- دلالات جموع التكسير في نهج البلاغة – الاول ، أ.م.د. فيصل مفتن اللامي ، والمدرس المساعد . عباس اسماعيل سيلان ، جامعة ميسان – كلية التربية الاساسية (بحث).
- السماء الدنيا ، ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة (مقالة) ، https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%A1_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%86%D9%8A%D8%A7 .
- السياق القرآني ، الدلالة المعجمية ، د. ماجدة صلاح حسن ، بحث في المجلة الجامعة ،العدد التاسع،ف/١١ ،٩/٤/ ٢٠٠٧ .(بحث)
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د.احمد نصيف الجنابي ، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية العدد (١٠) لسنة ١٩٨٤م . (بحث) .
- العدول عن التذكير الى التأنيث ودلالته اللغوية في فهم النص وتفسيره ، دراسة صرفية – تحليلية ،د. مطر عبد الله اسحاق محمد الجزولي ،كلية اللغة العربية – جامعة افريقيا العالمية – السودان ٢٠٢٢ م، (بحث).
- علم الجمال والخط الاسلامي ، بحث مقدم على هامش معرض الحروف الخالدة ، متحف الشارقة للحضارة الاسلامية ، الشارقة ٢٠٠٩ ، www.alkhaleej.ae . (بحث)
- القرائن العقلية ودورها في تقدير المحذوف في النص القرآني ،د. محمد الآمين خويلد ، جامعة الجلفة ، الأثر–مجلة الآداب واللغات –جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –الجزائر –العدد التاسع –ماي : ٢٠١٠م .(بحث)

- القرائن اللفظية واسم الاشارة في نهج البلاغة ، الباحث .محمد مناضل عباس ،العدد /١٩ مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ، شباط ٢٠١٥م (بحث)
- لولا الجبال لمالت الأرض وانقلبت وانعدمت الحياة على سطحها ، ترجمة وإعداد . أحمد سلطان، مجلة البيان ، ١٩اكتوبر ٢٠٠٦(مقال) https://www.albayan.ae/sports/2006-10-19-1.955044
- مركز الرصد العقائدي ، لماذا خلق الله هذا الكون والفضاء الفسيح(مقال) .https://alrasd.net/arabic/contemporaryy/941
- منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية ، د.أحمد نصيف الجنابي ، بحث منشور ضمن كتاب المعجمية العربية مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٢م.
- وظيفة النجوم في السماء وأنواعها وفوائدها ، ليلى جبريل ، ٢٦ سبتمبر ٢٠٢١ (مقال) ،https://mqaall.com/the-function-of-the-stars-in-the-sky-its-types-and-its-benefits .

Abstract

Praise is to God, Lord of the Worlds, and the best prayer and peace be upon the Prophet of mercy, Muhammad, may God bless him and his family and his chosen companions.

But later:

Nahj al-Balaghah is a highly eloquent text, and eloquence is like the sea. There are treasures in it that the researcher aspires to dive into, and beg for what he obtains of linguistic wealth; The approach includes an intensification at the level of words and their meanings, which is really incapable of researchers, because of the semantic contents through which Imam Ali (peace be upon him) was subjected, the arts of the Arabic language in its meanings, its beauty, and its clarification, to give us a linguistic and intellectual habitat, as well as pure sciences that scientists have only recently been aware of. It has a clear position in the words of the Imam (peace be upon him), it is the semantics, and the ways it includes to reach the desired meaning, and among these semantic methods were the clues that played an important and clear role in revealing the aesthetic meaning; The evidence is the semantic tool that indicates the location of beauty in his (peace be upon him) speech which included an abundance of them in various topics that the Imam (peace be upon him) dealt with in his blog, which necessitated the presence of expressive aesthetic words, so the study was concerned, researching the meaning of beauty according to the Imam (peace be upon him); Therefore, it was decided to choose a topic to be entitled (The impact of semantic evidence in showing the aesthetic meaning in the speeches explain the balcony approach).

In my research, I have followed the descriptive and analytical method, by the method of investigation that traces each of the words to find out the context and its type; therefore, we conclude by organizing the

research into an introduction and three chapters, followed by a conclusion with the most important results.

As for the preface, it was entitled (The Concept of Presence and Beauty in Nahj al-Balaghah), in which I dealt with the concepts of "pregnancy and beauty" in language and terminology, and a brief overview of beauty among the Greek and Muslim philosophers.

The first chapter came under the title (The impact of verbal clues in showing the aesthetic meaning in the speeches explain the approach of rhetoric), and it was divided into two sections. , I studied in the first search (the impact of the aesthetic clutches in the nearby nature), and included four demands, the first: human, and second: Animal, and third: Earth and mountains, and the fourth: the plant, In the second search, I studied (the effect of aesthetic verbal clues on distant nature) and it included three demands, the first included: the sky, the second: the planets, the sun and the moon, and the third requirement: the stars and meteors.

As for the second chapter, I devoted it to (The impact of mental clogs in showing the aesthetic meaning in speeches explain the balcony approach), and divided it into two sections, the first was concerned with (the effect of mental clues in revealing the aesthetic meaning in the close nature), and it dealt with two demands, the first was concerned with the earth, mountains, and winds, while the second included the living in plants, and the second topic was concerned with (the effect of rational clues in showing beauty in distant nature), and it was divided into two demands, the first included: the stars and clouds, and the second: the sky, the sun and the moon.

The third chapter was entitled (Manifestations of semantic evidence in showing aesthetic meaning in speeches explain the approach of rhetoric), and it was organized into two sections: the first: semantic contrast and the

second: it was concerned with exaggeration in explaining the meaning. As for the conclusion, it included the most important findings of this study.

It can be pointed out that the first chapter of the treatise is larger than the other two chapters; The extrapolation of the material controlled the plan, in addition to the fact that we found contextual verbal clues in Nahj al-Balaghah more than the mental, so the first chapter increased over the other chapters, just as we did not find sufficient present aesthetic clues that indicate the aesthetic meaning in Nahj al-Balaghah.

The texts were taken on the explanation of Nahj al-Balagha by Ibn Abi Hadid, with the investigation of Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon

college of Literature

the department of Arabic language

The effect of semantic clues in revealing the aesthetic meaning in Sermons explaining Nahj al-Balaghah

A LETTER SUBMITTED BY THE STUDENT

DOAA MUSA HASSAN ABBAS AL-SHAMRI

To the Council of the College of Arts at the University of Babylon, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic Language Arts/Language

Supervised by

Prof . Dr . Adawiya Abdul-Jabbar Karim Al-Shara

1443 A.H 2022A.D